

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٣) المجلد (٥٩) العام [٦٣] جمادى الاولى ١٤١٨ هـ/ سبتمبر ١٩٩٧ م

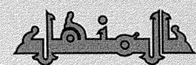
النص ومفهوم البناء

قصيدة النثر .. مسمى لا وجود له

ابن عربي ونظرية الخيال

الواقعية والتعبير في المسرح

في صخور المريخ يبحثون عن حضارة



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيـــة - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

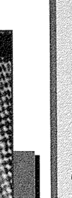
جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

اهداءات ٢٠٠١

المستشار/ رابح لطفي جمعة

القاهرة



مما قيل

هذه الصحافة قوة !..

أصبحت الصحافة في عالم اليوم قوة هائلة من قوى الأمم والدول، فحسب حسابها في الداخل، كما يحسب حسابها في الخارج .. هذا اذا كانت الصحافة قوية رائعة في مظهرها وفي مخبرها . في اخراجها وفي تحريرها، وفي سعة مدى انتشارها .. هي قوة في داخل الامة والدولة، وهي سياج لهما مكين يدفع عنهما غوائل الكيد الدولي، ويحيطهما علماً بمجريات الأمور، وبما يحاك في الخفاء وبما ينسج في الجلاء، كما ينقل اليهما الوان التقدم العالمي في شتى اشكالها.

تقوم الصحافة - بالنسبة لداخل الدولة والامة - بمهمة المكيف والموجه والخبير الأمين، بما تنشره من قويم الآراء والمباديء والاصلاحات على ملايين قرائها في مختلف الانحاء، صباح مساء، وأسبوعاً بعد اسبوع وشهراً عقب شهر.. بأساليب مشوقة باهرة، وبطرق قيمة جذابة، هي لسان الأستاذ ودماغ المفكر وعقل الرائد وواحة الأديب، وجنة الشاعر، وسمع الموظف والعامل، ودعاية التاجر والصانع والزارع، وموئل البائس والمحروم، وكهف المضطهد وملجأ المظلوم، ثم هي - الى ذلك - المنجل الذى يحصد الآراء الهدامة، ويجتث الاخلاق الفاسدة، ويقضي على الجمود الوبيل.

وتقوم الصحافة - بالنسبة لخارج الدولة - بدور المنظار السحرى الذى به تستطيع استكشاف الخبايا، والالمام بالخفايا الدولية، وبذلك يستطيع قادتها ويتمكن ساستها من رسم الخطط، بما فيه صالح بلادهم، وبما يجنب سفينة الدولة الارتطام بصخور الارتباك والاضطراب في المجال الدولى المتشابك المعقد.

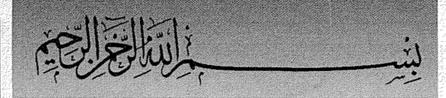
وبقدر سمو الصحافة وعلو شأنها وحريتها وعمقها واتزانها تؤدى مهمتها على الوجه المنشود، لصالح الدولة والأمة، في داخلية البلاد وفي خارجيتها.

والعكس بالعكس، فان الصحافة الضحلة الهزيلة المهلهلة الضئيلة هى صحافة فاقدة التأثير باهتة الألوان لا أصداء لها ولا أضواء.

فعلينا أن نسعى جادين، لتقوية صحافتنا الوطنية قبل كل شيء وان لا تستهوينا مظاهر الدعاية في صحف الخارج أية كانت فان دعاية قوية منبعثة من الداخل ومن منابر صحافة وطنية قوية هى اجدى نفعاً الف مرة ومرة من الاعتماد على صحافة لا نملك من أمرها قليلا ولا كثيرا.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الاول ١٣٧١هـ/ ديسمبر ١٩٥١



لقطة الشهر



أطفال وصبية ، شردتهم الحروب عن أهلهم وأوطانهم، فاحتملوا من أخطاء الكبار، وحماقاتهم ما لم يحتمله بشر.
إلى متى هذا الدمار !!؟ .. انها علامات استفهام غائرة في أحداقهم.

اشارة

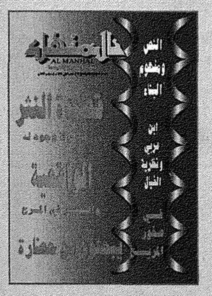
- تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد



العدد: (٥٤٣)
المجلد: (٥٩)
العام: (٦٣)





منهل اليوم

نحن أم الآخر

... (إرهابي - قاتل - متوحش - همجي - متخلف)..
عفواً، ومعذرة، أن صدّرنا هذه الكلمة بهذه الأوصاف القميئة..
لكن .. وبكل أسف، هي واقع صورة العربي والمسلم في الإعلام الغربي عامة ..
الآن .. والسؤال المباشر..
من شوّه تلك الصورة الجميلة للعرب والمسلمين؟!
من رسم لهم هذه الصورة (الكاريكاتيرية) الممسوخة المعالم؟!
هل بأيدينا رسمناها؟!
أم رسمها الآخر (مع سبق الاصرار والترصد)؟!
وقبل محاولة تلمس الإجابة، دعونا نسأل أنفسنا..
على جبين الأيام والدهور من نكون..؟
المسلمون والعرب، كانوا على جبين الأيام هالة من نور أضاءت الآفاق.
وحضارة سامقة تقاصرت دونها حضارات الأمم .. وقامة مديدة من العلم والتقى والصلاح.
العرب حملوا راية الإسلام على اكفهم، فتحوا بها الدنيا..
بهذا الاسلام أخرجوا الناس من الظلمات الى النور.. من جور الحكام الى عدل الاسلام.
من القهر والاستعباد، إلى الحرية والانفتاح.. أخلصوا النية فعرجوا على مدارج من نور..
هكذا .. كنا ..
إننا لا نجتر سوالف الأيام دندنات ننام على أكفها، ولكنا نسوق ذكريات تلك الايام النيّرة النضرة، ونستحضرها بين أيدينا اليوم لتشهد ما نحن عليه اليوم.
إذن، لنسجل نماذج، فقط نماذج، لما نحن عليه اليوم..
المسلمون في أفغانستان يقتتلون فيما بينهم منذ سنين خلت .. لماذا!!؟
جماعات في الجزائر تذبح الأطفال والنساء والعجزة.. لماذا!!؟
الصومال .. حرب شعواء أتت على الاخضر واليابس لماذا؟.
الفلسطينيون، وما عرف بالحرب الفلسطينية - الفلسطينية.. لماذا!!؟
حتى ان حكام اسرائيل قالوا (الفلسطينيون أنفسهم قتلوا من الفلسطينيين ما لم تقتله الحروب الاسرائيلية).
أما العرب بعامة، فأشلاء مقطعة.. لماذا!!؟
إذن، نرجع لسؤالنا..
من شوه تلك الصورة الجميلة للعرب والمسلمين!!؟
نحن .. أم الآخر ..!؟

رئيس التحرير

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

فهرس العدد - ٥٤٣ - المجلد : ٥٩ - العام : ٦٣

الفهرس

في هذا العدد



أقلام:

د. كمال اسماعيل
د. زياد الحكيم
د. شذى سلمان الدركزلي
محمد العربي الخطابي
محمد حمد الصويغ
د. احسان هندي
د. شريف مفلح
د. احمد محمد غريب

أول الغيث

متابعات:

** مجلس الشورى الجديد:

الشورى، واحدة من منطلقات التوجه الإسلامي، وهي أمر ديني بحت، بعيداً عن التمذهب السياسي، وكل أطراف الشورى مأجورون من الله سبحانه وتعالى ما دامت النية صادقة، والتوجه واضحة معالمه.

يقول الله سبحانه وتعالي في قرآنه المجيد مخاطباً رسوله الكريم (وشاورهم في الأمر) ويقول سبحانه (وأمرهم شورى بينهم) حيث يتوجه الخطاب هنا لكل المسلمين باتباع منهجية الشورى في كل الأمور.

والرسول المصطفى [صلى الله عليه وسلم] طبق هذا المبدأ عملا يتبع من بعده، وسبيلا يقتدى به، إذ يقول عليه الصلاة والسلام (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه) ويقول (المستشير معان، والمستشار مؤتمن).

ويقول صلى الله عليه وسلم (.. فمن استشار لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غيا).

ومعلوم أن (الشورى) هي اعمق منهجية وأداء من (الديمقراطية) التي لا تخلو من ثغرات..

ونظام الشورى في المملكة العربية السعودية أخذ به الملك عبد العزيز آل سعود - عليه رحمة الله - لانه النظام الأمثل، وعليه قام أمر هذه المملكة وطبقه وأخذ به ابناؤه من بعده.

وبالرجوع الى التاريخ قليلا نجد ان الملك عبد العزيز مؤسس هذا الكيان الكبير قد أمر بتشكيل اول مجلس للشورى في ١٣٤٦/١/٩هـ الموافق ١٩٢٧/٧/٩م وتشكل مجلس الشورى الثاني في



الملك عبدالعزيز ..
وأول مجلس للشوري



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز

١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.. وفي ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م أعيدت هيكلة المجلس.

وفي ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م صدر مرسوم ملكي بزيادة عدد اعضاء مجلس الشورى الى عشرين عضوا بدلا من ثلاثة عشر عضوا.

وفي ١٣٧٥هـ أصدر الملك سعود - رحمه الله - مرسوما ملكيا بتشكيل مجلس الشورى، وكان من خمسة وعشرين عضوا.

وإذا ما وصلنا الى خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - نجده يسير على نهج المؤسس في الحرص على الشورى ، ومجلس الشورى، ولهذا صدر الامر الملكي السامي في ١٤١٢/٨/٢٧هـ - ١٩٩٢/٣/١م المتضمن نظام مجلس الشوري الجديد، وهو بمثابة تحديث لما هو قائم وتطوير له.

ومجلس الشورى في دورته الأولى كان أنموذجاً رائعاً للاداء الجاد الملتزم من قبل كل اعضائه، وهم من العلماء والمفكرين والمثقفين، ومن أصحاب التخصص في مجالاتهم المختلفة والمتعددة وهذا بطبيعة الحال اكسب المجلس حيوية في الأداء وجدية في أسلوب الطرح والنقاش.

ويأتي مجلس الشورى في دورته الثانية ليكون اضافة جادة لدورته الأولى من حيث المضمون والمحتوى.

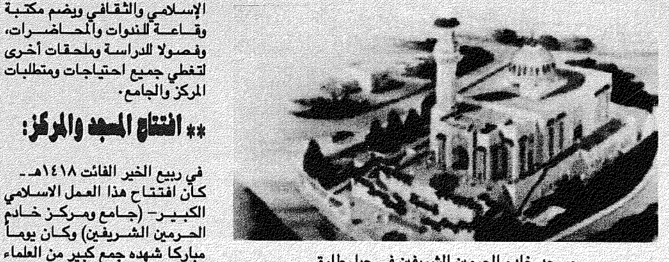
وهذا المجلس تمت زيادته الى تسعين عضواً بدلا من ستين عضوا في الدورة الاولى.

وفي هذا يقول خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - «إن زيادة اعضاء مجلس الشورى إلى تسعين عضوا أمر تطلبته دواعي التنمية والحاجة الى زيادة اللجان في المجلس وتنويعها ومقابلة الحاجة الى التخصص والخبرة بين اعضائها».

** جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق:

في ٧١٠م، انتدب موسى بن نصير القائد طارق بن زياد لفتح بلاد الأندلس، وجرد له قوة قوامها (١٢,٠٠٠) جندي.. وكان النصر حليفه.. وكان أول ما نزل عند الصخرة التى سميت باسمه (مضيق جبل طارق).. وتعرف المنطقة الآن كلها بـ (جبل طارق).

ومنذ ذلك الفتح المبارك وحتى يومنا



مسجد خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق

سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز
و سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد في أفتتاح المسجد

هذا أصبح لتلك المنطقة مكانة رفيعة في وجدان المسلمين، إذ أصبح الاسلام على مشارف اوروبا.. ويأتي الآن تأسيس وافتتاح مسجد ومركز خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - في جبل طارق ليعيد عبق التاريخ ويستجيش مشاعر القربى التي كانت، ويظل مركز وصل ديني وعلمي وثقافي وشعوري، يصل الماضي بالحاضر.

فاذا كان سلف المسلمين قد جاهدوا بأنفسهم وأرواحهم، وأموالهم كما جاهدوا بعلمهم وفكرهم إعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى، فقد جاء دور المسلمين الآن ليواصلوا المسيرة المباركة السالفة.

بكل الحق، يأتي الآن (مسجد ومركز خادم الحرمين الشريفين) في جبل طارق ليكون مركز إشعاع، وحلقة وصل.. حلقة وصل بين ماض عاش في الوجدان بكل بطولاته، وحاضر يعاني فيه الإسلام والمسلمين عناء مراً..

ويأتي المسجد والمركز أيضاً حلقة وصل كبرى بين المسلمين وما يحملون من حضارة خيرة، وبين الحضارة الإنسانية بعامة.

إنه لقاء الطرح الواعي المدرك لأساسيات الحضارة الإسلامية والتصدر الاسلامي لمناهجية الحياة الكريمة وما ينبغي أن تكون عليه.

أسس هذا الجامع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - باجمالي وصل الى (٣٠) مليون ريال.. في مساحة ٢٠٠ر٥ متر مربع.

هذا المسجد يمثل ملتقى اسلاميا في هذه المنطقة التي تمثل نقطة التقاء بين قارتي أوروبا وأفريقيا..

إلى جانب المسجد الذي خصص فيه مصلى كبير للنساء يظهر المركز الإسلامي والثقافي ويضم مكتبة وقاعة للندوات والمحاضرات، وفصولا للدراسة وملحقات أخرى لتغطي جميع احتياجات ومتطلبات المركز والجامع.

** افتتاح المسجد والمركز:

في ربيع الخير الفائت ١٤١٨هـ - كان افتتاح هذا العمل الاسلامي الكبير - (جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين) وكان يوماً مباركا شهده جمع كبير من العلماء والمفكرين وسفراء وقناصل الدول الممثلة في (جبل طارق) وكان في مقدمتهم صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض وصاحب السمو الملكى الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز المستشار في الديوان الملكى والمشرف على متابعة وتنفيذ جامع ومركز خادم الحرمين الشريفين.

وحضر الحفل حاكم جبل طارق، ورئيس وزراء جبل طارق.

وبعد صلاة أول جمعة في الجامع أعلن عن قيام ندوة ثقافية إسلامية في هذا المركز تعقد كل عام.. والموضوع المختار لندوة هذا العام (مدى اسهام الحضارة الاسلامية في الحضارات الانسانية). وشارك في هذه الندوة العلماء والمفكرون المختصون في الحضارات ودراساتها.

في حفل الافتتاح قال نائب حاكم جبل طارق مايكل روبنسون (ان افتتاح هذا الجامع منطلق لعلاقات قوية ومتينة بين جبل طارق والشعوب الإسلامية والعربية).. (على هذا الموقع الذي اقيم عليه مسجد خادم الحرمين الشريفين وضع طارق بن زياد أسس الاتصال بين اوروبا وبين العالم العربي والإسلامي).

(هذا المسجد سوف يبقى شاهداً

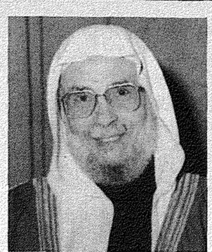
على أريحيتكم وعلى فضل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وجوده وعلامة خالدة على العلاقة الحاضرة والتاريخية بيننا).
ومن الجانب الآخر نجد مسلمي جبل طارق - البالغ عددهم ثلاثة آلاف نسمة من مجموع سكان جزيرة جبل طارق البالغ عددهم (ثلاثون الف نسمه) - نجد مسلمي جبل طارق اكثر ابتهاجا وفرحة وسرورا بوجود هذا المسجد والمركز.. إذ يعدونه فرصة للحوار الحضاري السليم، ويعدونه تصحيحا لصورة الاسلام لدى الغرب.. اضافة للخدمة الدينية التي يجدونها في هذا المسجد.

** ويظل الخير موصولا:

في ربيع الخير أيضاً، وضع صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز حجر الأساس لجامع خادم الحرمين الشريفين في ملقا في أسبانيا ويمثل الجامع مؤسسة إسلامية متكاملة، حيث يضم مركزاً للدراسات والبحوث الاسلامية، وقاعة للندوات والمحاضرات واللقاءات الفكرية والعلمية.. ويشمل المركز (١٦) فصلا دراسيا للنساء وهذه المؤسسة الاسلامية الضخمة تقع في مساحة اجمالية تصل الى ٥٩٠ر١٢ مترا مربعا.. وهو على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله ورعاه - سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته.
وعن هذا المركز الاسلامي الضخم يقول الحاكم المدني لمحافظة ملقا خورخي كابينا (إنني على يقين بأن هذا المركز الذي تفضل باقامته خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والذي تضعون أساسه اليوم سيكون أكثر المراكز أهمية في اسبانيا وفي أوروبا).
وقال (إن ملقا كانت دائماً حلقة وصل بين الشعوب العربية والاسلامية وبين أوروبا، وعلى شواطئها بنى العرب حضارة عريقة ونقلوا إليها الكرم والجود والمعرفة وأسسوها في اسبانيا وكانت منطلقا الى الأمم كلها).
وتواصلا مع هذا العمل الجليل، وفي هذا الشهر المبارك ايضا افتتح الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد جامع باوندى الكبير في الكاميرون.. والجامع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بتكلفة قدرها (٥) ملايين دولار.
وبشهادة أهل البلاد أنفسهم إن هذه المراكز الإسلامية ستظل أبداً نقطة التقاء للمسلمين، ومشروع تواصل علمي وفكري مع شعوب المنطقة وبداية بث جديد لروح الإسلام، وتصحيح كثير من الاخطاء والمغالطات التى لصقت بالاسلام والمسلمين بقصد وبغير قصد.. وبهذه المناسبة تجدر الاشارة الى أن المملكة العربية السعودية قد قامت بالبناء أو المساهمة في اكثر من (مئتي) مركز في انحاء العالم الاسلامي، واكثر من (١٣٥٠) مسجداً.

** ملتقيات ودورات:

وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، تأتي قضية الدعوة الاسلامية وبخاصة في الدول الاسلامية ودول الاقليات المسلمة، في مقدمة اهتماماتها.. وهذا العمل بغرض نشر الوعي الاسلامي في اوساط المسلمين، كما يهدف



د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

هذا العمل ايضا الى تدريب الأئمة والدعاة وتأهيلهم بالصورة المثلى ليقوموا باعباء هذه الدعوة الخالدة بين اخوانهم المسلمين في بلدانهم.
وصيف هذا العام حفل بالعديد من الملتقيات والندوات الإسلامية والدورات الدعوية في كثير من بلدان العالم الاسلامي ودول الاقليات المسلمة كما أشار الى ذلك معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الإسلامية والاوقاف والدعوة والإرشاد.
وكان اول هذه الملتقيات في أوغندا، وشارك فيه مئة وعشرون داعية من اوغندا والكمرون وتنزانيا والكونغو وزائير وموزمبيق، وزمبابوي وملاوي وبوروندي.. ومؤتمر آخر عقد في باكستان، وشارك فيه مئة واربعون داعية.. ومؤتمر آخر في المانيا شارك فيه مئة داعية من المانيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والسويد والنمسا وتركيا واليونان وقبرص واسبانيا وجزر الكناري.
وبالتعاون مع مؤسسة البراهيم الخيرية، عقدت دورات وندوات في كل من روسيا، وكازاخستان، ونيروبي وفنزويلا.

** أصيلة .. الحوار مع النفس والآخر:

في مطلع شهر اغسطس ١٩٩٧م الفائت ولمدة خمسة عشر يوماً انعقدت أعمال وفعاليات (أصيلة) في عامها التاسع عشر..

وفعاليات واعمال (منتدى أصيلة) لهذا العام كانت اكثر خصبا وعطاء، في التناول والحوار، وايجابيات الطرح في الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

لا شك ان الموقع المتميز للمملكة المغربية والمكانة الراقية التي تبوأتها كل ذلك رشحها لتكون جسراً للتواصل بين الشرق والغرب، الشمال والجنوب، جسر تواصل بين الحضارة الاسلامية بكل معطياتها الخيرة وبين حضارات أمم الغرب.

وهذه الخصوصية في الموقع والمكانة نسجت بدورها خيوط الاطروحات العلمية والفكرية والحضارية والسياسية والاجتماعية التي ينبغي طرحها للنقاش والتداول.

ويأتي كل هذا من منطلقين اساسيين:

الأول: عربي - عربي.

الثاني: عربي - اوروبي.

المنطلق الاول: يتمثل في الحوار مع النفس، في مجالات عطائها المعرفي والانساني، إيجاباً وسلباً، وهذه صيغة راقية في تأكيد الهوية الصادقة المثلى.

أما المنطلق الثاني فيتمثل في حوار الحضارات كما يسمى (الحضارة الاسلامية والعربية) و(الحضارة الاوروبية والغربية).. وذلك بهدف التآخي والتعايش السلمي، والتلاقح الفكري والمعرفي والانساني.

منتدى أصيلة لهذا العام كان ثرياً وخصباً، فقد تناول المنتدى اربع



جانب من ندوة أصيلة



الأمير بندر بن سلطان



أ. عثمان العمير

الشاعر بلند الحيدري

ندوات أساسية هي:

١ - العرب والأمريكيون في الاعلام العربي والأمريكي):

وهذه نظمتها جامعة المعتمد بن عباد الصيفية بالتعاون مع جريدة الشرق الاوسط وافتتح فعالياتها صاحب السمو الملكي الامير بندر بن سلطان سفير خادم الحرمين الشريفين في أمريكا.

٢ - (بلند الحيدري وحركة الشعر العربي المعاصر):

نظمها المنتدى الثقافي العربي الافريقي في أصيلة بالتعاون مع مجلة المجلة.

٣ - (العولمة والخدمات الاقتصادية ومستقبل العالم العربي).

٤ - (المدينة الاسلامية والتخطيط الحضري المعاصر).

ومن ايجابيات لقاء هذا العام في أصيلة أن أعلن عن قيام (مؤسسة منتدى أصيله) وهي كما قال عنها الاستاذ محمد بن عيسى - سفير المملكة المغربية في أمريكا - هي مؤسسة ثقافية دولية غير حكومية تهدف الى توفير سبل البحث والتواصل والحوار بين الثقافات والحضارات.

وهي محطة جديدة على الطريق السيار بين الجنوب والشمال والشرق والغرب.. وستوفر هذه المؤسسة شروط التلاقي والعمل الجماعي بين العاملين في حقل العلوم والفنون والآداب من مختلف الثقافات والحضارات والتوجهات والمشارب الفكرية والثقافية والعقائدية والسياسية.

أما الدكتورة عزيزة بناني (عميدة جامعة المعتمد بن عباد الصيفية)

فتحدد لقاءات المفكرين في المنتدى بأنها تشريح لمكونات العلاقات بين الشعوب والسعي الى الاحتكاك الحضاري بينها.

وتجديد اللقاء داخل فضاء ثقافي خصب.. ولقد كان لجريدة الشرق الاوسط دور فاعل في فعاليات هذا المنتدى بمشاركتها ومساهمتها فيه، ويوضح ذلك الاستاذ عثمان العمير رئيس تحرير جريدة الشرق الاوسط بقوله:

(إن مساهمتنا في هذا المشروع الذى نحتفل اليوم بافتتاحه تنطلق من قناعتنا في ضرورة تشجيع ورعاية كافة المؤسسات الحضارية الطموحة التي تخدم المحيط الاجتماعي والبيئة.. وتعمل على تأكيد مفاهيم التقارب والحوار وتخلق الفكر المناسب للأروقة التى يحتاجها التفاعل الثقافي».

افتتحت اعمال (منتدى اصيلة) بندوة (العرب والامريكيون في الاعلام العربي والامريكي) افتتح اعمال هذه الندوة صاحب السمو الملكي الامير بندر بن سلطان.

وجاء في كلمته:

«ان كلامنا بدوره مرتبط ارتباطا عضويا بتقاليده واساليب حياته فأمريكا لا تستطيع ولن تتمكن ابدا أن تعيد صياغة شعوب اخرى على صورتها عندما تكون جذور هذه الشعوب ضاربة في اعماق التاريخ وتنتمي الى حضارات عريقة وبالمثل لا يمكن للشعوب الاخرى أن تغير من امريكا.

وما قد يكون ملتزما بمعايير «الصواب» السياسي ومتمتعا بقيمة رفيعة لدى مجتمع من المجتمعات أو حضارة باكملها كالغرب مثلا، قد يكون في الوقت نفسه امرا دخيلا على ثقافات اخرى عظيمة وعريقة وحضارات تنتشر عبر معظم ارجاء المعمورة، بل قد يكون مصدرا لزعزعة الاستقرار وسببا في هلاك تلك الثقافات والحضارات في نهاية المطاف.

يجب على كل منا ان يتفهم اساليب حياة وتفكير الآخر حتى في الوقت الذى قد يؤكد فيه ويعزز من أساليب حياته وتفكيره. ولكن وكما يحدث في واشنطن بصورة متزايدة يوجد توجه لاصدار التقارير التي تنتقد الآخرين، مع ان الدافع الحقيقي الغالب وراءها هو ارضاء دائرة سياسية اخرى تنشط في الميدان السياسي الخاص بناشريها، ولكن هذا النقد الآتي من جانب واحد لن يستطيع ابدا أن يغير من التيارات السياسية التاريخية الاعمق، والعريضة عرض المحيطات، او أن يبدل احوال الثقافات والحضارات الأخرى الضاربة الجذور.

ولا ينتج في الثقافات الاخرى في اغلب الاحوال عن هذه المناهج في التعامل مع الغير، سوى ردود فعل تأتي بعكس المأمول. وبذلك تعمل هذه المناهج على تعقيد المشكلة لا على حلها. فلتقريب الفجوات الثقافية والدينية وغيرها مما يزخر به عالم اليوم، لا يزال بناء الجسور - لا المواقف المتجمدة او المحاضرات من طرف واحد - هو اكثر السبل اثمارا إن لم يكن السبيل الفعال الوحيد للتعامل مع مثل هذه الجوانب الحساسة». وهذه الندوة كانت اكثر الندوات حساسية وفاعلية، فقد كان النقاش فيها صريحا وواضحاً.. واشترك فيها جمهرة من الإعلاميين والمثقفين والمفكرين وعلماء الاجتماع.

وكان المحور الأساسي ان صورة العربي في وسائل الاعلام الامريكية بخاصة والاوروبية بعامة صورة بالغة السوء. فلمن يرجع هذا؟ هل الاعلام الغربي والامريكي يقصد إلى تشويه صورة المسلمين والعرب لاغراض وتداخلات؟ هل العرب والمسلمون انفسهم كان لهم الدور في تشويه صورتهم لما يصدر من بعضهم من متناقضات؟

هل يرجع الأمر إلى الخلافات الحادة بين العرب، ومردود ذلك على الخارطة السياسية سلبا وايجاباً؟

هل لنقص المعلومات عن العرب كما يقول بعض المحاورين؟ هل يرجع ذلك للخلافات العربية - العربية التى أضعفت كثيراً الصوت العربي؟ لا شك أن كل ذلك، أو شيئاً من كل ذلك كان له الاثر البالغ في تشويه صورة العرب، وصورة المسلمين في الاعلام الغربي.

منتدى هذا العام في أصيلة، كان طفرة تجديدية في طبيعة الاداء والعطاء، واستطاع ان يرسخ قيماً طيبة في الحوار، وبخاصة مع الآخر.

أستاذنا.. عند حسن الظن به:

الأخ نبيه بن عبد القدوس الانصاري - حفظه الله.

صاحب مجلة المنهل ورئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد:

تلقيت رسالتكم الكريمة رقم ٢٣٨٦ المؤرخة في ١٤١٨/١/٢٦هـ ومعها ثلاثة أعداد من مجلة المنهل.

(أ.د/ يوسف القرضاوي)

وإني لا يسعني الا أن اشكر لكم كريم خطابكم وما يحمله من كلمات عن شخصي المتواضع، ادعو الله ان اكون اهلا لها، وان اكون عند حسن ظنكم بي.

وفقكم الله وسدد خطاكم ونفع بكم.. مع خالص تحياتي وشكري.

والسلام عليكم ورحمة الله

الجواهري .. الصوت الخالد (١٨٩٩م - ١٩٩٧م)

الجواهري، صدى الصوت الذكي، هذا الذي قد بقي .. صوت قوي جهور يتردد في وجدان محبي شعره.. بل، محبي الحرية، وكارهي الظلم، والاستعلاء البغيض.. محمد مهدي الجواهري الشاعر العملاق، ولد في العراق في مدينة النجف في ١٨٩٩م.

منذ أن شبَّ عن الطوق، وعرف الشعر، وجرت كلماته على لسانه، كان واضح الرأي، شديد التمسك برأيه.. ولقد جلب عليه هذا كثيراً من المتاعب في حياته.

وأول مواجهته للمتاعب كانت في عام ١٩٢٧م حيث نظم قصيدة يذم فيها العراق، ويمدح ايران مما ادى الى فصله عن العمل وما كان ليرجع للعمل لولا وساطة من ساطع الحصري مدير المعارف العام آنئذ.

في عام ١٩٢٣ نشر كتيبه (حلية الأدب) تضمن معارضات لقصائد متنوعة لعدد من كبار الشعراء المعاصرين.

في ١٩٣٠م أصدر جريدة (الفرات) ثم أسماها بعد ذلك (الرأي العام).. في ١٩٤٦ أصدر جريدة (صوت الدستور)، ثم جريدة (الجديد) في عام ١٩٥٣م.. وفي العام ١٩٥٦ هجر العراق الى دمشق حيث اتخذها وطناً له بعد ان غضب عليه النظام في العراق وأوكل إليه فيها تحرير جريدة (الجندي).

وفي سوريا انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء ونقيبا للصحفيين.. سافر الى لندن واقام فيها عدد سنين، ثم تركها إلى باريس، ثم الى القاهرة، ثم الى تشيكوسلوفاكيا حيث اقام هناك في مدينة براغ سبعة أعوام.

في ١٩٦٨م عاد الى العراق وانتخب أيضاً رئيساً لاتحاد الادباء العراقيين، ثم اختلف مع الحكومة القائمة آنئذ، فترك العراق الى براغ ثانية حيث أقام فيها مدة ثم رحل الى دمشق واقام فيها حتى وفاته في ١٩٩٧م ودفن في مقبرة الغرباء في السيدة زينب في دمشق.

هذا هو الجواهري، تقلبت به الحياة، ولم يستقر له قرار.. كان طموحاً طموح صاحبه الذى أحبه (المتنبي) وطموحه هذا جلب عليه الكثير من المتاعب والمشاكل.

الجواهري تشرب حب القديم في أزهى عصوره، وفي أدق صوره.. واستطاع بعبقرية الشاعر الفذ أن يوظف هذه التقليدية الشعرية لرسم صورة حيّة عن حياة جيله وقومه في العراق وامته العربية بعامة.. وظّف شعره لاعلاء قيم الحرية ومحاربة الظلم وأهله والاستعمار والاستعلاء الأحمق بكل أشكاله، لقد كان الجواهري أنموذجاً شعرياً قوياً، ملك شعرية ذكية باذخة.. وتميز شعره بالسلاسة والجزالة وحسن الديباجة وقوة العبارة والمخيلة.

قصيدة الجواهري كثيراً ما أثارت حولها الجدل والخصومة وما يمكن قوله ان شعره امتزج بهموم أبناء وطنه العراق بخاصة، واهله في العروبة بعامة.

الجواهري الشاعر الفذ.. رحمه الله وأحسن إليه ..

وبركاته..

(أ.د/ يوسف القرضاوي)

** المنهل:

لأستاذنا العالم الجليل الدكتور القرضاوي نسوق الشكر موصولا، سائلين الله جلت قدرته ان يسدد الخطى، ويجزل المثوبة، ويكثر النفع.. آملين التواصل العلمي والفكري لأستاذنا الجليل مع مجلته المنهل.

** مع خالص الأمنيات:

الصحافة عشق وهم .. وأمانة كلمة..

وكثيرا ما نردد «كان الله في عون رؤساء التحرير»

ثلاثة من عشاق الصحافة تمَّ اختيارهم لتولي رئاسة التحرير في صحيفتين ومجلة اسبوعية..

الدكتور عبد الرحمن بن سعد العرابي الحارثي تولى رئاسة تحرير جريدة (الندوة).

الدكتور أحمد بن عبد الله اليوسف تولى رئاسة تحرير جريدة (سعودي جازيت).

الاستاذ محمد صادق دياب تولى رئاسة تحرير مجلة (اقرأ).

لهم جميعاً خالص أمنياتنا بالتوفيق وسداد الخطى.. وكان الله في عون الجميع



محمد دياب — احمد اليوسف — العرابي الحارثي

** معهد العلوم الإسلامية في أمريكا:

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقوم بجهد كبير ومقدر في حركة نشر الدعوة الإسلامية في قارات العالم، وذلك بانشائها لمجموعة كبيرة من المعاهد الاسلامية التى تقوم بحركة الدعوة

الاسلامية وتعليم الدين واللغة العربية.
وضمن هذا النشاط المتفرد فقد عقد معهد العلوم الإسلامية في امريكا الدورة الشرعية المكثفة للأئمة والدعاة ومسؤولي الجمعيات والمراكز الاسلامية.

وعقدت هذه الدورة في شهر ربيع الفائت ١٤١٨هـ في مدينة بوينس ايرس بالارجنتين.
وأشرف على هذه الدورة الدكتور سليمان الجار الله مدير المعهد. وناقشت الدورة مجموعة من قضايا الاقليات المسلمة وواقعهم وما ينبغي ان يكونوا عليه.

وحضر افتتاح هذه الدورة رئيس مجلس الشيوخ في الارجنتين ومجموعة من اعضاء المجلس وسفير خادم الحرمين الشريفين في بوينس ايرس.

** اللغة العربية في بكين:

المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (ايسيسكو) وفي اطار التعاون مع الجمعية الاسلامية الصينية وجمعية اقرأ الخيرية عقدت في الشهر الفائت دورة تدريبية لمعلمي اللغة العربية والتربية الاسلامية للعاملين في المدارس الاسلامية في الصين، وذلك بغرض رفع الكفاءة العلمية في مجال الدراسات العربية والإسلامية .
ويأتي هذا العمل ايذانا بعقد مجموعة من الندوات والدورات العلمية في الصين، ولتنشيط حركة المسلمين وتعليمهم امور دينهم وربطهم باللغة العربية لغة القرآن الكريم ليكونوا على بينة بأمور دينهم.

** الندوة الفقهية الطبية التاسعة:

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في المغرب بالاشتراك مع مجموعة من المنظمات والمؤسسات الإسلامية ذات الصلة عقدت ندوة بعنوان (رؤية اسلامية لبعض المشكلات المعاصرة) وكان موضوع الاستنساخ البشري قد شغل حيزاً كبيراً من اعمال ومناقشات هذه الندوة.. وتناولت الندوة الموضوع من جوانبه العلمية والتطبيقية والفقهية الشرعية والاجتماعية القانونية.
وتأتي هذه الندوة في محاولة لتقصي جزئيات ودقائق هذا الموضوع لأهميته وخطورته واتصاله المباشر بالانسان وطبيعة علاقاته الاجتماعية والانسانية وتكيفه الفقهي والقانوني والأسري.
ومع التطورات الحاصلة في هذا الموضوع منذ استنساخ جنين بشري بطريقة «الاستتآم» عام ١٩٩٣م، مرورا بالاعلان في فبراير (شباط) الماضي عن استنساخ النعجة «دوللي» بعد زهاء ثمانية اشهر من الكتمان، والاعلان أخيرا عن استنساخ قردين بطريقة اخرى في جامعة أوريغون بالولايات المتحدة، عاد موضوع الاستنساخ الى الواجهة واصبح يطرح نفسه بشكل حاد وعاجل، خصوصا ان هذه التطورات اظهرت بجلاء أن الثقافة المستعملة فى هذا المجال اصبحت وافية باجراء نفس التجربة على الانسان، ومن ثم كانت الحاجة الى استباق الأمر بالتعرف على آثاره المتوقعة ووضع الضوابط الشرعية والقانونية والأخلاقية له.
لذلك رأت المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية أن تبادر ببحث الموضوع واعداد الطريق وتعبيده في أفق المؤتمر القادم لمجمع الفقه الاسلامي.
وعمليات الاستنساخ تكتنفها مجموعة من المحاذير ابرزها خلخلة النظام الاجتماعي والأسرى، ونظام القرابات والصلات والمواريث والأنساب، والهياكل الأسرية المتعارف عليها في الشريعة الإسلامية.
وبناء على هذه الاعتبارات رأى بعض العلماء المشاركين في الندوة تحريم الاستنساخ البشرى جملة وتفصيلا، بينما رأى آخرون ابقاء فرصة لاستثناءات اذا ثبتت لها فائدة واتسعت لها حدود الشريعة على أن يتم بحث كل حالة على حدة، وخلال الندوة تم تسجيل ردود فعل الدول الغربية التي تعاملت في مجملها مع الموضوع بحذر شديد، فقد ذهبت بعض هذه الدول الى منع ابحاث الاستنساخ البشري منعا كليا، وذهب بعضها الى عدم دعم هذه الأبحاث من ميزانية الدولة، في حين قام البعض الآخر بتجميد هذه الأبحاث حتى تستكمل دراستها من طرف اللجان المختصة للنظر في عواقبها وآثارها.
وعبر المشاركون في الندوة عن تخوفهم من سعي رأس المال الخاص وشركات الأدوية العالمية إلى تخطي هذا الحظر في الدول الغربية بتهيئة الأموال واستمرار الأبحاث في دول العالم الثالث واستغلالها حقلا للتجارب البشرية كما جرى في العديد من السوابق وناشدت الندوة الدول الاسلامية بسن التشريعات القانونية اللازمة لغلق الأبواب امام الجهات الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الاسلامية ميدانا لتجارب الاستنساخ البشري، ودعت الى تشكيل لجان متخصصة في مجال الأخلاقيات الحياتية لاعتماد بروتوكولات الأبحاث في الدول الاسلامية واعداد وثيقة قانون حقوق الجنين.

وأكدت الندوة أن الاسلام لا يضع حجرا ولا قيدا على حرية البحث العلمي اذ هو من باب استكناه سنة الله في خلقه وهو من تكاليف الشريعة. ولكن الاسلام يقضي كذلك بألا يترك الباب مفتوحا دون ضوابط امام دخول تطبيقات نتائج البحث العلمي الى الساحة العامة بغير أن تمر على مصفاة الشريعة لتمرر المباح وتحجز الحرام. فلا يسمح بتنفيذ شيء لمجرد أنه قابل للتنفيذ بل لابد أن يكون خاليا من الضرر وغير مخالف للشرع.

أما مجمع الفقه الاسلامي فقد حرم الاستنساخ البشري.

** **المنهل:**

هذه رسالة محب، تَعلَّق فكره بالمنهل وهو شاب، وظل يطلع عليها ويراقب صدورها.. بل ظل على اتصال بمجلته المنهل، وسعدنا بأول رسالة منه يطلب فيها بعض الأعداد الخاصة، وشعرنا بجده وصدقه.

وهذه الرسالة على رقتها وجمال أسلوبها، بل وجمال خطها وتنسيقها، فهي تعطي أنموذجا راقياً لشاب شغل وقته بالعلم وطلبه، والاجتهاد في الحصول عليه.

وحسبنا أن تكون تجربته هذه سبيلا لاقتداء الكثير بها من الشباب، فيجعلوا القراءة الناضجة نصيباً من وقتهم.

والرسالة ننشرها هنا بطولها، ونسعد بما جاء فيها من مقترحات وآراء وضعها صاحبها على استحياء، وسنجعل مقترحاته مكان اهتمامنا باذن الله تعالى.. أما الأعداد المطلوبة فقد سعدنا بارسالها له.

الاستاذ/ نبيه بن عبد القدوس الانصاري ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

هذه الإطلالة المباركة التي تجاوزت الستين عاماً أطال الله عمرها وعمر القائمين عليها، لي مع مجلتكم قصة إن لم أطل عليكم فهي أولا مدرسة تلقيت فيها الكثير من المرتكزات والتقيت عبر صفحاتها مع كبار أدباء وعلماء الأمة شرقا وغربا شمالا وجنوبا، ومن حسن المقال هنا أن أذكر أن أول عدد وقع في يدي من هذه المجلة هو من الجزء ١٢ ذي الحجة ١٣٩٢هـ، ديسمبر/ يناير ٧٢ ـ ١٩٧٣م وهو عدد خاص عن رحلات الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز رحمه الله إلى افريقيا في جهاده المبارك، طالعت ذلك العدد عام ١٤٠٦هـ وكنت حينها في العاشرة من عمري وكان غاية رغبتي حينها التأمل في الصور والاشخاص ثم أخذت أقلد الخطوط الجميلة التي كان يخطها يراع الخطاط البارع خوجه والذي لازلت استفيد من طريقته وخطوطه إلى اليوم، إضافة إلى النخبة من الخطاطين هاشم البغدادي رحمه الله، ويوسف خطاط مجلة الفيصل وغيرهما.

هذا من ناحية البداية مع المنهل، وفي عام ١٤١١هـ خلال حرب الخليج قرأت مقابلة شخصية مع رئيس التحرير شخصكم المبارك في جريدة (عكاظ) تحدثتم خلالها عن مسيرة مجلة المنهل وسرعان ما قفز إلى خاطري ذلك العدد القديم فبحثت عنه في مكتبة والدي حتى وجدته وأخذت أقلب صفحاته في شوق الى الإقتراب من شخصية المجلة بعدما تأكدت من أنها لازالت على قيد الحياة، ولميلي الشديد الى الشعر أخذت اقرأ قصائد العدد لـ (محمود عارف ـ ومحمد بن علي السنوسي رحمه الله وأحمد الغزاوي رحمه الله وغيرهم) ثم رجعت ثانية إلى (عكاظ) اتصفحها وأقرأ المقابلة التي شدتني كثيراً وأعادت إليّ روحاً ثقافية ومنفذاً مليئاً بالعلوم والثقافة في أوسع ميادينها وعلى غير ميعاد جاء في عدد رجب ١٤١١هـ الذي أوصيت فيه أحد الأصدقاء كأول عدد أحصل عليه شخصيا من مجلتي الرائعة وقد اشتمل كما أشرت سابقا على ما لم أكن أتوقعه (عرض عن الأعداد الخاصة والممتازة للسنوات الماضية وبكميات محدودة فسارعت إلى إرسال مبلغ زهيد من المال اطلب ٣ أعداد منها اذكر أنها (الدعوة والدعاة ـ اللغة والحضارة والتراث ـ الأثر والآثار) وفعلا جاءتني الأعداد المذكورة ولكن بطريقة عجيبة وسر لم أكتشفه إلا بعد أن راجعت صورة الرسالة التي أرسلتها حيث جعلت لي عنوانين أحدهما للمدرسة التي كنت فيها وهي متوسطة فيفاء والعنوان الثاني عنوان احتياطي وهو لمحل تجاري فإن تعذر ارسالها أي الأعداد المطلوبة ـ على عنوان امكن على الآخر حيث أن الإجازة تبدأ والمدرسة ستغلق أبوابها فلا يمكنني الحصول على الرسالة إلا عن طريق المحل التجاري وهو العنوان الثاني، عند ذلك ووفاء منكم وأداء للعلم الذي حملتم أمانته ـ احسبكم كذلك ـ فقد أرسلتم مشكورين نسختين من كل عدد كل نسخة من الثلاثة أعداد على عنوان ولا أنسى ذلك اليوم الذي وصلتني فيه الرسالة إلى المدرسة ولا أذكر هل كانت الأسبق أم الرسالة الأخرى إلى المحل

التجاري - المهم أن المدير استدعاني وكنت حينها في الصف الثالث المتوسط وعمري يقترب من الخامسة عشرة وكان يراني صغيراً على هذه المجلات فاستدعاني إلى الإدارة وحياني وأراني الطرد الذي يحتوي على الأعداد الثلاثة المطلوبة، وقال: ما الذي بداخل هذا الطرد؟ فرأيت اسم (المنهل) على الظرف فقلت (مجلة المنهل) قال: ماذا طلبت منهم؟ قلت: بعض الأعداد القديمة التي صدرت في موضوعات متخصصة كالتراث والآثار والدعوة، فقال: هل تأذن لي بفتحها؟ قلت: نعم ففتحها وأخذ يتصفحها وأرجعها في الظرف وناولني إياها وهو يبتسم وقد وعيت من تلك الابتسامة التشجيع والإعجاب، فأخذتها والفرحة تغمرني مرتين الأولى: لوصول هذه الأعداد إلى يدي وزرع الثقة الذي حصدته مجلة المنهل في نفوس عشاقها، والأخرى للمناقشة التي دارت بيني وبين المدير على مرأى ومسمع من بعض الإداريين والمدرسين.

وللعلم فذلك المدير هو الأستاذ والشاعر/ حسن فرح الفيفي الذي تحدثت عنه دراسة في مجلتكم عام ١٤٠٦هـ في أحد أعدادها والدراسة كانت عن الشعر في جنوب الجزيرة ولا يحضرني الآن اسم الكاتب أو رقم العدد.

المهم أن تلك الوقفة التي حظيت بها رسالتي والأعداد التي حصلت عليها شجعتني على المزيد من التواصل فأرسلت اشتراكاً سنويا لمدة سنة عن طريق صديق لي في مدينة الرياض وتواصلت المجلة حتى انتهت سنة كاملة ثم جاءت الوقفة الثانية من (المنهل) وذلك بإضافة سنة ثانية مجاناً ثم بعد ذلك انقطعت عني المجلة ثلاث سنوات أو أربع المهم اني انشغلت بالدراسة وظروف المادة وبدأ الحنين والشوق إلى هذه المجلة يتجدد ولكن ما باليد حيلة ولما قدر الله لي العودة إلى رحاب منهلكم أخذت أحرص حرصاً شديداً على أن لا يفوتني أي عدد بدءاً من العدد ٥٣٤ الربيعان ١٤١٧هـ وحتى رمضان ١٤١٧هـ وشوال وذي القعدة بإذن الله و... الى أن يشاء الله.

أخي نبيه/ لعلي قد أطلت عليك ولكني أرجو المعذرة فهكذا حديث المحبين لا يزداد إلا حرارة وشوقاً عند مخاطبة المحبوب.

ثم كان الشعر:

دفعني ذلك الكم الهائل من شعراء المنهل (محمد حسن فقي حفظه الله - بهاء الدين الأميري رحمه الله - يس قطب الفيل - حسن الأمراني - عبد الله سليم الرشيد) وغيرهم - دفعوني بإبداعهم إلى اقتحام ساحة الشعر، فبدأت متطفلا وبالتحديد ١٤١١هـ ومستعينا ببعض الألحان التي علقت بذهني من الأناشيد الإسلامية فكتبت ابياتاً مهلهلة تبدأ بموضوع وتنتهي بعشرين، مرة في بحر ومرات أخرى في صحراء!.

حتى بدأت الموهبة تأخذ حيزاً واسعاً من اهتماماتي واكتمل الجنين في السنة الثالثة الثانوية عام ١٤١٤هـ عندما درست العروض وكانت البداية على ورقة الاختبار فجاء أحد الأسئلة يطلب الاستدلال ببيت من الشعر على بحر من البحور وكنت حينها لم أحفظ بعض الشواهد فعزمت على أن اكتب من قريحتي فأخذت المسودة وهي الصفحة الأخيرة من دفتر الإجابة وبدأت أمارس التقطيع على ما كتبت ثم اثبته بعد أن سبقته بكلمة قال الشاعر:!

والمفاجأة: أن درجة الاختبار كانت كاملة وحفظت هذا السر في نفسي إلا من بعض الأصدقاء ولكن ما احزنني أني نسيت تلك الأبيات!. هذا عن المخاض أما الولادة الحقيقية فكانت لقصيدة في حفل المعهد العلمي بعنوان (روضة الشريعة) لم ألقها في الحفل لطولها ٣٢ بيتاً وذلك في المحرم ١٤١٥هـ ثم شاركت بها في مسابقة العمادة بفرع جامعة الإمام في أبها عام ١٤١٦هـ وحازت على المركز الثاني، أقول هذا شهادة لمنهلكم بأنه استاذي ومدرستي ، هذه شهادة مجروحة في جنب (المنهل) ولكن لعلها ترد بعض الجميل.

نبيه عبد القدوس - حفظه الله - هذه الرسالة عربون إخاء وقطرة من بحر عشق خضته ولازلت في تألق منهلكم غير أن لي عتاباً عليكم سأورده في (اقترحات وملاحظات) ولكن قبل ذكر العتاب أحمد إليكم الله واشكره ثم اشكركم على ما قمتم به نحوي سابقا وعلى ما تبذلونه نحو طلاب الثقافة والمعرفة في شتى ميادينها.

وفي ختام هذه الرسالة هذه اقتراحات وملاحظات أسوقها وفاء ومشاركة في بناء منهلنا المبارك لعل صدوركم تتقبلها وتغفر قسوتها:

أولاً: التطوير الذي وصلت إليه المجلة رائع جداً وإخراج الصفحات والغلاف فوق الممتاز ولكن بقي شيء واحد وهو أن رقم العدد والمجلة والسنة غابوا عن الصفحات كما كان في السابق

ولا يخفى عليكم أهمية ذلك.
ثانيا: وأيضا لا أدري لماذا اختفت بعض الأبواب الجيدة بل الممتازة من المجلة مثل (ومضات) - (مناقشات ومتابعات) فباب منكم وإليكم لا يفي بالغرض فالإبداع لم يعد يجد التشجيع بعد أن كان في السابق يحظى باهتمام واضح في (ومضات) نرجوا أن يعود قريباً.
ثالثا: اقترح جعل عدد خاص يتحدث عن (المذاهب الفكرية والأدبية في العالمين العربي والإسلامي).
رابعا: أدب الرحلات باب واسع في ثقافتنا وله اهتمام كبير حبذا لو استكتبتم أحد مشاهير الرحالة المسلمين لكتابة رحلاتهم مثل الشيخ حمد الجاسر أو العلامة ابو الحسن الندوي أو غيرهما صحيح أن الشيخ العبودي يكتب في ذلك لكن كتاباته منقطعه بعض الأحيان كما أنها تصب في الدعوة في أغلبها وذلك لا غبار عليه ولكن مثلا لو أضفتم إلى ذلك رحلات المؤرخين أو الأدباء الذين يشاركون مع العبودي ويكون منهج الجميع متكاملا فمذكرات ورحلات في الدعوة وأخرى ادبية وتاريخية واستكشافية .. هذا مجرد وجهة نظر.
وختاما:
هدية الى مجلة المنهل:
هذه هدية عبارة عن مقطوعة متواضعة قد لا ترقى إلى مستوى هذه المجلة الماتعة ولكن اقبلوها على أنها جهد المقل ومحاولة المتعثر، أو فإن لم ترق إلى دخول صفحات المدرسة المنهلية فيمكن أن تفردوا لها مكاناً على مكتب البواب فحسبها أن تكون قريبة من المنهل:

في المنهل العذب المصفى صبوة
فالعشق فيه يرد أنفاس العليل
تاهت قوافي الشعر فيما مدحه؟!
أفاق مجد - في الظلام - هي الدليل
يا موئل العقلاء يا مأوى النُّهى
يا راية التأصيل الماضي الأصيل
أحببت فيك موارداً ومصادراً
فانعم بحبي واسكن الظل الظليل
بالثابتين[1] - الوحي - عروة أصله
مستمسك فالحق في شرع الجليل
ما إن رسى فوق السطور وزفه
أنصار[*] أحمد إذ به يهوى الصهيل
سطعت على جنباته قمم الذرى
ابداً وفكراً باعهم فيه طويل
قلمي يحاذر أن يزلّ ولوعتي
تأبى الوقوف وتنشدُ الحرف الجميل

طلب أخير..
كما أشرت سابقا فإن اعداد ١٤١٤هـ - ١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ.
لم أحصل عليها وأنا الآن أضع أمامكم هذه المشكلة ، لعلكم تجدون لي الحل فإن أمكن أن ترسلوا لي اعداد هذه السنوات منفردة أو مجلدة بدون مقابل فأنا شاكر لكم ومقدر وإن لم يكن ذلك ممكنا فأرجوا إعلامي بتكلفة الحصول عليها مجتمعه حتى نهاية شهر صفر ١٤١٧هـ وايضاً اعلامي بتكلفة الأعداد المتخصصة والممتازة خلال هذه الأعوام وسأكون شاكراً لكم.
وتقبلوا تحياتي واحترامي .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم / عبده بن علي حسن العمري
فيفاء / المعهد العلمي

هوامش:

(١) الكتاب والسنة.
(*) اشارة الى نسب المؤسس وولده المنحدر حسب علمي من (الأنصار) رضي الله عنهم.

الشرك الأصغر:

الخير أمر محمود جهرا كان أم سرا، رآه الناس أم لم يروه، وأعلى درجاته هو ألا يراك أحد عند صنعه؛ ساعتها ينتابك شعور عظيم لو أحس به المراؤون ما أقدموا على الرياء يوما ما.
يشعر المراؤون بسعادة وقتية عندما يصنعون الخير ويثني عليهم الناس، ولكن ينتابهم شعور بالنقص إذا ما صمت المادحون.
أما غير المرائين ممن يصنعون المعروف خالصا له رب العالمين، يظلون في غمرة من السعادة والرضا تتجدد بتجدد عمل الخير وكلما تذكروا السعادة الغامرة التي لحقت بمن صنعوا لهم الخير.

المراؤون قليلو عمل الخير لأنهم لا يقدمون على فعله إلا كلما سنحت الفرصة للمراءاة، ويقاس فعلهم الخير على قدر ثناء المادحين.
أما غير المرائين فكثير عمل الخير عندهم؛ إذ الخير ينبع من أعماق نفوسهم، فكلما تدفق الخير بداخلهم ظهرت بوادره على أياديهم ناصعة البياض طاهرة من كل دنس أو رجس.

المراؤون ينتظرون (ردّ الجميل) - كما يقولون - علاوة على ما أخذوه من ثناء وتمجيد أثناء عملهم الخير وبهذا فهم يأخذون حقهم ضعفين من غير وجه حق.
أما الصادقون فلا ينتظرون من فعلهم إلا رضا الله - وأنعم به من نعمة - ولهذا فقلوبهم صافية وعقولهم ليست مشغولة - دائما - برد الجميل.
كثر الرياء في زماننا، وهو أكبر دليل على ضعف إيمان صاحبه بل هو الشرك الأصغر بعينه.
تُرى هل وعينا الدرس؟!!

عبد الهادي بلاسي - جدة

استطلاع

البيزرة

الصيد بالص

د. عبد الحميد شقير

- سوريا -



{يسألونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مُكلبين تُعلمونهن مما علمكم الله . فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب} (المائدة/٤).

عندما سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة عن أحب أنواع الطيور إلى قلبه قال: أحب الصقر الطويل النفس، الأسود الجنس، إذا صاد أشبع، وإذا أمات أوجع، يصيد الكبير ويعفو عن الصغير.

وهذه العبارة تلخص ميزات الصقر الجيد حتى وقتنا الحاضر.. وهي ميزات يضعها دائماً في الحسبان هواة الصقور، فهم يقتنون أنواعاً عديدة من الصقور أحسنها هو ما كان عظيم الهامة، دامع العين، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر، ممتلىء الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، سبط الكف، قريب العقدة من الفقار، طويل الجناحين، قصير الذنب، غليظ الأصابع، أسود اللسان.

الصقر .. في لغة العرب:

ورد في كتاب «المصايد والمطارد» أن الشاهين والزرق واليؤيؤ والباشق كلها صقور .. وهذا يوضح لنا أن العرب كانوا يسمون كل طائر جارح صقراً .. ويؤكد ظننا هذا ما جاء في كتاب «الصيد والطرد عند العرب» مع أن العرب تسمي كل طائر صيد صقراً ما خلا النسر والعقاب .. ولكنهم بدأوا يميزون الصقر عن غيره .. بل ويضعون لكل نوع من الصقور صفاته واسماءه وخصائصه.

والصقر اسم شائع لأحد أنواع الطيور الجارحة من عائلة «الصقريات» إلا أن المراجع اختلفت في عدد أنواعه .. ففي حين يذكر كتاب «الطيور» من موسوعة «الحياة Lifeå» أن عدد عائلات الصقريات هي خمس وعدد أنواعها ٢٧٤ نوعاً نجد أن «دائرة المعارف العالمية» تقول ان عددها ستون فقط.

أما العرب فقد اختلف علماء الصيد لديهم في عدد الجوارح وأنواعها وأسمائها .. فقد عمد «كشاجم» في كتابه «المصايد والمطارد» إلى تقسيمها الى فصائل لكل منها أنواعها.

إلا أن «القلقشندي» خالف «كشاجم» فأوصل عددها الى خمسة عشر جارحاً .. وحذا حذوه كتاب «الصيد والطرد عند العرب» لكنه أوصل العدد الى نيف وعشرين.

وتقول العرب للصقر: الحر، الأجدل، الأكدر، الهيثم، المضرجي، القطامي، الأسفع، الزهدم. وقد سمي بالأجدل لشدته .. وبالمضرجي لطول جناحيه وكرمه .. وبالقطامي لقطعه اللحم بمنسره.

وكنية الصقر: أبو شجاع، أبو الأصبع، أبو الحمراء، أبو عمران، أبو عوان.

الصيد .. في اللغة العربية:

يقصد بكلمة «الصيد» عند العرب أخذ الحيوان وتَصَيّده وطلبه كما تعني نفس الكلمة صيد البر والبحر أيضاً. وهذا مصداق قوله تعالى: {أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيّارة، وحُرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حُرُماً}.

أما كلمة «القنص» فهي بمعنى الصيد، حيث يقال قنص الصيد يقنصه قَنْصاً وقَنَصاً .. واقتنصه وتقنصه أي صاده .. والقنص هو ما اقتُنص .. والقنيص والقناص والقانص هو الصائد .. والقُنّاص جمع قانص.

ولو أننا حاولنا البحث في كتب اللغة عن أي فرق في المعنى بين كلمتي «صيد» و«قنص» لما وجدنا غير أنهما لفظان مترادفان لمعنى واحد .. إلا أن الجدير بالذكر أن شعراء العرب قد استعملوا لفظ «الصيد» لصيد البر والبحر معاً في حين قصروا معنى «القنص» على صيد البر وحده.

وكان للصيد منزلة عالية عند العرب، فكانوا يطلقون عليه اسم «اللذه» وفي ذلك يقول الشاعر:

كأني لم أركب جواداً للذة
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

الصيد بالصقور عند العرب:

اجمع الباحثون في البيزرة (وهي فن رياضة قنص الطيور والحيوانات الصغيرة بالصقور) على أن أول من صاد بالصقور ودربها كان الحارث بن معاوية بن ثور بن



- الشباب تستهويهم رياضة الصيد

كنده، فبينما هو واقف ذات يوم وبجانبه صياد نصب شبكته لاصطياد العصافير، وبعد أن اصطادت عصفوراً، انقض عليه أحد الصقور وأخذ يأكله، وما لبثت أن علقت الحبال بجناحي الصقر، فأخذه الحارث إلى بيته وصار يطعمه ويسقيه، ويحاول تعليمه القنص، وبينما هو سائر مرة بالطريق رأى الصقر حمامة فطار وراءها حتى أمسك بها والتهمها، فأمر الحارث بتعليمه وتهذيبه.. ومنذ هذه الحادثة عرف العرب رياضة القنص بالصقور، فكان أشهر من صاد في فجر الإسلام حمزه بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه وسلم).

أما في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - فلا نكاد نصادف أثراً لصيد أو قنص.. فقد كان الناس في شغل بدينهم عما اعتادوا أن يمارسوا في يوميات دنياهم العادية.

أما في سائر الدول الإسلامية التي اعقبت الخلفاء الراشدين، فقد كان للصقر عندهم منزلة عالية بحيث يكاد لا يخلو قصر خليفة من مكان له به، وكان الصيد بالصقور هواية العديد من الخلفاء وكبار القوم. وأخذت هذه الهواية مكانة خاصة لدى الخلفاء الأمويين الذين عرف عنهم حبهم للصيد، لدرجة أن المؤرخ المسعودي أشار إلى يزيد بن معاوية كعاشق للصيد وكصاحب لعدد كبير من الجوارح والكلاب والفهود. أما هشام بن عبد

الملك فقد بلغ من شغفه بالصيد أن جعل للصيد «صاحباً» مثل صاحب الشرطة وصاحب الحسبة.. الخ. وكان «صاحب الصقور» عنده هو «الغطريف بن قدامة الغساني».. وكان البعض يسمونه «صاحب صيد هشام بن عبد الملك» وكان الغطريف مرجعاً في علم فن الصيد في عصره.. وكثيرا ما وردت في كتب الصيد إشارات إليه تقول «قال الغطريف».

أما في العصر العباسي فقد حافظت هذه الهواية على مكانتها حيث كان الخليفة المهدي من أعظم الصيادين والخيالة بين الخلفاء العباسيين، لدرجة أن الشاعر أبا نواس أشار في كثير من قصائده إلى وصف رحلات قنص الخلفاء ووصف الجوارح وهي تنقض على فرائسها.

أما في الوقت الحاضر، فتعد رحلة الصيد بالصقور هواية محببة لأهالي الخليج العربي، وعادة يخرج الهواة لصيد الحبارى في مجاميع كبيرة لا تقل عن عشرين شخصاً، ويصل عددهم أحياناً الى ستين شخصاً أو أكثر ويتجهون بقافلة من السيارات الى أماكن الصيد.



ـ طائر الحبارى بين أيدى الصياد

وقد جرت العادة أن يتوزع هؤلاء فرقاً صغيرة في بقع الصيد المحددة، على أن تعود هذه الفرق لتجتمع في المساء في المقر العام حول القهوة والشاي وأحاديث السمر أو لاستقبال البارزين من أبناء المنطقة المجاورة بحيث لا تبقى الرحلة مقصورة على الصيد وحسب، بل تتحول الى مناسبة اجتماعية، بالإضافة الى ما يتخلل ذلك من متع وتسليات.

أساليب صيد الصقور:

هناك العديد من الأساليب والوسائل المعروفة التي يتم بواسطتها اصطياد الصقور نذكر منها:

ـ أخذ حمامة وعلى ظهرها رقعة ذات مخاطف أو أشراك تعلق بها قدما الصقر عند الانقضاض عليها. وإذا استطاع الصقر أن يهرب بالحمامة فلابد له أن يحط بها بعد مسافة قصيرة، فيأتي الصياد ويطرح عليهما ستاراً ويعمد بعد ذلك لالتقاط الصقر.

- وقد يعمد الصياد الى نصب فخ، بأن يضع صقراً صغيراً معصوب العينين حتى نصفهما حاملا ريشاً وأشراكاً، بحيث يظنه الصقر الكبير فريسة فينقض على هذا الطعم ويعلق.



- الصقور المدربة.

- ثم أن هنالك طريقة أخرى للصيد هي غرس شبكة في الرمل وفيها طعم، فيقتحمها الصقر ليجد نفسه عالقاً في الشبكة.

- أما الوسيلة الرابعة فهي مخبأ من سعف نخل فوق تجويف رملي يقيم فيه الصياد وقد مد إلى الخارج خيطاً في رأسه حمامة يحركها قليلا حين يرى الصقر، فينقض عليها الصقر، ويبدأ بنتف ريشها، في حين يأخذ الصياد بشد الخيط نحوه بيده المدفونة في الرمل حتى يصبح الصقر في متناول يده.

ان هذه الرياضة تتطلب الكثير من الصبر ورباطة الجأش. وقد تمر أيام عديدة تبلغ الأسبوعين، قبل أن ينجح الصياد باقتناص الصقر، حتى إذا تحقق هذا النجاح كان على الصياد أن يبادر إلى تغطية الصقر بغطاء من قماش، يسمى عباء، وأن يكمه فوق رأسه، شريطة أن لا يؤذي ريشه. وبحال عدم توفر القماش للتعميه، على الصياد أن يخيط جفني الصقر بتمرير خيط بأعلى الجفن الأسفل وشده فوق رأس الطير لاغماض العين، لان الجفن الأسفل لا الأعلى عند هذا الطير هو الذي يتحرك بعكس الحالة بالنسبة للانسان. وهنا لابد للصياد من اجتناب أذى منقار الطير، أو منسره. أما القطبة فتزول تلقائيا بعد نحو عشرة أيام.

تدريب الصقور:

ورحلة هواة الصيد بالصقور تبدأ عندما يحصل القانص على الصقر سواء بالصيد أو بالشراء، فعندئذ يبدأ تعليمه وتهذيبه.. وسنتناول باختصار طريقة تدريب الصقور .. بادئين بنبذة عن الأدوات المستعملة في ذلك:

١ - المخلاة:

وهي كيس من القماش يعلقها الصقار في كتفه .. وفيها يحتفظ بالحمام الحي الذي يستعمله في تدريب الصقر.. وفيها يحتفظ المدرب أيضاً بسكين نصله حاد وقاطع (كي

يذبح به الصيد عند اقتناص الصقر له) وغير ذلك من حاجياته الخاصة.

٢ ـ البرقع:

ويصنع من الجلد اللين .. وقد يتخذ أشكالا وألواناً جميلة.. وهو عبارة عن نظارة يضعها الصقار على وجه الصقر وبه فتحة صغيرة يخرج منها منقاره. ويثبت البرقع بواسطة «شداده» مصنوعة من نفس الجلد ـ وهي تمر بأسفل البرقع بشكل دائري وحتى طرفيه ـ وبها يثبت البرقع على وجه الصقر.

٣ ـ المنقلة:

وهي التي يحمل بها الصقار صقره على يده فتقيه مخالب الصقر الفتاكة. وهي تشبه القفاز (الكفوف) إلا أن الفرق بينهما أن المنقلة مفتوحة من الناحيتين ويستطيع الصقار ادخال يده فيها من الرسغ الى نهاية الزند.. كما أن فتحتها تساعده على إخراج أصابعه منها كي يطعم صقره.. وهناك نوع من الكفوف تكون عادة مفتوحة من ناحية واحدة فقط.

٤ ـ السبوق:

وهو خيط قوي سميك يبلغ ٣٠ سم ويتكون من قطعتين متساويتين طولا.. يربط أحد طرفيه برجلي الطير والطرف الآخر في «المرسل» الذي يكون مربوطاً في «الوكر» أو في «المنقلة». وهي تفيد في عدم تمكين الصقر من الهرب خصوصاً في أيام تدريبه الأولى.

٥ ـ المرسل:

وهو خيط أسمك من السبوق قليلا ويبلغ طوله حوالي ١٢٠سم ويتكون من ثلاثة أجزاء يفصل بينها مشبك من الحديد في منتصفه «صامولة» تدور في كل اتجاه وهي تسمح الصقر بالتحرك في جميع الاتجاهات.. والجزء الثالث من «المرسل» يكون مربوطاً في «الوكر» ومهمة «المرسل» تشبه «السبوق» في المحافظة على الصقر ومنعه من الهرب.

٦ ـ الوكر:

وهو عبارة عن وتد من الحديد مكسو من منتصفه بالخشب المزخرف وقمته اسطوانية الشكل محشوة من الداخل بالقش الطري ومكسوة من الخارج بالمخمل أو الجلد. وهو مجثم الصقر الذي يربطه إليه مدربه للراحة أو النوم.

بعد هذه النبذة عن الأدوات المستعملة في التدريب والصيد ننتقل الى كيفية تدريب الصقور، والتي تبدأ بتغطية عيني الصقر حتى يتعود على صاحبه ويألفه وهو يطعمه، ويأنس صوته.

وقبل أن يرفع المدرب البرقع عن عيني الصقر لابد من التأكد من أنه ألف صوت صاحبه واطمأن لوجود الناس، وبعدها يبدأ التدريب وذلك بربط قدم الصقر بحبل وابتعاد المدرب عنه لمسافة قريبة ومناداته، وعندما يتأكد مساعد المدرب من أن الصقر قد التفت ناحية الصوت، يرفع عنه البرقع بسرعة فيتجه الصقر ناحية صاحبه الذي يعطيه بعض الطعام مكافأة له.. ثم يكرر المران بمسافة اكبر، ويظل ينادي على الصقر، ليبدأ المران الفعلي عند وصوله في هذه المرة إلى يد صاحبه الذي يراوغه وفي يده قطعة لحم مغطاة ببعض الريش على شكل أحد الطيور ومربوطة بحبل في يد الصياد ويحاول الصقر

الامساك بالطائر بينما المدرب يجذب الحبل، حتى يتمكن الصقر في النهاية من الانقضاض على الفريسة، وفي هذه الحالة لابد لمدربه من أن يضع أمامه كل اللحم حتى يشبع تماماً، ثم يأخذه الى الوكر ليستريح!

ويستمر التدريب مرتين يومياً، وبملاحظة التحسن في الانقضاض، يطلق الصقر من دون الحبل ليطارد فريسته حتى يمسك بها، وهنا يكون الصقر قد انتهى تدريبه، وتحول الى طائر يطيع أوامر مدربه بصورة عمياء! ولابد لكل مدرب من أن يهتم بصقره ويرعاه نفسياً وصحياً ويعامله بطريقة تدل على العطف والحب، فيربت على ريشه في حنان، وقد يحدثه، وينظف ريشه باستمرار لحمايته من الأمراض، ويعتني بطعامه ويختاره له حسب مزاج الصقر نفسه، وحتى أثناء الهضم يقف المدرب لملاحظة طريقة هضم الصقر وهل هي سليمة أم أنها تحتاج هي الأخرى لمران خاص.

وبعد ..

تلك هي الصقور .. وهذه هي رياضة القنص بها .. ووراء هذه وتلك تاريخ طويل لأمة عريقة استطاع أفراد منها - على امتداد تاريخها أن يتخيروا من الطيور جوارحها .. ومن الجوارح أكثرها كرامة وعزة نفس .. ومن هذا الطائر، الصقر، استطاعوا أن يسبقوا معاصريهم من الفرس والروم في تدريب الصقور على القنص .. بالهيئة والشكل اللذين يكادان لا يختلفان كثيراً عن هذه الأيام.



- هواية الصقور عشق لا ينتهي.

معالم ثقافية:

نادي مكة الأدبي

واسطة العقد

تشكّل الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية، احدى المنجزات الحضارية الثقافية البارزة، في العهد السعودي الزاهر.

فلقد استطاعت هذه الأندية، في ظل الرئاسة العامة لرعاية الشباب أن تؤدي دوراً فاعلا في دعم الأدب والأدباء، وفي نشر الوعي الثقافي، وفي احتضان المواهب الواعدة، وفي تزويد المكتبة السعودية بعشرات الاصدارات المعرفية والثقافية والأدبية الهامة.

وتنامى عطاء هذه الأندية ، مع تنامي دعم الرئاسة العامة لرعاية الشباب لها، والتفاف المثقفين والأدباء حولها.. كما تنامى عددها الى اثنى عشر نادياً تغطي معظم مناطق المملكة، بعد أن بدأت بخمسة أندية عام ١٣٩٥هـ.

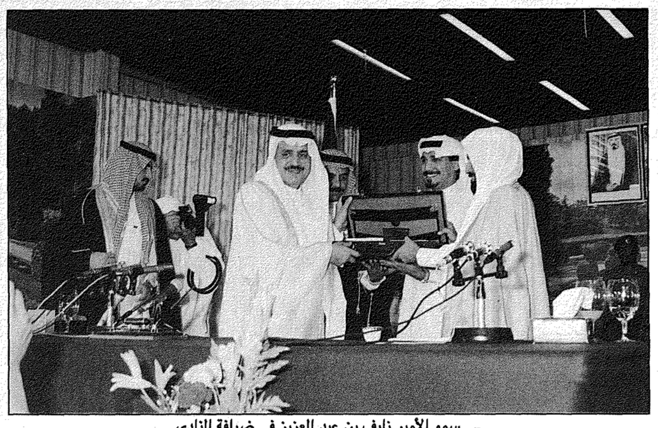
اعداد:
تميم الحكيم
ـ مكة المكرمة ـ

نادي مكة .. واسطة العقد:

ويعتبر (نادي مكة الثقافي الأدبي) واسطة العقد لهذه الأندية، لقداسة المكان وسبق الزمان .. فهو نادي (أم القرى) بلد الله الحرام، وهو ناد رائد تعدّت رسالته الساحة المحلية، بحكم تواصله مع ضيوف مكة الكرمة من علماء ومفكري وأدباء الأمة العربية والاسلامية.

تأسيس النادي:

وكان قد صدر قرار تأسيس النادي في (١٣٩٥/٢/٢٩هـ)، بموجب موافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، بخطابه الموقّر، الموجّه للأساتذة: محمد حسن فقي، أحمد السباعي، ابراهيم فوده .. ويتضمن الموافقة الكريمة على رغبة الأدباء الثلاثة، بإنشاء ناد ثقافي بمكة



- سمو الأمير نايف بن عبد العزيز في ضيافة النادي

(نادي مكة) وعقدان على دروب الفكر والثقافة والأدب



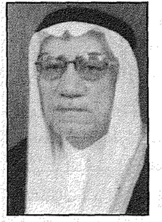
- محمد حسن فقي



- احمد السباعي



- ابراهيم فوده

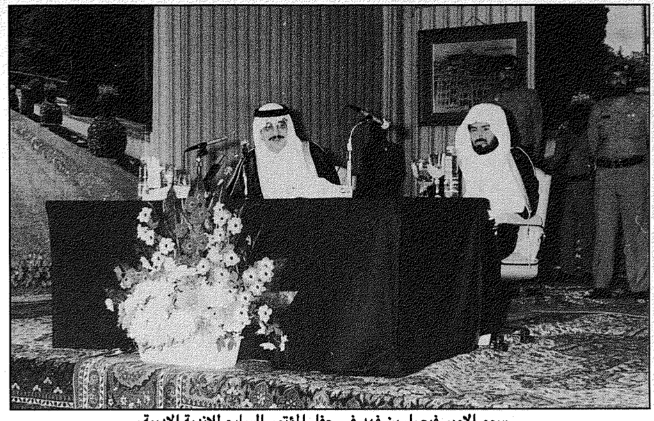


- حسين عرب

المكرمة.

أول مجلس ادارة:

وتمّ في نفس العام تشكيل أول مجلس إدارة للنادي من الأساتذة: الأستاذ/ ابراهيم فوده (رئيساً)، الأستاذ حسين عرب (نائباً للرئيس)، الأستاذ احمد السباعي (عضواً)، الدكتور راشد الراجح (عضواً)، الأستاذ احمد محمد جمال (عضوا)، الأستاذ أحمد السباعي (عضواً)، الدكتور محمود زيني (عضواً وأميناً للصندوق)، الدكتور عبد العزيز خوجه



ـ سمو الامير فيصل بن فهد في حفل المؤتمر السابع للاندية الادبية.

(عضواً)، الأستاذ عبد السلام الساسي (سكرتيراً للنادي).

الهيئة التأسيسية:

أما الهيئة التأسيسية للنادي فكانت مكوّنة من الأساتذة: الأستاذ أحمد السباعي، الأستاذ ابراهيم أمين فوده، الأستاذ محمد حسن فقي، الأستاذ حسين عرب، الدكتور حامد هرساني، الأستاذ عبد الله عريف، الأستاذ صالح محمد جمال، الأستاذ أحمد محمد جمال، الأستاذ ابراهيم الشورى، الدكتور راشد الراجح، الدكتور ناصر الرشيد، الدكتور عبد الله الزيد، الدكتور محمود حسن زيني، الدكتور حسن باجوده، الأستاذ عبد الكريم نيازي، الأستاذ محمد عبد الله مليباري، الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، الدكتور عبد العزيز خوجه، الدكتور عبد اللطيف بن دهيش، الدكتور أحمد شكري، الدكتور اسماعيل حسن عسال، الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، الأستاذ علي أبو العلا، الأستاذ عبد الله الداري، الأستاذ محمد محمود حافظ.

للنادي أكثر من أربعمائة نشاط .. في مختلف القنوات.

مجلس الادارة للدورتين الثانية والثالثة:

وفي (١٨/٦/١٣٩٨هـ) انعقدت الجمعية العمومية للنادي، وانبثق عنها بالانتخاب مجلس إدارة، استمر لدورتين، من الأساتذة :

الأستاذ ابراهيم فوده (رئيساً).

الدكتور عبد الله محمد الزيد (نائباً للرئيس).



ـ سمو الأمير سعود بن عبد المحسن يرعى مسابقة القرآن الكريم.

الأستاذ عبد الله بوقس (نائباً ثانياً للرئيس).
الدكتور محمود زيني (عضواً).
الأستاذ محمد بن شاهين (عضواً وسكرتيراً).
الأستاذ عبد الكريم نيازي (عضواً).
الأستاذ محمد عبد الله عراقي (عضواً وأميناً للصندوق).

وقد اختير الدكتور/ فائق الصواف عضواً بمجلس الادارة بدلا من الأستاذ عراقي الذي استقال لظروف خاصة.

مجلس الادارة العالي:

وبعد انتهاء مدة الدورة الثالثة لمجلس إدارة النادي، قدّم رئيس المجلس الأستاذ ابراهيم أمين فوده (رحمه الله) استقالته من رئاسة المجلس.

وفي (١٤٠٧/٦/٢٣هـ) صدر قرار صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز بتشكيل مجلس إدارة النادي العالي من الأساتذة:

الدكتور راشد الراجح (رئيساً)، الدكتور عبد الله الزيد (نائباً للرئيس).
الدكتور عبد الله نصيف (عضوا).
المهندس عبد القادر كوشك (عضواً).
الأستاذ عبد الله بوقس (عضوا).
الأستاذ حمد الشاوي (عضواً).

افتتاح النادي:

أما افتتاح النادي وانطلاق نشاطاته فقد كان يوم الثلاثاء الموافق (١٣٩٦/٢/٢٣هـ)، برعاية صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، وحضور جمع من الأدباء والمفكرين والمثقفين، من مختلف أنحاء المملكة.

وقد بدأ النادي نشاطه في مقره القديم المستأجر، في حي أم الجود، ثم انتقل الى



ـ مجموعة من رؤساء الاندية الادبية في مؤتمرهم.

مكانه الحالي بحي العزيزية، الذي أصبح ملكاً له بهدية من سعادة الشيخ سالم أحمد بن محفوظ، وساهم في بعض المنشآت التي أقيمت على أرض النادي سعادة الشيخ ابراهيم الجفالي.

نشاطات نادي مكة في عشرين سنة:

وقد حفلت مسيرة نادي مكة الخيرة خلال العشرين سنة الماضية بنشاطات ثقافية وأدبية مختلفة، من خلال قنوات متنوّعة، كان لها مردود ايجابي على مختلف الأصعدة.. ومن أبرز هذه النشاطات:

اهتمام خاص بتراث مكة المكرمة وتاريخها وجغرافيتها

أولا: النشاط المنبري:

ويتضمن اللقاءات المفتوحة، والمحاضرات، والندوات والحوارات، والأمسيات الأدبية والشعرية.

١ ـ اللقاءات المفتوحة: وعددها (١٧) لقاءاً مع عدد من كبار المسؤولين من أمراء ووزراء وشخصيات بارزة.

٢ ـ المحاضرات: وقد بلغ عددها (٢١٢) محاضرة.. كان من بينها (٧٢) محاضرة دينية، و(٤٥) محاضرة ثقافية، و(٤٤) محاضرة أدبية، و(١٤) محاضرة علمية.

٣ ـ الندوات والحوارات: وعددها (٥٢) في موضوعات ثقافية وأدبية وتربوية واجتماعية مختلفة.

٤ ـ الأمسيات الأدبية والشعرية:



ـ الاساتذة (علوى طه الصافي ـ حمد القاضي ـ نبيه الانصاري) في احدى ندوات النادي.

منها (٤٩) أمسية شعرية، و(١٣) أمسية أدبية.

ثانيا: حفلات التكريم:

وقد بلغ عددها (٣٣) حفلا من بينها (١٢) حفلا خاصاً كرِّم فيها عدد من أعلام الفكر والأدب بالملكة.. و(٢١) حفلا عاماً لضيوف مكة المكرمة من أعضاء مجالس رابطة العالم الاسلامي، والمسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم، وغيرهم من علماء ومفكري وأدباء العالم العربي والاسلامي ممن يشاركون في المؤتمرات والمجالس المنعقدة في مكة المكرمة.

ثالثا: المعارض:

وعددها (١٣) معرضاً للكتاب، والتراث، والكمبيوتر، والفن التشكيلي، أقيمت جميعها في مقر النادي.

رابعا: المسابقات:

وقد نظم النادي خلال الفترة الماضية (١٤) مسابقة.. من بينها (٩) مسابقات للقرآن الكريم، و(٥) مسابقات ثقافية.

خامسا: الاصدارات:

أصدر (نادي مكة الثقافي) خلال السنوات الماضية (٩٣) كتاباً في مختلف العلوم والفنون والآداب.. وفي مقدمتها:

أ ـ الكتب الاسلامية: ومن أبرزها (تأملات في سورة الأحزاب)، و(تأملات في سورة المائدة) للدكتور حسن باجودة، (في مدرسة النبوة) للأستاذ احمد محمد جمال، (القرآن الكريم معجزة وتشريع) للأستاذ عبد الكريم نيازي، (العلاقات الانسانية في القرآن الكريم) للأستاذ حمزه فوده، (فقه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أحكام الاحرام) للدكتور رويعي الرحيلي، (البيوع المنهي عنها نصا في الشريعة الاسلامية) للدكتور علي بن عباس

الحكمي.

ب ـ الكتب المهتمة بتاريخ مكة وجغرافيتها وتراثها: ومن أبرزها: (تاريخ مكة) للاستاذ أحمد السباعي، (مكة في القرن الرابع عشر الهجري) للأستاذ محمد حسن رفيع، (التاريخ المفصل للكعبة قبل الاسلام) للأستاذ عبد القدوس الأنصاري، (مكة المكرمة في شذرات الذهب للغزاوي) اختيار وتحقيق الدكتور عبد العزيز الغامدي، والدكتور محمد السرياني، والأستاذ معراج مرزا، (اعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام) تحقيق اسماعيل أحمد اسماعيل حافظ، (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) للمستشرق ك. سنوك هوروخرونيه، (دراسة عن مواقع المساجد في مكة المكرمة) للدكتور عبد العزيز الغامدي، (مكة المكرمة.. دراسة في التغير السكاني) للدكتور محمد السرياني.



ـ من اصدارات نادي مكة الأدبي.

ج ـ الكتب الأدبية: ومنها: (وداعاً أيها الشعر) للأستاذ أحمد محمد جمال، (قاتلة الشيطان) للأستاذ محمد عبد الله مليباري، (الشاعر المحسن) للأستاذ ابراهيم فوده، (المتنبي شاعر العرب) للأستاذ عبد الله بوقس، (أضواء على الأدب والأدباء في جازان) للأستاذ محمد أحمد العقيلي، (دراسات في أدب الدعوة الاسلامية) للدكتور محمود زيني، (أثر الاسلام في شعر

الفرزدق) للدكتور مصطفى عبد الواحد، (الفقيه الشاعر) للأستاذ عبد الله الشباط، (العقل اللغوي) لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، (القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي.. حياته من شعره) للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي، (حول الحكمة في الشعر العربي) للدكتور عبد الله باقازي، (الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي) للدكتور محمد الحارثي، (عروض الورقة) تحقيق الدكتور صالح بدوي.

د ـ كتب ثقافية منوعة: ومنها: (المقال والمرحلة) للأستاذ حامد مطاوع، (من معالم التنمية العمرانية بالمملكة) للدكتور خالد العنقري، (التعليم في المملكة العربية السعودية) للدكتور عبد الله الزيد، (اطلالة علي نهايةالعالم الجنوبي) للأستاذ محمد بن ناصر العبودي، (أصول الاعلام الحديث وتطبيقاته) للأستاذ ابراهيم سرسيق، (نظرات اسلامية في الصحة) للدكتور مدحت الشافعي، (رحلة العمر) للأستاذ محمد عبد الحميد مرداد، (المدرب والتدريب الرياضي) للدكتور مصطفى زيدان.

وقد بدأ النادي اعتباراً من عام (١٤١٥هـ) باصدار دورية بعنوان (البلد الأمين).



ـ حفل تكريم الاستاذ ابراهيم فودة.

سادسا: نشاط المكتبة:

لنادي مكة الثقافي الأدبي مكتبة باسم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، تضم أكثر من عشرين ألف كتاب، ويزيد عدد العناوين فيها عن سبعة آلاف عنوان، في مختلف العلوم والمعارف، اضافة الى الكتب الدراسية المقررة على المراحل المختلفة، ومجموعة من المخطوطات المصورة،.. ومعظم الدوريات الصادرة في المملكة وخارجها.. وتضم كذلك ركناً خاصا بكتب وقصص الأطفال.. وركناً خاصاً باصدارات الأندية الأدبية.. ويتم تزويدها باستمرار بكل جديد ومفيد.. وهي تفتح أبوابها على فترتين صباحية ومسائية، ويبلغ عدد مرتاديها ما يقرب من (٤٠٠) مرتاد في كل سنة، وتتولى بيع اصدارات نادي

اصدارات النادي تجاوزت التسعين.

مكة بسعر رمزي، وكذلك توزيع هذه الاصدارات للأفراد والمؤسسات كهدايا وتبادل.

سابعا: النشاط المسرحي:

في النادي (شعبة للنشاط المسرحي) قامت بتنظيم ثلاث دورات في الثقافة المسرحية استفاد منها أكثر من مائة شاب من الموهوبين في فن المسرح، تأليفاً وتمثيلا واخراجاً.. كما أقام النادي عدة حفلات مسرحية على مسرحه الموسوم باسم الأديب الراحل أحمد السباعي، وشارك في حفلات مقامة خارج النادي.

ثامنا: المشاركات العامة:

ويشارك نادي مكة في المناسبات المختلفة، وأسابيع التوعية التي تقام في كل عام كأسبوع الصحة، والمساجد، والمرور، والشجرة، وغيرها.

كبار الضيوف المشاركين في نشاطات النادي:

يمتاز (نادي مكة الثقافي الأدبي) باستضافته لكبار الشخصيات، ورجالات العلم والفكر والأدب، من داخل المملكة وخارجها.

وممن شرّف النادي من أصحاب السمو الملكي الأمراء:

الأمير عبد الله الفيصل، الأمير نايف بن عبد العزيز، الأمير ماجد بن عبد العزيز، الأمير محمد الفيصل، الأمير أحمد بن عبد العزيز، الأمير سعود بن عبد المحسن، الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الأمير ساطان بن سلمان بن عبد العزيز.

وكذلك فإن لأصحاب السماحة والفضيلة العلماء حظاً وافراً في نشاطات النادي، وفي مقدمتهم: الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ محمد صالح العثيمين، الشيخ على الطنطاوي، الشيخ محمد الغزالي، الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه، الشيخ سيد سابق، الدكتور صالح بن حميد، الشيخ أبو الحسن الندوي، الشيخ يوسف القرضاوي، الشيخ صالح التويجري، الشيخ محمد قطب، الشيخ أبو بكر الجزائري، الشيخ أحمد ديدات، الدكتور محمد أديب الصالح.

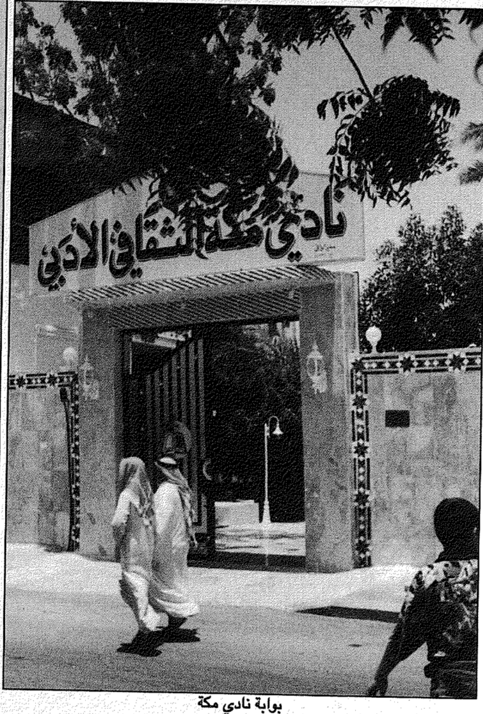
وممن استضافهم النادي من أصحاب المعالي الوزراء وكبار الشخصيات: الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع، الدكتور محمد عبده يماني، الدكتور خالد العنقري، الدكتور محمد عبد اللطيف الملحم، الدكتور ابراهيم العواجي، الدكتور حمود البدر، الدكتور أحمد محمد علي، الفريق هاشم عبد الرحمن.

ولقد كان لأعلام الفكر والأدب في المملكة وخارجها مشاركات في نشاطات النادي ومن أبرزهم:

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، الأستاذ محمد علي السنوسي، الأستاذ محمد حسين زيدان، الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، الأستاذ حسين سرحان، الأستاذ صالح محمد جمال، الأستاذ أحمد محمد جمال، الأستاذ محمد عبد الله مليباري، الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري (رحمهم الله جميعاً).

وكذلك: الشيخ حمد الجاسر، الأستاذ عبد الله بلخير، الأستاذ حسين عرب، الدكتور معروف الدواليبي، الشيخ عثمان الصالح، الأستاذ محمد حسن فقي، الأستاذ عبد الله بن خميس، الأستاذ عبد العزيز الرويشد، الأستاذ

محمد علي مغربي، الأستاذ محمد أحمد العقيلي، الأستاذ حسن القرشي، الأستاذ عزيز ضياء، الأستاذ عبد الله بن ادريس، الدكتور محمد سعد آل حسين، الدكتور مصطفى محمود، الدكتور حسين مؤنس، الدكتور محمد مصطفى هدارة، الاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، الاستاذ أبو تراب الظاهري.



بوابة نادي مكة

ضيوف مكة المكرمة .. ضيوف النادي:

وضيوف مكة المكرمة، وهم من مختلف أرجاء العالم الاسلامي، هم ضيوف النادي، حيث يحاول النادي استقطاب أبرز الأعلام من هؤلاء في محاضرات وأمسيات وحفلات تكريم.

وقد شارك في النشاط المنبري للنادي علماء ومفكرون وأدباء من: دول الخليج العربي ومن: مصر، سوريا، السودان، الأردن، لبنان، العراق، اليمن، تونس ، المغرب، الجزائر، موريتانيا، الهند، باكستان، تركيا ويوغسلافيا.

ذلك هو (نادي مكة الثقافي الأدبي) الذي يدلف مع العام الهجري الجاري (١٤١٨هـ) الى العقد الخامس من عمره، مؤكداً استمرار الدور الأصيل والهام الذي قام به خلال العقود الماضية، على دروب الثقافة والفكر والأدب، محلياً وعربياً وإسلامياً.

الخلل المنهجي في ك

على مدى سبع دراسات سابقة، وهذه الأخيرة، تناول الأستاذ الدكتور محمد عمارة بعض آراء وأفكار ومعتقدات الدكتور نصر أبو زيد الواردة في كتبه بالدراسة والمناقشة والنقد الموضوعي، موضحاً من خلال ذلك الاخطاء الفكرية والدينية التي وردت في تلك الكتابات، منبها إلى خطورة تلك الآراء على مستوى الفكر الإسلامي والمعتقد الديني.

والمنهل، إذ ينشر هذه الدراسات وأمثالها يبغي من ورائها الوصول إلى الحقيقة، وتبيان الحق، والحق أحق أن يُتّبع، والمناقشة الموضوعية الهادئة هي التي توصل إلى الحقيقة، ومن المناقشة ينبثق النور كما يقال.

وللأستاذ الدكتور محمد عمارة نسوق الشكر موصولا..

والمنهل يسعد بكل رأي موضوعي يبغي الحق ويسعى إليه.. ونثبت هنا في آخر هذه الدراسة أرقام الأعداد التي نشرت فيها مجموعة هذه الدراسات.

■ المنهل ■

أفكار مثيرة للجدل (٨)

بقلم المفكر الاسلامي:
أ.د. محمد عمارة

في كتابات الدكتور نصر أبو زيد ، مباهاة بامتلاكه ناصية المنهجيات الحديثة والعلمية والمعاصرة في قراءة النصوص وتحليلها.. والماركسيون - بلسان الأستاذ محمود أمين العالم - يقولون: «إنه أحسن من يحلّل النص».. والمرء يلمس هذه المباهاة، أكثر ما يلمسها، عندما يكون المقام مقام هجوم الدكتور نصر على خصومه ومنتقديه، الذين يرميهم بأنهم أبناء ثقافة الجمود والتقليد والتعصب والانغلاق وضيق الأفق، والحفظ دون فهم، وعطن التكرار، والوعظ، والإعادة دون إفادة.. ثقافة العوز الفكري والعقلي، والتوقير الزائف للتراث، فهم الوارث الكسول لهذا التراث.. بل ويصف هؤلاء الخصوم والمنتقدين بالوقاحة الفكرية والسفالة الأكاديمية والجهل الفاجر والمركب، الذي بلغ مرتبة الآفات العقلية التى لا تجدى معها سوى المصحات

ـتابات نصر أبو زيد

النفسيـة[١]؟؟٠٠ بينمـا يملك هو ناصيـة المناهج العلميـة الحـديثـة والمعـاصـرة في التـعـامل مع التـراث وفي تحليل النصـوص وقراءتها٠

لكن المرء يدهش عندما يرى كم الأخطاء المنهجية التى وقع فيها الدكتور نصر، حتى بمعايير المنطلقات الفكرية التى ينطلق منها، أى الخطأ في المنهجيات التى تعارف عليها البـاحـثـون والعلمـاء من مـخـتلف العـقـائد والفلسفات والديانات والحضارات، وذلك من مثل منهجية تعريف الباحث بمراده ومفهومه للمـصطلح الذي يسـتـخـدمـه، وخـاصـة إذا اختلفت مفاهيمه ومـعانيه باختـلاف العلوم والثقافات والفلسفات٠

وحتى لا نطيل، فسنكتفى ـ في الإشارة إلى هذا الخلل المنهجي في كـتـابات الدكـتـور نصـر ـ بخـمس وقـفـات أمـام خـمـسـة مـصطلحات شاع استخدامه لها فيما قدم من كتابات٠

أـ مصطلح الأيديولوجية:

في سنة ١٩٩٢م صدرت الطبعة الأولى لكتـاب الدكـتـور نصـر [الإمـام الشـافـعي وتأسـيس الأيديولوجـيـة الوسطيـة]٠٠ وعلى امـتـداد صـفـحـات الكتـاب، لم يعـرّف قـارئه بمصطلح «الأيديولوجية» الذي وضعه عنوانا لكتابه ـ والذي أكثر من اسـتـخـدامـه ـ دون تعـريف أيضـا ـ في أغلب كـتـبه وكـتـاباته٠٠ وذلك على الرغم من أن هـذا المصطلح هو من المصطلحـات التي تخـتلف، بل وتتناقض، مفـاهيمـها باخـتلاف الفلاسفة والفلسفات، والمنظرين والتيارات الفكرية، وبتمايز العلوم التي يسـتـخـدم فـيـهـا هذا المصطلح، ***وذلك لاخـتـلاف التـركـيـز، في منطلقـات الذين يسـتـخـدمـونه، على المفـاهيم «الواقـعـيـة» أو المفاهيم «المعيارية» أو الموازنة بينهما معا٠***

فـالأيديولوجـيـة لهـا مـعنى مـحـايد ـ أو أقرب إلى الحـياد ـ وذلك عندما تُعرّف بأنها «نسق من المعـتـقـدات والمفـاهيم (واقـعـيـة ومـعـيـارية) تسـعـى إلى تفـسـيـر ظواهر اجـتمـاعـيـة معقدة من خـلال منظور يوجـه ويبسط الاختيارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات»٠

ـ ولهـا مـفـهـوم ثان، يرى فـيـهـا «نظام الأفكار التى تقوم بمهمة التبريرات المنطقية والفلسـفـيـة لنمـاذج السلوك والاتجـاهات والأهداف وأوضاع الحياة العامة السائدة»٠

ـ وهي عند البعض «آلية تفسيرية تسـعـى إلى التوصل للتفسير الشامل لكافة مجالات الواقع، من خلال تطبيق فكرة معينة»٠

ـ وهـي عند كـــارل مــــاركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) وفـردريك أنجلز [١٨٢٠ ـ ١٨٩٥م] «صـورة من الوعي الزائف، وأفكار مـضللة، وأوهام ليس لها وجود حقيقي، كما أنها تقف في مواجهة النظريات العلمية»٠

ـ وهناك من يرى الأيديولوجـيـة «حـقـائق صادقة، ومذاهب ثابتة»٠

- وهناك من يراها «صيغا فلسفية أو نظرية يمكن أن تتوافق مع كل تغير في الظروف الاجتماعية والسياسية».

- وهناك من يراها جزءا من «البناء الفوقي» يعكس العلاقات الاقتصادية ، وقد تكون علمية - تعبر عن وعي صادق - أو غير علمية - تعبر عن وعى زائف.

- كما تختلف المواقف منها باختلاف العلوم التى تستخدم مصطلحها - الواحد - ففي علم الاجتماع حديث عن «نهايتها».. وفي علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الديني وعلم اجتماع المعرفة، يتزايد استخدام مصطلحها.. الخ... الخ[٢].

هكذا تتعدد، بل وتتناقض، مفاهيم ومعاني مصطلح «الأيديولوجية».. ومع كل ذلك، فالدكتور نصر أبو زيد لا يعرّفنا بمفهومه ومراده ومعناه المختار لهذا المصطلح، الذي جعله عنوانا لأحد كتبه..

فإذا بحثنا في كتاباته الأخرى وجدناه هو ذاته لا يستخدم هذا المصطلح لمعنى محدد ولا لمفهوم واحد!.

فهو في سنة ١٩٨٧م: يصف الاسلام بأنه أيديولوجية.. «فالنص - أي القرآن - الذي يخاطب محمدا، ويستجيب لهمومه - التي هي هموم الواقع - يتجاوز موقف الاستجابة السلبى إلى محاولة صياغة واقع جديد، صياغة الأيديولوجية التى طال البحث عنها في «دين ابراهيم»[٣]!.

وفي سنة ١٩٩٣م يطلق على العقيده الدينية مصطلح الأيديولوجية.. «فالنصوص الدينية تطرح العقيدة (= الأيديولوجية) الجديدة[٤]».

وفي ذات التاريخ، وذات الدراسة، يصف الأيديولوجية بأنها «الأفكار» المسبقة التى تحرك الخطاب في توجهه لتأويل النص.. «الأيديولوجيا أي الأفكار والرؤى المسبقة، التى تحرك الخطاب في توجهه لتأويل النص[٥]».

وفي سنة ١٩٩٥م يرى الأيديولوجية «منظورا»، بالمعنى الاجتماعي لا الديني «وكلمة أيديولوجية» أصبحت كلمة عربية بعد أن تم تعريبها.. وهى تعنى «المنظور» الذي يحدد للإنسان معايير الصواب والخطأ، والثواب والعقاب، والمحرم والمحلل، بالمعنى الاجتماعي لا الديني، أي المسموح به المرغوب والممنوع المعيب - بكل ما يتداخل في بنية هذا المنظور ويشكله من أهواء ومصالح ورغبات محكومة بقوانين الوجود الاجتماعي[٦]».

وهكذا يحار المرء مع هذا «اللامنهج» بل الخلل المنهجي! عند الدكتور نصر أبو زيد.. فهو لا يترجم لمفهومه والمعنى الذى يقصده من المصطلح - الأيديولوجية - حتى ولو جعله عنوانا لأحد كتبه؟! - في الوقت الذى تتضارب وتتناقض فيه مفاهيم هذا المصطلح باختلاف العلماء وتنوع العلوم - فإذا تتبعنا استخدامه لهذا المصطلح وجدناه هو ذاته متناقضا في استخدامه له.. فمرة نجد الأيديولوجية هي العقيدة الدينية.. ومرة نجدها مطلق الأفكار المسبقة.. ومرة أخرى نجدها «المنظور» بالمعنى الاجتماعي لا الديني؟!.

وهذا واحد من نماذج الخلل المنهجي عند الدكتور نصر أبو زيد.

ب ـ مصطلح الوسطية:

والنموذج الثاني، للخلل المنهجي، المتمثل في عدم التعريف بالمراد من المصطلح ـ الذي تتعدد مفاهيمه ومعانيه ـ في كتابات الدكتور نصر ـ هو مصطلح «الوسطية» الذي جعله ـ هو الآخر ـ عنوانا لكتابه عن الإمام الشافعي ـ (الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ـ

فللوسطية معان عدة، متمايزة، بل ومتناقضة.. فللعامة والسوقة مفهوم للوسطية، يعني: عدم التحديد، وإمساك العصا من منتصفها، تميعا، وانعداما في الطعم واللون والرائحة؟!.

وللفلسفة الأرسطية مفهوم للوسطية، يراها نقطة رياضية ثابتة بين طرفين، ومغايرة لهما «فالوسط Middle ما كان على مسافة متعادلة بين طرفين، يقول أرسطو [٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م] الفضيلة وسط بين حَدَّيْن[٧]».

أما في الإسلام، فالوسطية جامعة، أي أنها ليست موقفا مغايرا للطرفين، وإنما جامعة لعناصر الحق والعدل والخير والصواب منهما وفيهما، فهي موقف ثالث، بين طرفي الإفراط والتفريط، لكنه مؤلف من ما يمكن تأليفه من عناصر الطرفين..

فالكرم: وسط بين الشّح وبين الإسراف، لكنه جامع لعطاء المسرف ولتدبير الشحيح!.. والشجاعة: وسط بين الجبن وبين التهور، لكنها جامعة لإقدام المتهور ولحسابات الجبان!.. والإنفاق الاسلامي: وسط بين «غلّ اليد» وبين «بسطها كل البسط»، لكنه جامع لعناصر الاعتدال والتوازن من الحدين والطرفين.

لكن الدكتور نصر، الذى يستخدم مصطلح الوسطية ـ حتى ليجعله عنوانا لأحد كتبه ـ لا يعرّفنا بمراده من وراء هذا الاستخدام.. فإذا تحسسنا مراده وجدناه يستخدمه بمعنى «الأيديولوجية» ـ تلك التى استخدمها دون تعريفها.. والتى تضاربت مقاصده من وراء استخدامها؟!.. فهو يعتبر الوسطية مصطلحا ذا «بُعْد أيديولوجي» وليست «سمة جوهرية وأصيلة من سمات الفكر الاسلامي والثقافة العربية»[٨].. واستخدامه لمصطلحها في عنوان كتابه عن الشافعى يجعلها أيديولوجية، بالمعنى السلبي للأيديولوجية.. بينما يراها المسلمون، انطلاقا من القرآن الكريم «جعلا إلهيا» أراده الله، سبحانه وتعالى، لهذه الأمة: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}[٩].. ويعرّفها الرسول {صلى الله عليه وسلم}، بأنها العدل الذي يجمع عناصر الحق من طرفي القضية، فيقيم بهذه الوسطية الجامعة الميزان والتوازن في مختلف الميادين ـ الفكرية والعملية ـ ف «الوسط: العدل، جعلناكم أمة وسطا»[١٠].

وهذا هو المعنى الذى عناه الإمام محمد عبده ـ وهو يتحدث عن وسطية الاسلام ـ عندما قال: «ظهر الاسلام، لا روحيا مجرداً، ولا جسدانيا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك ، آخذا من القبيلين بنصيب»[١١].

هكذا نجد «اللامنهج» في استخدام الدكتور نصر لمصطلح الوسطية.. فإذا أراد بها مرادا، خالف فيه وبه ما أراد الله ورسوله وعلماء الإسلام!.

جـ ـ مصطلح النَّصّ :

أما مصطلح «النص» الذي تخصص الدكتور نصر أبو زيد في دراسته وتدريسه.. والذي جعله عنوانا لأكبر كتبه (مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن] فلم يكن الرجل جاهلا بمعناه الاصطلاحي في تراثنا الأصولي.. ولكنه آثر استخدامه ـ وهو يبحث في التراث ويكتب في الاسلاميات ويتحدث عن القرآن والحديث ـ آثر استخدام هذا المصطلح في غير المعنى الذي اشتهر للتعبير عنه في تراث الإسلام.

فالنص ـ في المشهور عند الأصوليين ـ ليس مطلق العبارة.. وإنما العبارة التي يدل ظاهر لفظها على ما فيها من المعاني والأحكام، دون أن تحتمل شيئا آخر، فهو لا يتطرق إليه احتمال أصلا، على قرب ولا على بعد، كالخمسة، مثلا، فإنه نص في معناه.. لا يحتمل تأويلا، ولا يحتمل إلا معنى واحدا[١٢] ـ ولذلك يقال فيه: هذا «نصٌ في كذا».

ولذلك «قالوا بنُدْرَة النصوص»[١٣].

يعرف الدكتور نصر ذلك، ويقول: «لم يكن القدماء يشيرون إلى القرآن والحديث باسم النصوص.. بل كانوا يستخدمون دوال أخرى مثل الكتاب والتأويل والقرآن ـ للقرآن ـ ومثل الحديث والآثار والسنة ـ لنصوص الحديث ـ وكانوا يعنون بالنص جزءا ضئيلا من الوحي، لا يحتمل أدنى قدر من تعدد المعنى.. إنه ـ بلغة الإمام الشافعي ـ ما يكون مستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير».. وما لا ينطبق عليه وصف الوضوح الدلالي، الذي لا يحتاج معه إلى تفسير، فليس نصا».

لكن الدكتور نصر، الذي يعرف ذلك، ويحكيه.. رأيناه ـ بعد أن كان يسمي القرآن قرآنا، والحديث النبوي حديثا.. يستخدم منذ النصف الثاني من عقد الثمانينيات ـ تاريخ تأليفه كتابه (مفهوم النص) ـ يستخدم مصطلح «النص» للدلالة على عموم آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية!.

أما لماذا هذا الخروج عن المنهج العربي والاسلامي في مفهوم النص، فلا حجة إلا قوله: «كما نفعل في اللغة المعاصرة»! ونحن نسأل: هل أصبح «للنص» معنى واحدا فيما سماه الدكتور نصر «اللغة المعاصرة»؟!.. أم أن لهذا المصطلح مفاهيم اصطلاحية متعددة بتعدد العلوم والفنون التى يستخدم فيها؟.

فهو في الدراسات الأدبية يطلق على مجمل العمل الأدبي: نص القصيدة.. ونص المسرحية.. ونص الرواية.. ونص القصة.. بينما لا يزال معناه في العلم الديني هو ذات المعنى الذى اشتهر واستقر عند الأصوليين «ما لا يحتمل إلا معنى واحدا.. وما لا يحتمل التأويل».. فأين المنهجية في الخروج على المنهج المتعارف عليه، دون جديد تعارف عليه المحدثون.. بل دون جديد على الإطلاق!.

د ـ مصطلح الحاكمية :

وإذا كان استخدام المصطلح دون تعريف بالمراد منه.. أو استخدامه في غير المراد منه، خللا منهجيا.. فإن استخدام المصطلح، مع تشويه المراد منه عيب قد

يتجاوز مجرد الخلل المنهجي، إلى «سوء النية» في هذا الاستخدام!.. وهذا هو ما صنعه الدكتور نصر مع مصطلح «الحاكمية الإلهية».

فهو يعتبر أن رد الظواهر الطبيعية والاجتماعية إلى الفاعل الأول والعلة الأولى - أي الله سبحانه وتعالى - حاكمية إلهية تلغي فاعلية الإنسان، ودور العقل الانساني والخبرة والتجربة الإنسانية.. مع أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} الذى قال لنا: «أنتم أعلم بشئون دنياكم»[١٥] هو ذاته الذى بلّغنا قول الله سبحانه وتعالى: {قل إن الأمر كله لله}[١٦]، ففاعلية الإنسان، فيما هو مقدور للإنسان، لا تعني نفي الاعتقاد بأن الله هو الفاعل الأول من وراء الانسان، وفوق الإنسان .. فهو مسبب الأسباب، والعلة الأولى لكل الأسباب ومُسبَّباتها.

لكن الدكتور نصر يشوه مفهوم مصطلح الحاكمية - ليشن عليه هجوما قاسيا - فيقول: «إن رد الظواهر كلها (طبيعية واجتماعية) إلى علة أولى أو مبدأ أول، من شأنه أن يقود بالضرورة إلى (الحاكمية) الإلهية، بوصفها مقابلا - ونقيضا - لحاكمية البشر.. فمبدأ الحاكمية، يرد كل شيء إلى الله، ويلغي فاعلية الانسان»[١٧].

ولا ندري من أين جاء بمفهوم الحاكمية الإلهية الذي هو نقيض لحاكمية البشر، ويلغي فاعلية الإنسان؟!.. ولو كان الرجل طالب علم، وقرأ عبارة ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤م) التى يقول فيها: «إن من حكم الله أن يجعل الحكم لغير الله»!.. لعلم أن حاكمية الله، في الاجتماع البشري تقيمها حاكمية الإنسان - لكنه الإنسان الخليفة، الذى يراعى بنود عهد وعقد الاستخلاف - الشريعة الإلهية - فتتسق حاكميته مع حاكمية الله، بل ويكون هو المُقيم للحاكمية الإلهية!.

ولا يقف الخلل المنهجي، عند الدكتور نصر، إزاء مصطلح الحاكمية، عند هذا الحد.. بل يذهب فيدّعي على العلامة أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ - ١٣٩٩هـ/ ١٩٠٣ - ١٩٧٩م) والشهيد سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ/ ١٩٠٦ - ١٩٦٦م) فينسب إليهم - وخاصة للمودودي - ما لم يقصد إليه ولم يقله في الحاكمية ومفهومها.. فيقول: «إن مفهوم «الحاكمية» الذى طرحه لأول مرة أبو الأعلى المودودي.. ثم نقله عنه سيد قطب.. هو المفهوم الذى يلغى من فهم الاسلام تلك المناطق الدنيوية التى تركها للعقل والخبرة والتجربة في قول النبي {صلى الله عليه وسلم} «أنتم أدرى بشئون دنياكم»[١٨].

فأين هي «المنهجية» في الادعاء على المودودي بما لم يقله، بل بما قال نقيضه؟.. وأين هي «المنهجية» في الحديث عن العلماء دون قراءة ما كتبه هؤلاء العلماء.. أو الاكتفاء بقراءة «غير بريئة» لنص «منتزع بوحشية» من سياقه، مع إهدار هذا السياق؟!.

إن مفهوم الحاكمية الإلهية عند المودودي، يعنى «السلطة العليا والمطلقة.. سلطة الفعّال لما يريد، والذى لا يُسأل عما يفعل»[١٩].. وهي سلطة سيادية لا يمكن أن تكون - عند كل المتدينين إلا لله .. وتلك هي الحاكمية الالهية التى جرد المودودي منها سائر البشر، فقال: «إن أي شخص أو جماعة يدعى لنفسه أو لغيره حاكمية كلية أو

جزئية·· هو ولا ريب سادر في الإفك والزور والبهتان المبين»[٢٠].

والذين يقرأون المودودي كاملا، غير مجتزأ، يدركون أنه لم يقم تناقضا بين هذه الحاكمية الإلهية - سيادة الفعال لما يريد - وبين نيابة الأمة عن الله، وحاكمية الشعب المضبوطة بحدود الله ومبادئ الشريعة وأحكامها ومقاصدها·· وفي هذا المعنى يقول المودودي: «إن الاسلام أقر نيابة الشعب واستخلافه عن الله في ظل سيادة الله وحاكميته·· ولقد خُول في هذه الحكومة للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة·· وما لم يرد فيه نص - وهو المجال الأوسع - فلأهل الحل والعقد أن يجتهدوا في سن الأنظمة التى تحقق مصلحة الأمة بالمشورة المتبادلة·· على أن تكون منسجمة مع الإطار العام لأسس الشريعة»[٢١].

فهل من يتحدث عن حاكمية شعبية مقيدة بحدود الله هو الذي يلغي فاعلية الإنسان وحاكمية البشر؟!·· وأكثر من ذلك، فلقد دعا المودودي الى «حاكمية شعبية - بشرية» حتى فيما وردت فيه نصوص قطعية، وذلك:

١ - لتعبير الأحكام أو تأويلها أو تفسيرها·

٢ - وللقياس على هذه الأحكام·

٣ - وللاجتهاد في فهم أصول الشريعة العامة وقواعدها وتطبيقها في قضايا جديدة لا توجد لها النظائر والأشباه في الشريعة·

٤ - والاستحسان، بوضع ضوابط وقوانين جديدة في دائرة المباحث غير المحدودة على حسب الحاجات[٢٢]··

فالمودودي يقول بالحاكمية البشرية والشعبية، ولا ينقضها·· ويمد نطاقها إلى ما جاءت فيه نصوص قطعية·· بل ويقول «بالاستحسان» الذى يحتفى به الدكتور نصر أبو زيد، باعتباره قمة العقلانية في التعامل مع النصوص!·· فمن أين جاء، إذن، بدعواه أن المودودي قد ألقى دور العقل والخبرة والتجربة فى دنيا الناس؟!·

وهل هذه هى المنهجية الحديثة والمعاصرة والعلمية، في التعامل مع المصطلحات·· ومع العلماء الذين استخدموا هذه المصطلحات؟!·

هـ - مصطلح التأويل :

وعلى كثرة حديث الدكتور نصر أبو زيد عن «التأويل» بل وجعله عنوانا لأطروحته للدكتوراة (فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي) وتضمينه في عنوان كتاب آخر (إشكاليات القراءة وآليات التأويل)·· فإنه لم يشر - ولو مرة واحدة - في جميع كتاباته - التي قرأنا كتبها ومقالاتها - لم يشر إلى المعنى الاصطلاحي لمصطلح التأويل، كما حدده وضبطه وفصل قوانينه - في نظرية متكاملة - فلاسفة الإسلام·

فأبو الوليد ابن رشد - الحفيد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٢٦ - ١١٩٨م) يعرّف التأويل، ويشير إلى ضوابطه، فيقول: ***«إنه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عُدّدت في تعريف أصناف الكلام المجازي»[٢٣]***.

فهو يعرّف التأويل، ويشير إلى عدد من أهم شروطه في لغة العرب.

والإمام الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) يحدد «مراتب الوجود» الخمسة، التي لا يخرج عنها التأويل، فإذا خرج عنها لم يعد تأويلا للإخبار عن الموجود، الذي جاء به الدين، بل يصبح تكذيبا بهذا الموجود.. وهي مراتب:

١ ـ الوجود الذاتي:

أي الحقيقي، الثابت خارج العقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا.. كوجود السموات والأرض والحيوان والنبات.

٢ ـ والوجود الحسي:

الذي يتمثل في القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودا في الحس، ويختص به الحاس.. وذلك مثل ما يشاهده النائم، أو المريض المتيقظ الذي تتمثل له صورة لا وجود لها خارج حسه.

٣ ـ الوجود الخيالي:

مثل صور المحسوسات إذا غابت عن حسك، فاخترعت لها صورة في خيالك، فيكون وجودها في الخيال.

٤ ـ الوجود العقلي:

في الأشياء التي لها روح وحقيقة ومعنى، فيتلقى العقل معنى الشيء دون أن يثبت صورته في خيال أو حس خارج.. كاليد، إذا أثبتنا معناها، وهو القدرة، دون صورتها المحسوسة أو المتخيلة.

٥ ـ الوجود الشبهي:

للأشياء غير الموجودة، لا بصورتها ولا بحقيقتها، لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل.. وإنما يكون الموجود شبيها لها في خاصة من خواصها وصفة من صفاتها.

ومراتب الوجود هذه، التي هي درجات التأويلات، إذا نزّل الانسان ما جاء به الوحي وأخبر به الرسول [صلى الله عليه وسلم] على أيّ درجة من درجاتها ومرتبة من مراتبها، فهو من المصدّقين.. وذلك شريطة قيام البرهان على استحالة الظاهر ـ أي الوجود الذاتي ـ وشريطة أن يصعد التأويل هذه المراتب والدرجات على هذا الترتيب، لأن الأول ـ الوجود الذاتي ـ متضمن لما بعده، وكذلك حال الثاني مع ما بعده، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس[٢٤].

تلك هي «النظرية الاسلامية» في التأويل، كما ضبطها فلاسفة الاسلام.

وهذه الضوابط والشروط والمراتب ـ التي تحدث عنها ابن رشد والغزالي ـ هي التي أجمل الحديث عنها الشريف الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٤١٣م) عندما اشترط في المعنى المجازي الذي ينقل التأويل إليه اللفظ، أن يكون «موافقا للكتاب والسنة»، ***فقال، في تعريفه للتأويل: إنه «صرف اللفظ عن معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة»***[٢٥].

فهو، في الدين، له ضوابطه «الفكرية» إلى جانب ضوابطه «اللغوية».. وفي هذا التأويل، وله، أبدع فلاسفة الإسلام نظرية

مضبوطة قوانينها، معلومة مراتب وأولويات درجات التأويل فيها.

ومع كل ذلك.. ورغما عنه.. يتجاهل الدكتور نصر أبو زيد ـ الذي خاض في التأويل في جميع كتاباته ـ يتجاهل جميع ذلك.. وتتردد مفاهيمه عن التأويل بين مفهومين لا علاقة لأي منهما بقوانين التأويل في العربية التى يكتب بها، ولا في الإسلام، الذى يبحث فيه!.. فيحدثنا كيف كان يتبنى ـ في مرحلة من مراحل تطوره كباحث «المفهوم الشائع في فكرنا الديني والفلسفي المعاصر، والذي يرى التأويل جهدا عقليا ذاتيا لإخضاع النص الديني لتصورات المفسر ومفاهيمه وأفكاره».

ولم يقل لنا الدكتور نصر، على من يعود الضمير ـ «نا» في «فكرنا الديني والفلسفي المعاصر».. ذلك أن جعل التأويل «جهدا عقليا ذاتيا لإخضاع النص الديني لتصورات المفسر ومفاهيمه وأفكاره» ـ هكذا، دون ضوابط لغوية وفكرية ـ لم يقل به عاقل ينتمي إلى لغتنا العربية، ويفقه ـ فضلا عن أن يؤمن ـ بدين الاسلام!.

ثم يحدثنا الدكتور نصر عن تخلِّيه ـ في مرحلة تالية ـ عن هذا المفهوم للتأويل، وتبنيه لمفهوم «العلاقة الجدلية القائمة على التفاعل المتبادل» بين النص وبين المفسر له.. هكذا، أيضا، دون ضوابط من اللغة ومن ثوابت الفكر لهذه العلاقة وهذا التفاعل بين المفسر والنص موضوع التأويل[٢٦].

وأخيرا، وليس آخرا، يعود الدكتور نصر، فيتجاوز هذين المفهومين للتأويل ـ وذلك بعد أن حصل على الدكتوراه بناء على استخدامه للمفهوم الثاني في دراسته عن ابن عربي ـ يعود فيتجاوز هذين المفهومين، داعيا «إلى معاودة قراءة ابن عربي من منظور مغاير لقراءتنا السابقة له.. فلقد وقع باحثو ابن عربي، ومنهم كاتب هذه الدراسة (أي الدكتور نصر) في شرك القراءة الاستنباطية الذاتية. الأمر الذي يستدعى أن نتوقف هنا ـ مرة أخرى ـ أمام تأويل ابن عربي للقرآن، في محاولة لاكتشاف ما لم تكتشفه قراءتنا السابقة»[٢٧].

فإذا كان الدكتور نصر قد أنجز ما أنجز من مشروعه الفكري، معتمدا على التأويل، الذى هو «قراءة استنباطية ذاتية» وعلاقة ثنائية حرة بين المفسر والنص، غير مضبوطة بقوانين لغوية وفكرية، فإن هذه القراءة هي بالتأكيد، كما يسميها هو، وليس نحن، في نص اقتبسه ليعبر به عن موقفه: «قراءة غير بريئة»؟!.. وبعبارته هو، فإنه «انطلاقا من الوعي بهذه العلاقة الجدلية بين الباحث وموضوعه، لابد من التسليم ـ مع «لوى آلتوسير» بأنه «لا توجد ثمة قراءة بريئة»[٢٨].

هكذا نصل إلى قمة العبثية عندما نحرر القراءة والتأويل من الضوابط اللغوية والفكرية، فتتعدد المفاهيم ـ حتى في الوحي الديني ـ بتعدد القراء.. ونباهي ببراءة كل القراءات للوحى الدينى من الموضوعية والمشترك الذي تعارف عليه الوضع اللغوي ـ فهو «معنى» طويت صفحته لحساب «المغزى»، و«حقيقة» حل محلها «المجاز» وتحرر هذه القراءات من قوانين التأويل وثوابت الفكر، إلى آخر ما يؤلف بين الأمم، مما تتمايز به وفيه الأنساق الفكرية، والعقائد

الدينية، والمذاهب الفلسفية والثقافات والحضارات.

إنه مشروع قائم على التأويل، دون أن تكون لدى صاحبه أية ضوابط لهذا التأويل؟!.. بل ودون أن يلتفت فيه إلى التعريف الاصطلاحي للتأويل في تراثنا الذي يبحث فيه؟!.

فهل هذه هي المنهجية العلمية والحديثة والمعاصرة في التعامل مع المصطلحات.. وخاصة عندما تمثل هذه المصطلحات القواعد التي يقوم عليها المشروع الفكري لمن يشتغل بالفكر؟!.

وهل نستغرب بعد ذلك:

* أن يصبح التفسير الماركسي للإسلام هو «الإجتهاد الاسلامي المعاصر»؟!.

* وأن تصبح «قلة العلم» و«سوء الفهم والنية» و«خلل المنهجية» هي شروط ومقومات المجتهدين المعاصرين؟!.

الهوامش:

(١) (التفكير في زمن التكفير) ص ١٢١ ـ ١٢٧، ١٥٨ ـ ٢٣٠.

(٢) انظر: (قاموس علم الاجتماع) د. محمد عاطف غيث ـ طبعة القاهرة ١٩٧٩م. و(الموسوعة الفلسفية) وضع مجموعة من العلماء السوفييت ـ بإشراف: م. روزنتال، ب. يودين. ترجمة سمير كرم. طبعة بيروت ١٩٧٤م.

(٣) (مفهوم النص) ص ٧٩.

(٤) مجلة (القاهرة) إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني ـ يناير ١٩٩٣م.

(٥) المرجع السابق. نفس الدراسة.

(٦) التفكير في زمن التكفير ـ ص ١٣٠.

(٧) (المعجم الفلسفي) وضع مجمع اللغة العربية ـ طبعة القاهرة ١٩٧٩م.

(٨) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ٦.

(٩) البقرة/ ١٤٣.

(١٠) رواه الإمام أحمد.

(١١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ ٣ ص ٢٤٢.

(١٢) (التعريفات) للجرجاني ـ طبعة القاهرة ١٩٣٨م. والتهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون) طبعة الهند ١٨٩١م.

(١٣) مفهوم النص ص ٢٠٤.

(١٤) نقد الخطاب الديني ص ٨٧، ٨٨.

(١٥) رواه مسلم وابن ماجة والإمام أحمد.

(١٦) آل عمران: ١٥٤.

(١٧) نقد الخطاب الديني ص٣٣.

(١٨) التفكير في زمن التكفير ص ١٥٣.

(١٩) تدوين الدستور الإسلامي ص ٢٥١، ٢٥٣. ترجمة: محمد عاصم الحداد. طبعة بيروت ١٩٦٩م.

(٢٠) الحكومة الإسلامية ص ٧٠، ٧٣. ترجمة: احمد إدريس. طبعة القاهرة ١٩٧٧م.

(٢١) نظرية الإسلام السياسية ص ٣٤، ٣٥، ترجمة: خليل حسن الإصلاحي ـ طبعة بيروت ١٩٦٩م. والاسلام والمدينة الحديثة ص ٣٦، ٤٠ ـ طبعة القاهرة ١٩٧٨م.

(٢٢) القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في باكستان ص ١٧٣ ـ ١٧٥، ترجمة: محمد عاصم الحداد، طبعة بيروت ١٩٦٩م.

(٢٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٢، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة ١٩٨٣م.

(٢٤) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ٤ ـ ١١ ، طبعة القاهرة ١٩٠٧م.

(٢٥) التعريفات.

(٢٦) فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي ص ٥ ، ٦ .

(٢٧) مجلة (الهلال) محاولة لقراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي ـ مايو ١٩٩٢م.

(٢٨) إشكاليات القراءة وآليات التأويل ص ٢٢٨.

** ارقام الاعداد التي نشرت فيها دراسات الدكتور محمد عمارة الخاصة بموضوع الدكتور نصر أبو زيد.

١ ـ د. نصر أبو زيد والتفسير الماركسي للاسلام (١ ـ ٨). جمادى الأولى والآخرة ١٤١٧هـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٦م، ع ٥٣٥.

٢ ـ د. نصر أبو زيد والرؤية المادية للقرآن الكريم (٢ ـ ٨) رجب ـ شعبان ١٤١٧هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦م ، ع ٥٣٦.

٣ ـ د. نصر أبو زيد وتاريخية معاني وأحكام القرآن الكريم (٣ ـ ٨) رمضان ١٤١٧هـ ـ يناير ١٩٩٧م ع ٥٣٧.

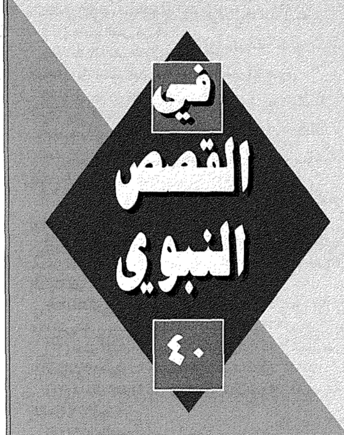
٤ ـ د. نصر أبو زيد والتفسير المادي للنبوة والوحي والعقيدة والشريعة (٤ ـ ٨) ذو الحجة ١٤١٧هـ/ ابريل ١٩٩٧م ، ع ٥٣٩.

٥ ـ نماذج من الجهالة في كتابات نصر أبو زيد (٥ ـ ٨) عدد المحرم ١٤١٨هـ/ مايو ١٩٩٧م ، ع ٥٤٠.

٦ ـ الامام الشافعي عند نصر ابو زيد (٦ ـ ٨) عدد صفر ١٤١٨هـ/ يونية ١٩٩٧م، ع ٥٤١.

٧ ـ حجة الاسلام الامام الغزالي عند نصر ابو زيد (٧ ـ ٨) عدد الربيعان ١٤١٨هـ/ يوليو اغسطس ١٩٩٧م ، ع ٥٤٢.

الجنـ



يفصل القصص النبوي في تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها ونورها وما يتصل بذلك مما يراود خواطر المسلم، ولذلك كانت توجه الأسئلة إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فيجيب أصحابه بما علمه الله ـ تبارك وتعالى.

روى الإمام احمد[١] عن أبي مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: (قلنا يارسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد. قال: لو تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم، قال: قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها[٢] المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السموات، ويقول الرب {وعزَّتي وجلالي لأنْصُرَنّك ولو بعد حين}. وفي رواية عن ابن عمر قال: (سئل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن الجنة فقال: من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه، قيل يارسول الله كيف بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران.

وفي قصة عن أنس بن مالك قال: (كان أبو ذر يحدث أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[٣] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك) وعنه أيضا: أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة[٤] بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} صدق).

وجاء في قصة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أرض الجنة بيضاء، عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم، فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة، فتهيج عليهم ريح المسك، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا

ـــة ونعيمها (٤)

فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد اعجابا).

وروي ابن أبي الدنيا[٥] عن أبي هريرة موقوفا قال: حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ودرجها الياقوت واللؤلؤ، قال: وكنا نحدث أن رضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (خلق الله جنة عدن بيده، ودلّى[٦] فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل).

وفي رواية قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (خلق الله جنة عدْن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، ملاطها مسك، حشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها انطقي، قالت: قد أفلح المؤمنون، فقال الله - عز وجل - وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (ومن يوق شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون).

ونقل القرطبي[٧] عن الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لقيت ابراهيم - عليه السلام - ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وقصص كثيرة تتحدث عن رائحة الجنة وطيبها منها: (وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) وفي أخرى: (وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا) وجاء أيضا (وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة).



بقلم:
أ.د. عبد الباسط احمد على حمودة
- مصر -

وما حول الجنة يسمى ربض وهى تشبه ضواحي المدينة، وفي بعض المعاجم الربض كل ما تأوى إليه وتستريح من أم وزوج وبنت وقرابة وبيت وغيره. وفي القصص النبوي روى النسائي عن فضالة بن عبيد قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (أنا زعيم - والزعيم الحميل - لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت له في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا، ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت). قال عمر بن عبد العزيز والزهدي والكلبي ومجاهد: مؤمنو الجن في رُبُض ورحاب حول الجنة وليسوا فيها.

وأما ما جاء من القصص النبوي عن نور الجنة وبياضها فعن ابن عباس[٨] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزي إلى الله البياض

فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت: يارسول الله إني اتخذت غنما سودا فلا أراها تنمو، قال: عفري) وقوله (عفري) أي بَيِّضي.

وعن عطاء عن ابن عباس يرفعه: (إن الله خلق الجنة بيضاء، وإن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم).

وروى البخاري عن عبد ربه الحنفي عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة، بعد ما كف بصره - فقال: (يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس، فذلك نورها، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير).

ومما يدل على شدة الأنوار في الجنة ما رُوي عن ابن عمر عن النبي {صلى الله عليه وسلم}[٩]: (والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود من الجنة مسيرة ألف عام).

قال ابن كثير[١٠]: ثبت في الصحيحين عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه، أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (جنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم - عز وجل - إلا رداء الكبرياء، على وجهه، في جنة عدن) وعنه أيضا أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين) وعن أنس وأبى فلاته معاً مُرْسلا[١١]، (ليس هنالك - يعني في الجنة - ليل، إنما هو ضوء ونور، يرد الغدو على الرواح، والرواح على الغدو، وتأتيهم طرف الهدايا من الله المواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها في الدنيا، وتسلم عليهم الملائكة).

في الجنة أنهار وسحب وأمطار وجبال وأودية

يتجلى للباحث المنصف والقارىء المتأمل مكانة السنة ومنزلتها في التشريع الإسلامي وبخاصة في شرح وبيان القرآن الكريم وتوضيح مقاصده. يتبين بوضوح مدى شناعة وجريمة أولئك الذين ينكرون السنة بزعم أن القرآن لا يحتاج إليها، لأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أرشد إليها. وهذا جحود ومغالطة يأباها الواقع الذي يلمسه كل المشتغلين بالدراسات القرآنية والسنة المطهرة.

ولا نريد أن نستطرد في ذلك ولكن نعرض موقف القرآن في بيان أنهار الجنة، وهو بيان يؤدي الغرض المقصود والفائدة المرجوة في جو السياق والخطاب، وهنا تأتي السُّنة فتزيد الأمر توضيحا وشرحا وتفصيلا كما سنرى في قول الله تعالى: (مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى).

وهنا نقف على مكانة السنة المطهرة ودور القصص النبوي في بيان هذه الأنهار، وذلك ما يعتمد عليه أهل التفسير والمشتغلين بالتأويل[١٢]، روي عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار

بعد) وفي قصة عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهارا) وفي رواية: (إذا سألتم الله - تعالى - فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن).

وفي قصة أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، قلت: يارسول الله فعلى ما تطلع من الجنة؟ قال {صلى الله عليه وسلم}: (على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صراع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعَمْرُ إلهك ما تعلمون خيرا من مثله، وأزواج مطهرة) قلت: يارسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات؟ قال: (الصالحات للصالحين، تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذوا بكم، غير أن لا توالد).

وروي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض، حافتها قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر.

ويذكر القرطبي[١٣] من القصص النبوي ما يزيد الأمر وضوحا، ويعطي المؤمن صورة جلية كأنه يعاين الخبر عيانا بيانا، فيروى أن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود، منضبطة بالقدرة.

ويروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (أنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك).

ومن القصص الذي يتصل بأنهار الجنة ما روى عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (أربعة جبال من جبال الجنة، وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فمن الأجبل؟ قال: جبل أحد، يحبنا ونحبه، والطور: جبل من جبال الجنة، ولبنان: جبل من جبال الجنة، والجودي: جبل من جبال الجنة، والأنهار: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان. والملاحم: بدر ، وأحد، والخندق، وخيبر).

وعن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده قال: غزونا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} أول غزوة غزاها الأبواء، حتى إذا كنا بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى بهم، ثم قال: (هل تدرون ما اسم هذا الجبل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال هذا خصيب جبل من جبال الجنة، اللهم فبارك فيه وبارك لأهله وقال للروحاء: هذه سجاسج واد من أودية الجنة، لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيا، ولقد مر موسى - عليه السلام - عليه عباءتان قطونيتان على ناقة ورد في سبعين ألفا من بنى إسرائيل، حتى جاء البيت العتيق).

وعن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك).

وجاء في البخاري من طريق شريك عن أنس - رضي الله عنه - في حديث الإسراء، (فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى في السماء؛ فإذا هو بنهر آخر، عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد، فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا

يا جـبـريل؟ قـال: هذا الكوثر الذى خـبـأ لك ربك).

وأورد الإمام مسلم في صحيحه[١٤] من قصة الإسراء حدث نبي الله {صلى الله عليه وسلم} (أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهـران ظاهران، ونهـران باطنان، فـقلت يا جبريل ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات).

وفي قصص نبوي يفصل نزول الأنهار في الأرض، ومنابعها في الجنة، وما تكون عليه هذه الأنهار عند نهاية الدنيا، مما يحتاج إلى نظر وتأمل فيما يحدث في زماننا هذا من قضايا المياه في الشرق الإسلامي.

فعن ابن عباس[١٥] - رضي الله عنهما - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (أنزل الله - عز وجل - إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون، وهو نهر في الهند - وجيحون، وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهر العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، في أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل - عليه السلام - فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، في أصناف معايشهم وذلك قوله - جل ثناؤه - {وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض} فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج، أرسل الله جبريل، رفع من الأرض القرآن، والعلم، وجميع الأنهار الخمسة، فيرفع ذلك إلى السماء، فذلك قوله - تعالى - {وإنا على ذهاب به لقادرون} فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد أهلها خيري الدنيا والدين).

وروى عن المسعودي قال: (مد الفرات على عهد ابن مسعود، فكره الناس مده فقال ابن مسعود: لا تكرهوا مده، فإنه سيأتى زمان يلتمس فيه طست مملوء من ماء فلا يوجد، وذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره، فيكون بقية الماء والعيون بالشام).

قال الإمام شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية[١٦]: (وقد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى: {جنات تجرى من تحتها الأنهار} وفي موضع: (تجرى تحتها الأنهار) وفي موضع: (تجري من تحتهم الأنهار) وهذا يدل على أمور؛ أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة. الثاني: أنها جارية لا واقفة. الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا. فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف، وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها.

ونقل ابن القيم أن هناك أنهار أخرى بعيدة عن القصور والغرف والمنازل، فعن عبد الله بن وهب[١٧] حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (إن في الجنة نهرا يقال له البيدخ[١٨]، عليه قباب منّ ياقوت، تحته جوار، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أُعْجِبَ رَجُلٌ منهم بجارية مس معصمها فتتبعه).

وفي الجنة عيون كثيرة للماء تستخدم في الشراب وفي غير ذلك كما جاء في قوله تعالى: {إن المتقين في جنات وعيون} وقوله: {إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يُفَجِّرُونَها تفجيرا} وقال تعالى: {فيهما عينان تجريان} وقال

أيضا: {فيهما عينان نضاختان} ومعنى نضاختان فوارتان بالمادتين العطريّتين أو فوارتان بالماء لا تنقطعان.

وروى عن أنس، رضي الله عنه، قال: نضاختان بالمسك والعنبر، ينضخان[١٩] على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا[٢٠].

ونقل القرطبي في التذكرة قصة عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}«: (أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التى ذكرها الله: (يفجرونها تفجيرا) والأخرى: (نضاختان) من فوق العرش، إحداهما ذكرها الله سلسبيلا، والأخرى التسنيم).

وفي الجنة سحب تنزل أمطارا بما لذ وطاب مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهذا من زيادة النعيم والتكريم لأهل الجنة حين يتزاورون على المطايا والنجب، وفي هذه الزيارة يرون ما أخفي لهم من قرة أعين. فعن أيوب بن بشير[٢١] عن شفيع بن مانع أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله، فيأتيهم مثل السحابة، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، فيقولون امطرى علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية، فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها، وفي رؤسهم، ولكل رجل منهم جمة، على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله - تعالى - قال: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} فيقول: بلى وربى، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا، ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم).

ومن أنهار الجنة نهر بارق على باب الجنة روى ابن عباس[٢٢] - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (الشهداء على بارق نهر على باب الجنة في قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا).

ومن أعظم أنهار الجنة وأشهرها نهر الكوثر الذى أعطاه الله لنبيه محمد {صلى الله عليه وسلم} روى أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أعطيت الكوثر، فإذا نهر يجرى على وجه الأرض، حافتاه قباب اللؤلؤ، ليس مسقوفا - فضربت بيدي إلى تربته، فإذا ترابه مسك أذفر، وحصباؤه اللؤلؤ) وجاء في وصفه أنه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، ترده طيور أعناقها مثل أعناق الجزور وأكلها أنعم منها، وآنيته كعدد النجوم[٢٣].

طعام أهل الجنة وشرابهم وآنيتهم:

فاضت السنة المطهرة بالقصص عن طعام وشراب أهل الجنة وآنيتهم، وكيفية الأكل والشرب وأنواع المأكولات والمشروبات، كل هذا

في أسلوب بليغ، وتصوير رائع يكشف عن خصائص جوامع الكلم التى أوتيها محمد {صلى الله عليه وسلم}.

ومن هنا نحاول أن ننظم وننسق هذا الكم الكبير من القصص الذى جاء في هذا المقام ونبدأ بقصة مشوقة ومثيرة من عدة وجوه: منها أنها جاءت في قالب الحوار بين حبر من أحبار اليهود وبين رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ومنها أن الأسئلة موجهة على جهة التحدى والاختبار، الأمر الذى لفت نظر الصحابة وأثارهم أحيانا، ومنها وهو الأهم أن الأسئلة التى وجهت وإجاباتها من الأمور الغيبية التى لا يقدر عليها البشر العاديون.

نقل ابن قيم الجوزية[٢٤] عن مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: (كنت قائما عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يارسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذى سماه أهله، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: إن اسمى محمد الذي سماني به أهلى، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أينفعك شيء إن حدثتك؟ فقال: أسمع بأذنى، فنكت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعود معه فقال: سل. فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة[٢٥] يوم القيامة؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون[٢٦]، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال: فما شرابهم؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمعك بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منَيّ المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، وإن علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى، قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله ـ عز وجل ـ به).

وتوضح قصة أخرى القصة السابقة ورواها البخارى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: (سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة وهو في أرض يخترف[٢٧]، فأتى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفا، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله} أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت انثى، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يارسول الله، إن

اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يارسول الله).

وروي أن كعبا قال: (إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة ادخلوها، إن لكل ضيف جزورا وإني أجزركم اليوم، فيأتى بثور وحوت فيجزر لأهل الجنة).

وجاء في القصص النبوي عن جابر - رضي الله عنه - قال[٢٨]: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء[٢٩] كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فيجيء الإبريق فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى مكانه)

وكان اليهود يعترضون على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويشككون في حديثه عن الجنة وأهلها وعن كثرة الطعام والشراب، وكثرة الأزواج والخدم، وسعة العطاء والملك في الجنة، وقد يكون هذا الاعتراض اختبارا ومراجعة لما في كتبهم، وقد يرى بعضهم أن الضيبيات ومنها الجنة ونحوها تعطيهم الفرصة في بذر بذور الشك في قلوب المسلمين، ولكن نرى في القصص النبوي ما يجلى الأمر ويبدد الشك، ويعطى الدليل على هذه الحقائق، وأن النبي {صلى الله عليه وسلم} مخبر عنها من قبَلِ الله تعالى.

وفي قصة رواها زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: (جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: نعم، والذى نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع، قال: فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى؟ قال: تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك، فيضمر بطنه).

وفي الطبراني باسناد صحيح ولفظه في إحدى رواياته قال: (بينما نحن عند النبي {صلى الله عليه وسلم} إذ أقبل رجل من اليهود، يقال له ثعلبة بن الحارث، فقال: السلام عليك يا محمد، فقال: وعليكم، فقال اليهودي: تزعم أن في الجنة طعاما وشرابا وأزواجا؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} نعم، تؤمن بشجرة المسك؟ قال: نعم، قال: وتجدها في كتابكم؟ قال: نعم، قال: فإن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم[٣٠] إلى أقدامهم).

وجاء في القصص النبوي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يرفعه قال: إن أسفل أهل الجنة أجمعين، من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صحفتان، واحدة من فضة وواحدة من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثلها، يأكل من آخره كما يأكل من أوله، يجد لآخره من اللذة والطعم مالا يجد لأوله، ثم يكون فوق ذلك برشح مسك وجشاء مسك لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة، إن له لثلاثمائة خادم، وَيُغْدَى عليه كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة ـ ولا أعلمه إلا قال من ذهب ـ في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء).

وفي الجنة طير يأكله أهل الجنة كما جاء في القرآن الكريم {ولحم طير مما يشتهون} وتتولى السنة المطهرة التفسير والتوضيح لهذا الطير، وذلك يكشف من مكانة السنة والحاجة إليها كما يكشف القصص النبوي في هذا المجال وفي غيره عن إعجاز النبوة، من حيث الإخبار عن الغيبيات، وعن الإعجاز في البيان النبوي في تفصيل حقائق ودقائق ما في الجنة من ألوان المأكولات والمشروبات، الأمر الذى يشهد لمحمد {صلى الله عليه وسلم} بالرسالة الخاتمة. والواقع أن ما جاء في القصص النبوي عن صفات طير الجنة، وكيفية أكله، مما سنراه يجعل القارىء على يقين بأن البشرية منذ خلقها الله لم تر ولم تسمع ولم يخطر على قلبها مثل هذه المخلوقات لولا أنها جاءت في هدي النبي {صلى الله عليه وسلم}.

ففي القصص النبوي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر: يارسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: أكلتُها أنعم منها، قالها ثلاثا، وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها» وسئل النبي {صلى الله عليه وسلم} ما الكوثر؟ قال: ذاك نهر أعطانيه الله، يعنى في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر[٣١]، قال عمر: إن هذه لناعمة، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أكلتها أنعم منها.

وتحكي لنا قصة كيف يصل الطير إلى أهل الجنة فيروى عبد الله بن مسعود[٣٢] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه، فيجيء مشويا بين يديك). وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطير من طيور الجنة، فيقع في يده منفلقا نضجا) وعن ميمونة ـ رضي الله عنها ـ أنها سمعت النبي {صلى الله عليه وسلم} يقول: «إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختيّ حتى يقع على خوانه[٣٣] لم يصبه دخان ولم تمسه نار، فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير».

وتصف قصة نبوية طير الجنة بوصف لا يمكن أن يخطر بخيال بشر، لولا أنه حقيقة في الجنة عرفت عن طريق القصص النبوي، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إن في الجنة طائرا له سبعون ألف ريشة، يجيء فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة، فينتفض فيقع من كل ريشة لون أبيض من الثلج، وألين من الزبد، وألذ من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير».

ونقل القرطبي[٣٤] عن الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي {صلى الله عليه

وسلم} قال: «إن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت، تصطف على يد ولي الله، فيقول أحدها: يا ولي الله رعيت في مروج الجنة تحت العرش، شربت من عيون التسنيم، فكل مني، لا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها، فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد، فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر: يا نبي الله، إنها لناعمة، قال: أكلها أنعم».

ونقل صاحب كتاب حادي الأرواح[٣٥] عن بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: (إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أُمْطرُوا).

ونقل ابن كثير[٣٦] عن الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود، في قوله ـ تعالى: {يُسْقَونَ من رحيق مختوم ختامه مسك} قال: الرحيق الخمر، مختوم: يجدون عاقبتها ريح المسك.

وقال سفيان بن عطاء بن السايب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: {ومزاجه من تسنيم} قال: هو أشرف شراب أهل الجنة، يشربه المقربون صرفا، ويمزج لأهل اليمين.

وثبت في الصحيحين عن حذيفة قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا في صحافها، فإنها لهم فى الدنيا، ولكم في الآخرة) وفي التذكرة عن النسائى عن أبى هريرة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن شرب من آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة) ثم قال: (لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة).

الهوامش :

(١) حادي الأرواح ص ١٧٢.
(٢) الملاط: الطين.
(٣) الجنابذ: جمع جنبذة وهي القبة.
(٤) الدرمكة: الخبز الصافي.
(٥) الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٥١٢.
(٦) جعلها قريبة.
(٧) التذكرة ص ٥٦٨.
(٨) حادي الأرواح ص ١٧٦.
(٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١١١.
(١٠) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٢٦٨.
(١١) منتخب الكنز جـ ٦ ص ١١٣.
(١٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٧٦.
(١٣) التذكرة ص ٥٢٣.
(١٤) جـ ١ ص ٣١٨.
(١٥) التذكرة ص ٥٢٤ وحادي الأرواح ص ٢٢٣.
(١٦) حادي الأرواح ص ٢١٧.
(١٧) ص ٢٢٣.
(١٨) البيدخ: العظيم أو البادن السمين.
(١٩) يرشان.
(٢٠) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥١٨.
(٢١) حادي الأرواح ص ٣١٣.
(٢٢) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٢٩٧.
(٢٣) سبق أن تكلمنا عليه عند القصص عن الحوض.
(٢٤) حادي الأرواح ص ١٩٥.
(٢٥) عبورا ومرورا.
(٢٦) كبد الحوت.
(٢٧) يخترف: يجني الثمر من بستان النخل.
(٢٨) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٢٤.
(٢٩) هو صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع.
(٣٠) الذؤابة: الضفيرة من الشعر.
(٣١) الجزر: الإبل، والبخت: الإبل الخراسانية.
(٣٢) الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٥٢٧.
(٣٣) الخوان: ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.
(٣٤) التذكرة ص ٥٦٤.
(٣٥) ص ٣١٢.
(٣٦) النهاية في الفتن جـ٢ ص ٣١٩.

بكائية إلى سوق عربية مشتركة



شعر: أ.د.
كمال إسماعيل
- مصر -

كـوني أيا ســوقُ عُكاظيــة
أو أنت فُسطاطيــة في هناءْ
لا شــرقُ أوسطيــة، شنهــا
الغـربُ على شرق شـديد العناءْ
تســألُ عنك الدارُ في صـحنهــا
تحـصُرُ مـا تدري، ومـالا تشاءْ؟
ورأس مـــال الحيِّ مُستْطلعٌ
والبـيعُ يُلقى سـمـعَـهُ للشـراءْ
والمصـرفيُّ اشـتـاق، عند الربا
أن تُسفـري، بالوجـه ، بالأتقيـاءْ

* * *

والرِّبحُ يسـتـفـسـرُ عن أهله
كـمـا يناديهم أحـرُّ النداءْ
وصـوتُه ينفـذ منْ مـعـقل
ولوْ عليـه ضـربوا بالخـبـاءْ
تُهـاجـرُ التـمـرة من غـصنهـا
والقـمحُ منْ قـشـرته، من لحـاءْ
وتتْرُكُ الألبـــانُ حُلابَهـــا
وضـرعـهـا في بقـر ، أو بشـاءْ
وتقـصـد المؤمن في لهـفــة
إليـــه تبكى، وتطيل البكاء
فـمـا الذي يجـعل مـخطوبة
للحرْف ، لا زينة ، لا كـهـرباء؟
هـل قـلَّة الأدمـع فـي أعـين
الرزق ، وهذى قشـرة من دمـاءْ؟
وهــذه قــنـطـرة مــن نــدى
وهـذه من نسـج ملـح ومــــاء
هل إنّهـا إجـهـاشـةٌ ؟ أنت ذي
مبـحـوحـة منها لقرن السمـاء؟
هل رقـعــة المنديل ، وهي التى
كادت تُصيبُ الكعب ، لولا الحياء
أمْ صـيـغــة للصـوت نفَّاذة
والصـوت عفريت ، سليلُ الهواء؟

* * *

بدونك الرُّقـعــة عُصـفــورة
في خـاطر النَّسْر ، وذهن الجـرَاءْ
وحــانةٌ (للسَّبت) مــغــفـورة
لا ســوق الاثنين ، أو الأربعــاء
تزوَّدى للفـــهـم ، لا تخـجلى
لا تفعلي ، لا تجلسي القرفصـاءْ
فــقــد يكونُ الطيُّ ، لا حكمــة
فـيــه ، ولا يرقـد فـيــه ابتـلاءْ

* * *

لنســـأل القــوم الذين اهــتـدى
السُّوق لهم ، ولتسـمعي في جلاءْ

* * *

لا لـوم لو نـســـأل آثارهـم
وننطقُ الذكرى، ونُجلي الخـفـاء

فـقـد يفـيـد الغـابرُ المنقـضي
وتصلح الجـمـــرة للاصطلاءْ
وينقل الأوّل للمـــقـــتـــفي
مـا يوقف الآجـال في الانتـهـاء

* * *

هناك بابٌ منه قـــد أقـــبلوا
من يثـرب ، تقـاطروا من حـراءْ
وفـــارسٌ بُغــيــتــهـم دارُها
ومـصرُ والشّام مـحطُّ الرّجـاء
وهُمْ أقــلُّ الـــنَّاس فـــي عدَّة
وأكــثــرُ الناس بيـوم اللقـــاء
وكــســرة الخـبـز لهـا وثبـة
من نجلهم ، حتى البعيد الإخاءْ.
وكــفــة السلعـــة مـــغــزولة
لوجـهـة الشـرعـة ، لا للغـلاء
والجـارُ للجـار نصـيـر ، ومـا
من جـيــرة إلا عليــهـا لواء
والماء مـــوصـــول ، ومـــاعُونُهُ
للطّبِّ ، للجـبـر ، لرسم الدّواء
والســعـى للدنيــا له أجـرُه
كـالكدِّ للأخـرى ، نظيـر ، سـواءْ
وألفـــة السّبق دواليــبــهـــا
منصـوصـة ، فـوق ذراع الفضـاء

* * *

وهـان كـســرى لفــقــيــر بهم
والفـقـر قـد يهـدم بيت الثـراء
وعرْش كسرى اهتزَّ من تحتـهم
مـــيــزانهُ، مـــيــزابهُ ، والبنـاء
والشَّام إذ طارده قـــيـــصـــر
قـد طارد القـيصـر حتى الفناء
وتمت الدنيــا بـأركـــانهـــا
بالعـدل ، والعـفّة ، لا الكبـريـاء

وأوسـع اللهُ لهـــا رزقـــهـــا
ببـيـت مـــال عُمَريٍّ القـضـــاءْ
ودارت الأرض بـــنــــا دورة
غـــربيَّة ، ثُمَّ انقــضـى هؤلاءْ

* * *

ومـن تُرى أحـــســنَ حظا إذنْ
أنت أم الطيـــر الرحـيب الإناء
والنَّحْل باليـعسـوب يجني ، ومـا
أقــفل عنه الزّهرُ عَيْنَ الرّضـــاء
والروض يعْشــوشبُ حـتى نرى
عليـه مـثل المنّ بعض الغـشـاء
ولست للرَّوْض مـــثـــيـــلا ، ولو
أتيت للرَّوض ، ولـوذاك جـــاء

* * *

هـا أنت للأضـــداد مـــرصـــودة
راسـفـة فـيـهـا رُسوف الإمـاء
هل كـان من جـد لدى الملتـقى
أسلف ذنباً، أو حـفـيـد أسـاء؟؟
أو صـاحب قـدْ أدمن الذَّمّ ، قـدْ
خـاض إلى الناس بحـارَ الهجـاءْ
وأنت منْ لحـمــتـــه قـــبـضـــة
طالبــهـــا الدَّيْنُ بهـــذا الأداء

* * *

اللـهُ في رحـــمـــتـــه واسع
قـد وزن الوزر ، وقـاس الجـزاء
فـأرسل الإفطار من فـيـضـه
إلى شظاياك ، وسـاق العـشـاء
والثَّوب ، كي يسـتـر مـا فـرّقتْ
يدان ، قـدْ وزَّع فـيك الكسـاء
والخـــيط والإبرة كي ترتُقي
مـا شتَّ منهُ ، كي تلُميَّ الرِّداء

نظرية الخيال:

الفيلسوف محي الدين بن عربي ونظريات الخيال المعاصر

بقلم: د. شريف مفلح
- سوريا -

يتكيء النقاد العرب المعاصرون أثناء حديثهم عن الخيال على نظرية «كولردج» ويعودون اليها كثيرا، خصوصا في أفضل شروحها عند «ريتشاردز» بحيث لا يخلو كتاب نقدي عربي يتطرق إلى موضوع الخيال من اشارات اليها.

وبمقدار التركيز على كتابات الأب الحقيقي لنظرية الخيال الحديثة، يتجاهل النقاد الاضافات الكبرى التي قدمها مفكر وشاعر عربي يجوز لنا أن نعتبره، بدون مبالغات، من أكبر المساهمين في صياغة نظرية الخيال بشكلها المعروف في النقد الغربي، بحيث يستغرب الباحث مواطن الشبه الكبيرة والكثيرة بين ما كان يقدمه محي الدين بن عربي قبل عدة قرون وبين ما جاء به «كولردج» و«رامبو» و«بودلير» واصحاب فكرة الخيال الاجمالي كـ «كلودبرنارد» و«باستير» وغير ذلك من النظريات المعروفة في القرنين الاخيرين.

دراسات الخيال:

قبل أن نوغل في هذا البحث الشائك، يفضل أن نلاحظ أن هناك اشكالية لغوية أولية في دراسات الخيال بالعربية، فمن المعروف أن كلمة Imagination التي تم اشتقاقها من الاصل اللاتيني Imagintion لا علاقة لها بالمصطلح اليوناني الذي استخدمه العرب للاشارة إلى الخيال وهو كلمة phantasia التي نقلها الفيلسوف الكندي، وعممها بشكل مبكر من ازدهار حركة الترجمة فخلط التوهم بالتخيل، ولم يتحرج من جاء بعده من استخدامها للدلالة على المعنيين.

والاكثر غرابة، من اضافات محي الدين بن عربي الجديدة إلى نظرية الخيال جرأته على إذاعتها في عصر كثرت فيه الكوابح الدينية والاخلاقية وضيق خلاله

** الخيال عند ابن عربي ساهم كثيراً في صياغة نظرية الخيال الحديثة

المتكلمون والفلاسفة مجال الابداع، وربما كان محي الدين بن عربي مهيئا اكثر من غيره للقيام بذلك الدور، فهو أجرأ من انتقد الفلاسفة والفقهاء.

معارك فلسفية:

{الذين ينكرون موهبة الخيال يجحدون قدرة الله} بهذا السلاح الضخم المرعب دخل محي الدين بن عربي المعركة ضد الفلاسفة والفقهاء، وتطرف في فهم الخيال إلى درجة قرر معها أن صاحب الكشف يستطيع أن يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف والكلمات. وهذا النوع من الشطحات الخيالية لن نجده إلا عند رامبو في وقت لاحق، لكنه كان ضروريا ومقنعاً على ما يبدو، فلكي تزرع فكرة ما في أرض معادية، لابد أن تبالغ فيها. فإذا اقتنع الناس بنصف ما تقوله، أو صدقوه، ربحت المعركة، ولن يضيرك أن تتخلى عن النصف الآخر ما دامت الأمور تسير في الاتجاه المرسوم. والصعوبة الكبرى في فهم الخيال عند محي الدين بن عربي تتمثل في تخليص الفن من الدين، وهي مهمة شاقة، لا سيما إذا علمنا أن الشاعر المتصوف لم يكن يجيد التفريق بين ما يصدر عنه عن طريق التفكير وما يصدر عنه عن طريق الالهام.

ابن عربي ونظرية الخيال:

بعض جوانب نظرية الخيال عند محي الدين بن عربي لا يمكن بحثها على أنها نشاط انساني لإحدى الملكات البشرية المعروفة، لأنه يخلق لنا فكرة في غاية التضليل يسميها «الاسراء الروحاني» ويربطها بالقدرة الالهية وقد صادفت مشكلة التفريق بين الميتافيزيقي والارضي عند ابن عربي العلامة الفرنسي «هنري كوربان» فعالجها في كتابه الهام «الخيال الخالق في تصوف ابن عربي». كما صادفت المشكلة نفسها الدكتور محمود قاسم الذي وضع كتابا في مذهب ابن عربي درس فيه المسألة من منظور مختلف، إن لم نقل معاكسا، ففي الوقت الذي قرر فيه كوربان أن يبدأ في الميتافيزيقي وصولا إلى الانساني اختار الدكتور قاسم أن يبدأ من الانساني.

الخيال من القوى المعنوية التي تنمو بنمو الانسان

على صعيد منهجي بحت، لا أرى ما يمنع من تبني الاتجاهين والتوحيد بينهما، لأن موضوع الخيال له جذره الحسي المرتبط بالارض، وللصور والمعارف الانسانية امتداداتها وتجلياتها الغامضة التي لا يمكن للعقل البشري أن يفهم بعضها، لارتباطها بالمعارف الحدسية

والكشوفات الروحية. ومن هنا يصبح الجمع بين منهج «كوربان» ومنهج الدكتور «قاسم» ضروريا لرسم الصورة الكلية للخيال عند المفكر والشاعر الذي صرف حياته في تطور نظرية الخيال، وقدره حق قدره، فاعتبره في القمة من سلم المعارف الانسانية، وتحسر على الحكماء والفلاسفة الذين أهملوا دراسة الخيال فنقصهم علم شموخ هذه المرتبة على سائر المراتب.

وقد بدأ محي الدين بن عربي تطويره لمفهوم الخيال، على طريقة الشعراء الرومانسيين في القرن التاسع عشر في مرحلتهم التي سبقت إقامة العلاقة اللاشعرية بين الشعر والعلم على يد البرناسيين. فأقام القطيعة مع العقل، وشكك بطرقه وأساليبه، فلا هو قادر على الكشف عن طاقات الروح، ولا هو يصلح لتمهيد طريق الايمان، ولا هو مؤهل للحكم على التجارب الوجدانية. وقد ذهب محي الدين بن عربي في ثورته ضد العقل ومبالغته في الاعلاء من شأن الخيال إلى حد التشكيك بأن يكون العقل صالحا لتحصيل المعرفة: «ومن لا يعرف مرتبة الخيال، فلا معرفة له جملة. وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة».

ونميل إلى الظن أن ابن عربي قد وقف هذا الموقف أيضا ليضع حاجزا واضحا بين علوم الظاهر وعلوم الباطن. فما دام العقل هو طريقة أهل الظاهر في الوصول إلى الحقيقة، فلابد أن يكون لأهل الباطن وسيلتهم. وقد وقع خياره بذكاء شديد على الخيال ليوازنه بقدسية مبدأ العقل عند أهل الظاهر:

لفؤادي أو فؤاد من له
مثل ما لي من شروط العلما
صفة قدسية علوية
أعلمت أن لصدقي قدما
فاصرف الخاطر عن ظاهرها
واطلب الباطن حتى تعلما

ابن عربي والخيال:

اعتقد محي الدين بن عربي أن الخيال من القوى المعنوية التي تنمو بنمو الانسان، وأعطاه دور الوسيط بين عالم الحس وعالم الغيب. وترك له المجال مفتوحا ليضيف إلى قوته وطاقاته على الدوام، فجميع القوى المعنوية كالعقل والذاكرة والحافظة تولد مكتملة إلا قوة الخيال التي تبدأ صغيرة محدودة، ثم تكبر وتتطور كلما تقدم العمر وزادت التجارب.

الخيال نور تدرك به التجليات

وحين جاء محي الدين بن عربي إلى توصيف الخيال تابع إخوان الصفا في الاعتقاد بطبيعة النورانية «الخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات النورية، فنوره لا يشبه الانوار، وبه تدرك التجليات، وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس»، ونظرا لهذه الطبيعة النورانية نفى ابن عربي عن الخيال إمكانية الخطأ، لأنه ليس مصدرا للأحكام، وإذا كانت هناك اخطاء فمن الواجب أن ننسبها إلى العقل الذي هو مصدر الحكم والتمييز وهو مصدر القصور في الوقت ذاته.

وعلى هذا الصعيد يجب ألا يغيب عن بالنا أن أوجه اللقاء بين الصوفية العربية

** شطحات ابن عربي خلطت بين الخيال والوهم.
** العالم المرئي ليس سوى مخزن للصور والاشارات .. والخيال يعطيها قيمتها

والرومانسية الغربية كمصانع بشرية كبرى للاحلام ومزارع رائعة لتجريب عمل الخيال قد سمحت بتطوير نظرية الخيال في اتجاه مواز عند الطرفين. لقد فرق محي الدين بن عربي بين الادراك الخيالي، والادراك الحسي، ووضع الادراك الخيالي في مرتبة أعلى وأقام الفروق بين ما ندركه بعين الحس وما ندركه بالخيال، واستطاع أن يفرق بطريقة فريدة بين خيال المبدعين وخيال المجانين والموسوسين، ولكنه لم ينج هو نفسه من ممارسة خيالات المهلوسين Hallucination فقد زعم ذات مرة أنه أسرى به الخيال ليشاهد العرش.

شطحات وهلوسات:

هذه الشطحات كلها، قد تجد تفسيرها عند يونغ الذي يعيد أمثالها إلى الرموز التي تمس وتراً خاصاً في الذهنية السامية. والحقيقة أن هذه الشطحات بالذات تمنعنا من القول بأن ابن عربي كان يفرق بين الخيال والوهم كما فعلت النظريات الحديثة.

بجانب هذه الشطحات التي لا تجد تفسيرها السهل عند العاقلين قدم محي الدين بن عربي مجموعة أفكار ذات قيمة استثنائية، فآمن بأن الخيال يعمل أثناء النوم. وشبه النفس التي تطلع على ما خزنته من الصور الخيالية أثناء النوم كالملوك الذين يدخلون خزائنهم في أوقات فراغهم ليعيدوا اكتشاف ما فيها. ويذكرنا هذا المنحنى بناقد الرمزية «تندال» الذي ذهب إلى الاقرار بأن العالم المرئي ليس سوى مخزن للصور والاشارات التي تظل بحاجة إلى من يكتشفها إلى أن يأتي الخيال ويهيىء لها مكانها ويضفي عليها قيمتها.

إن الانجاز الكبير الذي قدمه محي الدين بن عربي يتمثل في ابتكار علم الضربة أو الرمية أو النظرة. ويقصد به الحدس الخيالي الذي يسطع دون سابق انذار ليكشف حقائق الاشياء الغامضة في لمحة عين، والى هذا العلم بالذات يدين المبدع والمخترع بانجازاته. ففي لحظة من اللحظات يتوقف العقل، وتصبح المعرفة الحدسية، عن طريق الرمية هي الوسيلة الوحيدة للكشف، ويصبح الحدس الخيالي الذي يمكن أن نعتبره عنوان العبقرية، والقاسم المشترك بين الشعراء والعلماء هو الطريق الوحيد لإنجاز الأعمال الموصوفة بالجدة والابتكار.

وقد مهد علم الرمية عند ابن عربي لتطوير نظريات الحدس الخيالي، لا سيما عند «بودلير» و«رامبو» اللذين نستطيع أن نجد بقليل من التدقيق جذور كشوفاتهما في الشطحات الابن عربية التي أهملنا دراسة تأثيرها على نظرية الخيال الغربية المعاصرة التي تدين لشاعرنا ومفكرنا العربي بعمودها الفقري.

اتجهت الدراسات حول الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في منتصف القرن الرابع عشر الهجري إلى حقل الأدب والنقد، وكان المسوغ لذلك أن القرآن الكريم إذا كان كتاب عقيدة وشريعة، فهو أيضا نص أدبي رفيع، يحتل المكانة الأولى في الأدب العربي، ويعتلي ذروة النثر الفني في أسمى صيغة تعبيرية محكمة.

وإذا كان القرآن الكريم قد خلع على اللغة العربية سمة الخلود باستعمال موادها اللغوية، فإنه أيضاً قد خلد الأدب العربي بهذه النصوص البيانية المحكمة التي تناولها في شتى الأغراض والمقاصد، مدللا بها على صدق دعوته إلى الناس، فهو المعجمُ الفني للأداء الأسلوبي - إن صح هذا التعبير - الذي لم تعرف العربية أسمى منه في استعمال تراكيبها، وطرائق تعبيرها.

الإعجاز الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (١ - ٢)

بقلم: د. أحمد أحمد غريب
- الرياض -

وقد حاولت هذه الجهود أن تأخذ في دراسة النص القرآني بمنهج التحليل الفني الذي يطبّق على فنون الأدب، للكشف عما يتمتع به النص القرآني من إشباع فني، ودقة في التصوير، وإحكام في الأداء، وإبداع في الإيقاع، وتنسيق في المعاني وترابط فكري، واتحاد نفسي، وجمال في التركيب كله.

والفنّ إذا أضيف الى القول، فإنه يعني المهارة والإبداع، والقدرة على صياغة الكلام بطريقة تؤدي إلى جذب السامع، وإقناعه بإثارة كل ما فيه من حواس ومدركات لإحداث الاستجابة المطلوبة، وقد أخذ ذلك في القرآن جانب الإعجاز[١].

ودراسة أسلوب القرآن وطريقة الأداء فيه هي محور الدراسة الفنية التي تحاول الكشف عن ذلك الذي بهر العرب، وأثار نفوسهم عند تلقيه، حتى انتهوا آخر الأمر إليه منصاعين لبيانه، يسمعون فيطيعون.

ولعل سيد قطب[٢] هو رائد هذا الاتجاه في الدراسة، حيث كان أول من كتب في التصوير الفني، ومشاهد القيامة في القرآن، وكان المنهج الفني الذي نهجه في ذلك يعتمد على أسس بلاغية أسهم في بنائها كثير من البلاغيين العرب القدماء.

ويرى الدكتور مصطفى ناصف أن الدراسات الفنية الحديثة للقرآن الكريم تعد امتداداً طبيعياً لفكرة النظم، التي ركز دعائمها عبد القاهر الجرجاني[٣] وقد سبقها تحسس فني عند العرب، تلمس معالمه عند كثير من الكتاب

والنقاد كالجاحظ وابن قتيبة، والمبرد، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، والآمدي، وأن هؤلاء نزعوا إلى طريقة التوضيح دون كشف التأثير في أغلب الأحيان، وكشف التأثير يعتمد على الذوق والعمق في تحليل النصوص[٤].

تأثره بنظرية النظم:

ويلاحظ أن سيد قطب قد تأثر بالسابقين عند تطبيقه المنهج الفني لإظهار إعجاز القرآن من هذه الناحية، وممن تأثر بهم على وجه الخصوص: عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل الإعجاز ومحمود بن عمر الزمخشري صاحب تفسير الكشاف (ت ٥٣٨هـ) ولعل منهج سيد قطب في ذلك يعد شرحاً معاصراً لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فالمعروف أن للنظم عند عبد القاهر معنيين: معنى لغوي، وهو ضمُّ الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، ويسميه أيضاً بالنظم في الحروف، وهو يعني توالي النطق دون مراعاة ما يرسَم بمقتضى العقل الذي يطلب التحري في النظم[٥] ثم المعنى الذي يسميه بنظم الكلم، وهو غير المفهوم اللغوي، وحقيقته أنك تقتفي في نظم الكلم آثار المعاني، وفي ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، أي التناسق في الدلالة، والتلاقي في المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل[٦].

ويُشَبِّهُ الجرجاني الكلمة المفردة بالفضة أو الذهب الخام، وهي لا تعطي على هذه الهيئة سواراً أو خاتماً إلا بعد عملية السبك، وكذلك الكلمة المفردة التي هي عبارة عن أسماء وأفعال وحروف، لا تكون كلاما أو شعراً من غير أن يَحْدُثَ فيها النظم[٧]. وعلى ذلك فالنظم عند الجرجاني هو التعبير، الفني لا اللغوي على وجه الخصوص، ومن ثم حاول سيد قطب أن يجمع تلك الخصائص التي تميز بها التعبير القرآني في أدائه المعجز وأرجعها إلى (التصوير) الذي يجسد العبارة القرآنية، ويبرزها في حضور دائم، ويمنحها حياة متجددة لا تخلقُ على الرد.

ويرى سيد قطب أن السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صورة حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية، والقصص والنماذج الإنسانية، كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخييل الحسي[٨].

وقد نعى سيد قطب على القدماء أنهم طمسوا معالم هذا الجمال الفني في رسم الصورة للمعاني المتناولة عند تعرضهم لبلاغة الآيات القرآنية وأنهم شوهوا هذا الجمال بمحاولة تلمس القواعد والتقنينات التي يُخضعُون لها الآيات بلاغياً.

يقول سيد قطب: ففي تعبير جميل كهذا التعبير: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم}[٩].

هذا التعبير الذى يرسم صورة حية للخزي في يوم القيامة، ويصور هؤلاء المجرمين شخوصاً قائمة يتملاها الخيال، وتكاد تبصرها العين لشدة وضوحها وتسجيل هيئتها «ناكسوا رؤوسهم» وعند من؟ «عند ربهم» .. فيخيل للسامع أنها حاضرة لا متخيلة.. هذه الصورة لا تساوي عند باحث في البلاغة إلا أن يقول: وأصل الخطاب أن يكون لمعيَّن، وقد يُتْرك لغير مُعَيَّن، كما تقول: فلان لئيم إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، فلا تريد مخاطباً بعينه، بل تريد إن أكرم وأحسن إليه، فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم، أي أن سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم} أخرج في صورة الخطاب لَّما أريد العموم للقصد إلى تفظيع حالهم، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راء، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب ، ثم يقول سيد قطب: «وبهذا تُطوى الصورة الفنية الحية، وتنتهي إلى أن تكون تفظيعها لحالهم التي تناهت في الظهور»[١٠]، ومنه وضعهم هاتين الآيتين تحت قاعدة: التعبير عن المستقبل بلفظ المضي، تنبيها على تحقق وقوعه، وأن ما هو للوقوع كالواقع، والآيتان هما قوله تعالى: {ونُفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله} (سورة الزمر آية ٢٨) وقوله تعالى: {ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا إن الله حرَّمهما على الكافرين} (الأعراف/ ٥٠).

الأداة المفضلة في أسلوب القرآن:

وطريقة القرآن الكريم في تصوير المعاني والأغراض والمقاصد في صورة شاخصة حاضرة مُحسّة، يراها سيد قطب الأداة المفضلة في أسلوب

القرآن، والقاعدة الأولى للبيان فيه، وهي الطريقة التي يتناول بها جميع الأغراض، وهي الخصيصة التي لا يخطئها الباحث في جميع أجزاء الكلام[١١] وحد الإعجاز فيها أنها تنقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية إلى هيئة تشخيصية حية نابضة.

فالمعاني في الصورة الذهنية التجريدية تخاطب الذهن والوعي، وتصل إليها مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الهيئة التشخيصية تخاطب الحسّ والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى، من الحواس بالتخييل والإيقاع، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأضواء والأصداء ويكون الذهن واحداً من منافذها الكثيرة الى النفس، لا منفذها الوحيد.

إعجاز في الموضوع والأداء:

وإذا كان سيد قطب يرى أن الإعجاز القرآني متحقق في القرآن بصورة مطلقة في كل ما جاء به من تشريع، وهدي ونظم، وقوانين، وأصول .. فهو يرجع هذا الإعجاز كله إلى النظم والأسلوب، والتعبير والأداء، الذي جاء في أعلى قمم الجمال الفني، وعلى ذلك فالإعجاز عنده يتمثل في نوعين: إعجاز في الموضوع، وإعجاز في الأداء[١٢] «فالذين يدركون بلاغة هذه اللغة، ويتذوقون الجمال الفني فيها، يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان، وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به القرآن، يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومؤونة.. كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، ومثلهم الذين يدرسون النفس الإنسانية، ووسائل الوصول إلى التأثير فيها وتوجيهها، ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه.. فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الإعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات، والنفسيات، وما إليها.. والذين زاولوا فن التعبير، والذين لهم بصر بالأداء الفني، يدركون أكثر من غيرهم مدى ما في الأداء القرآني من إعجاز في هذا الجانب[١٣].

أمثلة حية:

وقد ضرب سيد قطب أمثلة للمعاني التي تناولها القرآن الكريم في صورتها الذهنية التجريدية، وفي صورتها التشخيصية التي رسمها القرآن لها تدليلا على أن التصوير هو القاعدة الأصيلة في التعبير القرآني.

فمعنى النفور الشديد من دعوة الإيمان يُنقل إليك في صورته الذهنية التجريدية هكذا: إنهم لينفرون أشد النفور من دعوة الإيمان، فيتملى الذهن وحده معنى النفور في برود وسكون، ثم يُنْقَل إليك في هذه الصورة العجيبة في الآية الكريمة: {فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مُسْتنفرة، فَرَّت من قَسْوَرَة} (سورة المدثر/ ٤٩ ـ ٥١). فتشترك مع الذهن حاسة النظر، وملكة الخيال، وانفعال السخرية، وشعور الجمال.. السخرية من هؤلاء الذين يفرون كما تفر حُمُر الوحش من الأسد، لا لشيء إلا لأنهم يدعون إلى الإيمان، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة حينما يتملاها الخيال في إطار من الطبيعة تشرد فيه هذه الحُمُر يتبعها «قسورة» المرهوب، فللتعبير هنا ظلال حوله تزيد من مساحته النفسية ـ إن صح هذا التعبير[١٤].

ويرى سيد قطب أن المعاني الذهنية والحالات المعنوية في القرآن الكريم لم تستبدل بها صور فحسب، ولكن اختيرت لها صور حية، وقيست بمقاييس حية، ومرت خلال وسط حي.

فهول الساعة العظيم يُصوِّر في ذهول المرضعات عما أرضعن، وتخلي الحاملات عن حملهن، وترنح السكارى وما هم بسكارى، ويقاس بمدى فعل الهول في هذه النفوس الآدمية لا بالألفاظ والأوصاف التجريدية، أو يُصوَّر في فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه وفصيلته التي تؤويه، حيث يكون لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، فهو يقاس بأثره في النفس الإنسانية لا بالمقاييس الأخرى الوصفية[١٥].

وهو يرى أن القرآن الكريم كما يصور المعاني المجردة الذهنية يصور أيضاً الحالات النفسية والمعنوية، فعندما يريد أن يكشف عن حال أولئك الذين يهيئ الله لهم المعرفة فيفرون منها كأن لم تهيأ لهم أبداً، ثم يعيشون بعد ذلك هابطين تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم بما عملوا وبما جهلوا، فلا هم استراحوا بالغفلة، ولا هم استراحوا بالمعرفة، يرسم

لهم هذه الهيئة: {واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث}[١٦]. يقول سيد قطب: وفي الصورة تحقير وتقذير - وذلك غرض ديني لا شأن لنا به هنا - ولكنها - من الوجهة الفنية - صورة شاخصة فيها الحركة الدائبة، وهي صورة معهودة، فهي في تثبيت المعنى المراد بها أشد وأقوى، وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني، كالشأن في جميع الصور التي يرسمها القرآن[١٧]. ويرى سيد قطب أن القرآن يتبع هذه القاعدة في تصوير المعاني حتى عند القَص عن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وابنه إسماعيل عند بناء الكعبة حيث يقول جل شأنه: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مُسْلمَيْن لك ومن ذُرِّيتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم}[١٨].. حيث يقول سيد قطب: لقد انتهى الدعاء، وانتهى المشهد، وسدل الستار.. وهنا حركة عجيبة في الانتقال من الخبر الى الدعاء، وهي التي أحيت المشهد، وردته حاضراً، فالخبر: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يدعوان هذا الدعاء الطويل.. وكم في الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء من إعجاز زمني بارز، يزيد وضوحاً لو فرضت استمرار الحكاية، ورأيت كم كانت الصورة تنقص لو قيل: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا.. إنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة.. وهذا هو الفارق الكبير، إن الحياة في النص القرآني لتثب متحركة حاضرة، وسر الحركة كله في حذف لفظة واحدة، وهذا هو الإعجاز[١٩].

وفي الحلقة القادمة بإذن الله نتابع جوانب هذا الإعجاز الفني عبر آيات هذا القرآن العظيم وصدق الله العظيم: {أم يقولون تقوّله، بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين} (سورة الطور الآيتان ٣٣ - ٣٤).

▪ للدراسة صلة ▪

الهوامش:

(١) جاء في لسان العرب (مادة فَنٌ): والرجل يفن الكلام أي يشتق في فن بعد فن، وافتن الرجل في حديثه وخطبته: جاء بالأفانين، وافتن: أخذ في فنون من القول، وانظر في ذلك أيضاً: سيد قطب (التصوير الفني في القرآن) ط ٦ - القاهرة دار الشروق ١٩٨٠م ص ٢٠٤ وما بعدها، وكذا محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) دار الشروق - بيروت ص ١٨، والدكتور/ عبد الحميد يونس (الأسس الفنية للنقد الأدبي) القاهرة - مطبعة المعرفة ١٩٦٦م ص ١١.

(٢) سيد قطب إبراهيم، من مواليد قرية (موشا) من أعمال محافظة أسيوط بصعيد مصر، ولد عام ١٩٠٦م، وتخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٣م، وعمل بوزارة التربية والتعليم التي أرسلته عام ١٩٤٤م في بعثة للدراسات العليا بأمريكا، ومن مؤلفاته: في ظلال القرآن، والتصوير الفني في القرآن، ومعالم في الطريق، والعدالة الاجتماعية في الإسلام، توفي عام ١٩٦٥م، انظر عبد الباقي حسين: سيد قطب حياته وأدبه، ط (المنصورة - دار الوفاء طبعة ١٩٨٦م) ص ١٧.

(٣) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، من علماء البلاغة في القرن الخامس الهجري، توفي سنة ٤٧١هـ، ومن مؤلفاته: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

(٤) د. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية (دار مصر للطباعة والنشر ١٩٥٨م) ص ٨٣.

(٥) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا - الطبعة السادسة (القاهرة - مكتبة صبيح ١٩٦٠م) ص ٥٧.

(٦) المرجع السابق ص ٣٥.

(٧) المرجع السابق ص ٤٩، ٣٠٢.

(٨) سيد قطب: النقد الأدبي - أصوله ومناهجه - (الطبعة الخامسة - دار الشروق).

(٩) سورة السجدة آية ١٢.

(١٠) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ط ٦ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٠م) ص ٢٦ - ٢٧.

(١١) المرجع السابق ص ٥٩.

(١٢) في ظلال القرآن ط ١٣ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٧م) المجلد الثالث جـ٨ ص ١٤٢١، وانظر كذلك نفس المرجع جـ٧ ص ١٠٤٠، وص ١٠٩٣.

(١٣) المرجع السابق مجلد ٣ ص ٢٧٨٥.

(١٤) التصوير الفني في القرآن ص ١٩٥.

(١٥) المرجع السابق ص ٢٠٠.

(١٦) سورة الأعراف الآية ١٧٦، وانظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، المجلد الثالث جـ ٨ ص ١٣٩٦.

(١٧) التصوير الفني في القرآن ص ٣٩.

(١٨) سورة البقرة الآيتان ١٢٧ - ١٢٨.

(١٩) التصوير الفني في القرآن ص ٤٨ - ٤٩.

شعراء من التراث (٣):

عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٥٣هـ)

هو ابن الخليفة الأول، وكان اسمه في أول الأمر عبد العزي، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام سماه عبد الرحمن، والمؤمنون يذكرون أن له صحبة بالرسول، ولم يهاجر مع أبيه، وإنما ظل بمكانه، ثم كان خروجه قبل الفتح مع فتية من قريش، وقيل: بل كان إسلامه في يوم «الفتح» والمعروف أنه اشترك في الحروب الإسلامية المبكرة، فقد كان أحد الرماة، ومما يروى عنه، أن محكم اليمامة وقف على ثغرة يحميها من المسلمين، فما كان منه إلا أن رماه، ومن هنا فتح مجالا للمسلمين وكان النصر[١]، وكان يلقب ابن أبي عتيق، شهد بدرا وأحدا كافرا ثم أسلم.

ومن المواقف التي تحفظ له أنه أخذ موقفا من بيعة «يزيد» فحين دعا مروان إلى هذه البيعة وقف عبد الرحمن مغاضبا، وقال: إنما تريدون أن تجعلوها كسروية أو هرقلية[٢].

كما قيل عنه: لم نجرّبْ عليه كذبة قط، وأنه هو الذي كان يأتي بالطعام وأخبار قريش إلى الغار تلك الليالي الثلاث[٣].

وقد حدث أن استهام بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمر الغساني أحد ملوك الشام وكان أن قال فيها:

تذكرت ليلى - والسماوة دونها
وما لابنة الجودي ليلى وما ليا
وأنَّي تعاطى قلبه حارثية
تحل ببُصْرَى أو تحل الجوابيا
وكيف يلاقيها، بلى، ولعلها
إذا الناس حجوا قابلا أن تلاقيا

كما قال:

يا ابنة الجودي قلبي كئيبُ
مستهامٌ عندها ما ينيبُ
ولقد لاموا، فقلت: دعُوها
إن من تنهون عنه حبيبُ
إنما أبْلى عظامي وجسمي
حبُّها .. والحبُّ شيء عجيبُ

والسبب في هذا الحب، أنه كان في زيارة لبلاد الشام فرآها فأعجب بها، وهو نفسه يقول: والله ما رأيتها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جَوَار ونساء يتهادين، فإذا عثرت إحداهن قالت: يا ابنة الجودي، وإذا حلفت إحداهن حلفتْ بابنة الجودي، وقد وصل هذا الأمر عمر بن الخطاب، فكتب إلى صاحب الثغر الذي هي فيه: إذا

بقلم:
أ.د. عبده بدوي
كلية الآداب - جامعة الكويت

فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر «ليلى بنت الجودي»، فلما فتح الله عليهم غنَّموه إياها، ولقد خاطبته السيدة عائشة فيما يصنع بها فيقول: يا أُخَيَّة دعيني ، فوالله لكأني أرشف من ثناياها حَبَّ الرُّمان، فلما فتح الله عز وجل على المسلمين، وقتلوا أباها، وأصابوها، قال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله أعط هذه الجارية عبد الرحمن، فقال أبو بكر:

أكلّكم على هذا؟ وحين قالوا: نعم، أعطاه إيَّاها، والمعروف أنها عاشت مترفة، فما كانت تذهبُ إلى مكان إلا وكانت البسط تفرش لها، وفي الوقت نفسه، كان يرمي بين يديها برمانتين من ذهب، تتلهى بهما في طريقها، ولقد قيل أن عبد الرحمن ما كان يخرج من عندها ثم يرجع إلا ويرى في عينيها أثر البكاء، وفي يوم قال لها: ما يبكيك؟ اختاري فعالا أيها شئت فعلت بك: إما أن أعتقك وأتزوجك، فتقول: لا أشتهيه، ثم يقول: وإن شئت رددتك على قومك، فتقول: لا أريد، فيقول: وإن أحببت رددتك على المسلمين، فترد: لا أريد، وحين قال فاخبريني ما يُبْكيك قالت: أبكي للمُلْك في يوم البؤس، وقد كان معنى هذا أنها حزينة على هزيمة أبيها وقتله، ولقد قيل لعبد الرحمن: يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فافرطت، وأبغضت ليلى فأفرطت، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها . فما كان منه إلا أن جهزها إلى أهلها . . وهكذا عادت إلى ملك أبيها بعد أن ضاع على يد المسلمين، وقد ظل ذكرها يجري على لسان عبد الرحمن فهو القائل:

فإما أن تُصبحي بعد اقتراب
بسلع، أو ثنيات الوداع
فلمْ ألفظك من شبع، ولكن
لأقضي حاجة النفس الشعاع
كأن جوانح الأضلاع مني
بُعَيْد النوم مُبطنة اليراع

ونحسب أن ذكرها ظل يلاحقه حين مات بجبل يقع بالقرب من مكة، وكان أن حُمل فدفن بمكة المكرمة، وقدمت السيدة عائشة فوقفت على قبره، وقالت متمثلة بهذين البيتين:

وكنا كندمانَيْ جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
فلمّا تفرقنا، كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نَبتْ ليلة معا

ثم قالت: أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو شهدتك لزرتك .

وهكذا كانت قصة عشق شريفة مازال لها صدى في التاريخ، فقد شغل بفتاة جميلة، وتمناها لنفسه، وتمناها المسلمون له، قبل أن تفتح بلاد أهلها، وقد شاء الله أن تفتح هذه البلاد، وأن تكون من نصيبه، وأن يكون كريما معها حين رآها متعلقة بوطنها، وبأسرتها .

الهوامش :

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٢٨ .

(٢) أحداث التاريخ الإسلامي . عبد السلام الترمانيني ١/٤٢٩ ط٢ ، الكويت، ويقال: إن معاوية بعث إليه بمائة ألف درهم فردها .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق . د. عمر عبد السلام التدمري ص ٤٠ ، ٥٠ ، ٢٩٦ ، دار الكتاب العربي .

(٤) التعازي والمراثي للمبرد . تحقيق محمد الديباجي ص ١٤٧ ط٢ ، وقد كانت أمه وأم عائشة هي أم رومان بنت بنت عمرو بن عامر من بني مالك .

على مدى أربع حلقات سابقة سعدنا بهذه الدراسة والقراءة القيمة من الأستاذ الشاعر احمد سالم باعطب لكتاب الدكتور عبد المحسن القحطاني (بين معيارية العروض وايقاعية الشعر) وهذه الحلقة الخامسة والأخيرة لهذه القراءة .

والمنهل إذ يشكر الأستاذ باعطب والدكتور القحطاني على هذا الجهد العلمي القيم، فإنه يفتح الباب للحوار العلمي الحر.. تعقيباً أو تعليقاً..

من المناقشة ينبثق النور:

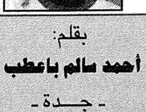
مع الدكتور عبد المحسن القحطاني في كتيبه بين معيارية العروض وإيقاعية الشعر(٥-٥)

في هذه الحلقة (الأخيرة) سأتناول الحديث عن الفصل الثاني من كتاب الدكتور عبد المحسن الموسوم بـ «بين معيارية العروض وايقاعية الشعر» وهذا الفصل يمثل بحثا تناول قصيدة عبيد بن الأبرص البائية التي مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب
فالقطبياتُ فالذنوب

وقد حاول الكاتب جاهدا في هذا الفصل أن يضع بين أيدي القراء آراء النقاد القدامى والمحدثين الذين تناولوا هذه القصيدة بمناقشة غير متأنية تمخضت عنها أحكام عجلى، لأنها بنيت على أساس اختيار مطلع القصيدة كنموذج لها، وأصدروا على ضوء ما توصلوا إليه أحكاما جائرة أبعدتها عن دائرة الشعر كما فهمه المستنبطون لقواعده وبحوره في العصر العباسي، وعلى رأس أولئك الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وشرح الدكتور القحطاني الطريق الذي سلكه عندما أدرك اختلاف العروضيين حول انتماء تلك القصيدة لبحر من البحور، فقال في بداية الصفحة الثامنة بعد المئة: «بدأ البحث بموقف النقاد منها، وموقف العروضيين كذلك، وإيراد آرائهم، ووقف عند اختلاف «العروض» و«الضرب» في القصيدة، وهذا سر عدم قبولها للتقسيم العروضي».



وكأني بالدكتور هنا قد وضع أصبعه على مكمن الداء الذي سبب اختلاف النقاد والعروضيين وهو اختلاف أعاريض أبياتها وضروبها الأمر الذي جعل من غير الممكن قبولها للتقسيم العروضي المتعارف عليه.

وقبل أن يخوض في مناقشة الآراء المتباينة تحدث عن القيمة الأدبية للقصيدة عند بعض النقاد

بقلم:
أحمد سالم باعطب
- جـدة -

القدامى والمحدثين ولنقرأ ما كتبه الدكتور حول ذلك في منتصف الصفحة الثامنة بعد المائة حيث جاء قوله: «هي أشهر قصيدة لعبيد حيث وضعها التبريزي (ت ٥٠٢) «إحدى المعلقات العشر» بل إن ابن قتيبة (ت ٢٧٦) يجعلها إحدى المعلقات السبع وقال بها الدكتور حسين نصار.

أما أبو زيد القرشي (ت ١٧٠هـ) فقد صدر بها المجمهرات.

ثم عرج الدكتور على ذكر النقاد والعروضيين الذين شهروا أسلحتهم لتمزيق تلك القصيدة التى لم ترتكب إثما إلا أنها جاءت تحمل على صدرها أبياتا تباينت تفعيلاتها ولم تدخل جميعها في نسق واحد. بحيث يمكن ادراجها تحت لواء بحر معين، وقد بلغ عدد الذين ذكرهم الدكتور اثنين وعشرين ما بين عروضي وناقد، تسعة منهم من القدامى، وثلاثة عشر من المحدثين، وقد اختلفت عباراتهم حول القصيدة من حيث الصياغة اللفظية لارائهم أما المعنى العام حول موقفهم من القصيدة فمتفق عليه، الأمر الذي جعل الدكتور عبد المحسن يقول في بداية الصفحة الثالثة عشرة بعد المائة «والتبريزي الذي جعلها من المعلقات العشر لم يناقش، وإنما أورد ما قاله الأخفش عن «الرَّمل» من غير أن يشير إلى المصدر الذي استقى منه، وكأنها معلومة أصبحت مشاعة بين العروضيين».

وفي هذه العبارة دليل على أن النقاد القدامى يتداولون المعلومة بحيث يستغني الباحث بالمعلومة منذ قراءتها للمرة الأولى، ولقد أشرت في مقال لي نشر بالملحق الأربعائي لجريدة المدينة بتاريخ ١٤١٧/٣/٢٠هـ إلى أن أولئك النقاد والعروضيين يتناقلون الأبيات التي يستشهدون بها على أوزان بحور الشعر، وأغلب تلك الأبيات لا يعرف قائلوها.

ولا أجد داعيا أو بالأصح سببا يدفعني لأن أورد جميع الآراء التي حشدها الدكتور في كتابه، ولكنني سأحاول أن ألقي الضوء على فقرات مما ورد في تعليق الدكتور القحطاني على آراء النقاد المختلفة، ومن ذلك قوله في الصفحة الرابعة والعشرين بعد المائة بالسطر السابع ما نصه: «فأصبح مخلع البسيط صورة من صور مجزوئه، وهي أن يكون ضربه مقطوعا ممنوعا من الطي وأورد ابن عبد ربه شاهدا لذلك:

أصبحتُ والشيب قد علاني
يدعو حثيثا إلى الخضاب

والذي يؤخذ على هذا القول أن ابن عبد ربه عندما أورد هذا البيت في الصفحة (٤٥٠) من الجزء الخامس من العقد الفريد إنما أورده شاهداً لتمثيل العروض الثالثة وضربها وقد حددها ابن عبد ربه بقوله: «العروض المقطوعة الممنوعة من الطي وضربها مثلها»، في حين أن البيت يمثل العروض المقطوعة المخبونة وضربها مثلها، ولم يشر إلى أنَّ هذا الوزن هو الذي يسمى مخلعا أو مخلع البسيط أما البيت الذي يمثل العروض المقطوعة والضرب المقطوع كما جاء في أكثر من كتاب هو:

ما هيَّج الشوقُ من أطلال
أضحت قفارا كوحي الواحي
مستفعلن فاعلن مفعولن
مستفعلن فاعلن مفعولن

ويعني ذلك أن تأتي العروض مقطوعة والضرب كذلك أما البيت الذي أورده ابن عبد ربه فإن عروضه جاءت على وزن فعولن وكذلك ضربه.

وإذا تصفح القارىء الصفحة الخامسة والعشرين بعد المائة من كتاب الدكتور عبد المحسن لوجد في السطر السابع ما يلي: «وهذا هو مخلع البسيط الذي بدأ يبرز بحراً مستقلا، من القرن السادس الهجري حينما أشار إليه ابن القطاع المتوفى سنة ٥١٥هـ.

ويؤخذ على هذا القول مأخذان:

الأول: هو زعمه أن مخلع البسيط بدأ يبرز بحرا مستقلا، وهذا الزعم سبق للدكتور أن أشار إليه في الصفحة الرابعة والعشرين بعد المئة في السطر

الرابع قبل الأخير حيث يقول: «لذا فإنَّ المخلع في القرون الأولى نوع من البسيط، لم يلتفت إليه العروضيون على أنه بحر مستقل»·

والمأخذ هنا هو عدم وجود من يقول: إن المخلع بحر مستقل خرج عن دائرة البسيط بل هو وزن من أوزان البسيط مثله في ذلك مثل المرفل والمذال في الكامل والمتدارك والمشعث في الخفيف والمجتث والمسبَّغ في الرمل·

المأخذ الثاني: هو قول الدكتور: «إن مخلع البسيط بدأ يبرز من القرن السادس الهجري حينما أشار إليه ابن القطاع»·

وفي هذا القول ظلم كبير يتمثل في إعطاء من لا يستحق حق من يستحق، فالذي يستحق الاشادة به والتعريف بفضله هو ابن حماد الجوهري الذي سبق موته موت ابن القطاع بمئة وعشرين سنة تقريبا فهو الذي أظهر مخلع البسيط وتحدث عنه وعن زحافاته وأجاز في عروضه بعد قطعها وخبنها الحذف· ولنقرأ قول الجوهري في الصفحة الخامسة والستين السطر الثالث قبل الأخير من كتابه «عروض الورقة» تحقيق الدكتور صالح جمال بدوي حيث يقول: «ويجوز فيه التخليع - أي يجوز في مجزوء البسيط التخليع - وهو قطع مستفعلن في العروض والضرب أي حذف النون من الوتد المجموع «عِلُنْ» وتسكين اللام بحيث تصير «مُسْتَفْعِلْ» فتنقلب إلى «مفعولن» في كل من العروض والضرب فيسمى البيت حينئذ مخلعا وبيته:

ما هيج الشوقُ من أطلال
أضحتْ قفاراً كوحي الواحي
مستفعلن فاعلن مفعولن
مستفعلن فاعلن مفعولن

ثم أردف الجوهري يقول: ويجوز في المخلع خبن «مفعولن» أي حذف الحرف الثاني الساكن وهو الفاء في العروض والضرب فينقل إلى فعولن واستشهد بالبيت التالي:

أصبحت والشيب قد علاني
يدعو حثيثا إلى الخضاب

وهذا البيت هو الذي أشار إليه الدكتور عبد المحسن في الصفحة ١٢٤ من كتابه على أنه يمثل صورة من مخلع البسيط الضرب فيه مقطوع ممنوع من الطي وهذا خطأ كما أشرت إليه فيما سبق·

ويواصل الجوهري تجديده فيقول: «ويجوز في عروضه» أي عروض المخلع المقطوعة المخبونة الحذف أي حذف السبب الخفيف وهو «لن» من فعولن ويبقى «فعو» فتنقلب إلى «فعل» وشاهده من قصيدة سلمى بن أبي ربيعة:

والبيض يرفلن كالدُّمى
في الريط والمذهب المصون

وما ذكره الدكتور القحطاني عن ابن القطاع لا يبلغ من ابداع الجوهري مكانا مميزا، ولنقرأ ما جاء في كتاب «البارع» لابن القطاع في السطر الأول من صفحة (١١٤) حيث يقول:

الضرب السادس: مجزوء مقطوع وعروضه مثله، ويسمى «مخلَّعا» لأنه نقص وتدا عروضه وضربه، فصارا كأنهما يدان خلعتا·

وفي قول ابن القطاع «الضرب السادس: مجزوء مقطوع وعروضه مثله، دليل صريح على أن المخلع هو الضرب السادس من ضروب بحر البسيط واكتفى بعد ذلك بذكر الشاهد وهو:

ما هيَّج الشوقُ من أطلال
أضحت قفاراً كوحي الواحي

ولم يعرج على خبن «مفعولن» في حالة وقوعها عروضا وضرباً، غير أنه في الصفحة (١١٧) بالسطر الرابع قال: «وشذَّ عن العرب في عروضه الثالثة حذفها بعد الحذف والقطع، شاهده:

إنَّ شواء ونشوة
وخبب البازل الأمون

وهذا البيت هو مطلع قصيدة سلمى بن ربيعة التي استشهد الجوهري بأحد أبياتها عند حديثه عن حذف العروض المقطوعة المخبونه وضربها

مثلها والبيت هو:

والبــــيض يَرْفُلْنَ كــــالدُّمى
فـــي الـــرَّيـــط والمــذْهــب المــصُون
مُسْتَفْعِلُن فـــاعلن فــــعـــو
مُسْتَـــفـــعلن فـــاعلن فـــعـــولن

ولو تم اجراء تقطيع وزني للبيت الذي أورده ابن القطاع وهو:

إنَّ شـــــواء ونشـــــوة
وخَبَبَ البــازل الأمـــون - لجـــاء-
مُسْتَـــعلُن فـــاعلن فـــعـــو
مُتَـــعِلُنْ فـــاعلن فـــعـــولن

وبالمقارنة نجد أن تفعيلات حشو البيت الذي استشهد به الجوهري جميعها سالمة، بينما تفعيلة الابتداء في صدر بيت ابن القطاع مخبونة وتفعيلة ابتداء عجزه مخبولة وهذا يدل على حسن اختيار الناقد أو العروضي للأبيات الشعرية التي يستشهد بها لتأسيس قاعدة ما.

ولم يسبق الجوهري أحد في الحديث عن «المخلع» إلا صاحب «الجامع في العروض والقوافي» أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي المتوفى عام ٣٤٢هـ حيث قال في الصفحة العاشرة بعد المئة وبعد أن أورد شاهد الضرب السادس من ضروب البسيط وهو المقطوع وعروضه مقطوعة والبيت هو:

مـــا هيج الشـــوقُ من أطلال
أضـــحت قـــفـــارا كـــوحي الوادي
مـــســـتـــفـــعلن فـــاعلن مـــفـــعـــولن
مـــســـتـــفـــعلن فـــاعلن مـــفـــعـــولن

قال العروضي: «اذا ذهبت الفاء من الضرب والعروض فهو المخلع». أي اذا حذفت الفاء من «مفعولن» الأولى والثانية يسمى البيت مخلعاً ويعنى بذلك حينما يصبح الضرب والعروض على وزن «فعولن» يمكن أن يطلق عليه تسمية «مخلع» وهذا يخالف رأي الجوهري الذي يقول: «إن الضرب السادس من ضروب البسيط وهو المقطوع ذو العروض المقطوعة هو المخلع». وأما ما جاء به الجوهري بعد ذلك من خبن الضرب والعروض لينقلب كل منهما من «مفعولن إلى فعولن» فذلك جواز من الجوهري كذلك أجاز الجوهري حذف فعولن «العروض» لتصبح «فعو».

وقد وافق ابن القطاع الجوهري فيما ذهب اليه حول الضرب السادس ولكنه لم يتعرض لخبن «مفعولن» في العروض والضرب. وعندما تحدث عن حذف «فعولن» العروض. ذكر ابن القطاع أن مجيء عروض (فعو) ضمن أوزان البسيط أمر شذ عن العرب.

ويتضح من كل ما سبق أن خير من عالج «مخلع البسيط» من الأقدمين هو أبو نصر سليمان بن حماد الجوهري، ولقد اعترف الدكتور عبد المحسن بفضل الجوهري في هذا المجال في الفصل الأول من كتابه عند معالجته قصيدة «سلمى بن ربيعة» حيث قال في الصفحة السابعة والأربعين: «والجوهري أكثر العروضيين إنصافا لهذه القصيدة وأشباهها إذ لم يحكم عليها بالشذوذ ولا بالندرة، وإنما بالجواز المطلق ولكنه في الفصل الثاني يسلب الجوهري حقه ويمنحه لابن القطاع حيث ينسب بروز المخلع لابن القطاع. وقد أوضحت أن ابن القطاع لم يبرز المخلع بحرا مستقلا ولم يقل ذلك.

تقطيع أبيات القصيدة عروضيا:

قام الدكتور القحطاني بتقطيع أبيات القصيدة بعد أن وضحت أمام عينيه آراء النقاد والعروضيين حول هذه القصيدة حتى يدرك القاسم المشترك بينها حسب التفعيلات المختلفة، ومدى ملاءمة هذه الأبيات ومطابقتها للمنطوق العروضي أي «التقطيع الشعري» للوقوف على التفعيلات التي تتمخض عن ذلك.

كان مجموع أبيات القصيدة خمسين بيتا حسب ما هو مثبت بديوان عبيد بن الأبرص تحقيق

الدكتور حسين نصار غير أن أبيات القصيدة في ديوان الشاعر اصدار دار صادر وتقديم الأستاذ كرم البستاني فقد بلغت خمسة وأربعين بيتا، والأبيات الخمسة التي يزيد بها الديوان الذي حققه الدكتور نصار هي:

بيتان أشار الدكتور الباحث إلى أن الديوان انفرد بهما وهما: البيت الحادي والعشرون ونصه:

فقد يعودن حبيباً شانيء
ويرجعن شانئا حبيبُ

والبيت الثامن والعشرون ونصه:

بل إن تكن قد عرتني كَبْرَة
والشيب شين لمن يشيبُ

وهناك بيت ثالث لم يذكر الباحث أنه تكرر عجزه مرتين إحداهما بالبيت (٤٧) ونصَّه:

فأدركته فطرَّحته
والصيد من تحتها مكروب

والثانية بالبيت ٤٩ ونصه:

فعاودته فرفعته
والصيد من تحتها مكروب

أما البيت الرابع الذي لم يرد في قصيدة الشاعر عبيد البائية والمنشورة في ديوانه اصدار دار صادر فهو:

بالله يُدركُ كل خير
والقول في بعضه تلبيب

وكذلك البيت الخامس ونصه:

والله ليس له شريك
عَلام ما أخفت القلوب

مرئيات الباحث بعد تقطيع أبيات القصيدة:

بعد أن انتهى الدكتور عبد المحسن من تقطيع أبيات القصيدة قال مبينا رأيه فيما توصل إليه: «يتبين بعد هذا التقطيع أن واحدا وأربعين بيتا جاءت في جميع المصادر مراوحة بين مجزوء البسيط ومخلعه وقد ناقش البحث اشتراكها في ايقاع واحد.

وهناك تسعة أبيات من القصيدة جاءت في بعض الروايات غير متسقة مع ايقاعها السابق، وسيحاول البحث دراسة ذلك. والابيات التسعة التي أشار اليها الدكتور هي: (٤ و١٢، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٤٩) حسب تسلسلها في التقطيع الشعري لأبيات القصيدة بأكملها. وقد أثمرت محاولته عن التوصل إلى التوفيق بين روايات البيت الواحد حسب وروده في المصادر المختلفة لمعرفة المستقيم وزنا منها، ويمكن القول بصفة عامة أن الدكتور قد حالفه الصواب في معالجة ثمانية أبيات منها أما البيت التاسع وهو الذي يحمل رقم ٤٣ حسب تسلسله فقد شاب معالجة الدكتور له شيء من الخلط والبيت هو:

أ ـ فنفضت ريشها سريعا
وهي من نهضة قريب
متعلن فاعلن فعولن
متعلن فاعلن فعولن

«جمهرة أشعار العرب» لابن الخطاب.

ب ـ فنفضت ريشها وولَّتْ
فذاك من نهضة قريب
متعلن فاعلن فعولن
متفعلن فاعلن فعولن

«شرح المعلقات العشر» للتبريزي.

ج ـ فنفضت ريشها وولَّت
وهي من نهضة قريب
متعلن فاعلن فعولن
متعلن فاعلن فعولن

«شعراء النصرانية قبل الاسلام» لويس شيخو

د ـ فنفضت ريشها وانتفضت
وهي من نهضة قريب
متعلن فاعلن مستعلن
متعلن فاعلن فعولن

«ديوان عبيد تحقيق» د. نصار

هـ ـ فنشرت ريشها فانتفضت
ولم تطر نهضها قريب
متعلن فاعلن مستعلن

مـــتـــفـــعلن فـــاعلن فـــعـــولن

«رواية أخرى للتبريزي»

و ـ فنفـضت من ريشـهـا وانتـفـضت

وهـي مـن نـهـــــضـــــة قـــــريـب

مـتـعلن مـسـتـفـعلن مـسـتـعلن

مـــتـــعلن فـــاعلن فـــعـــولن

«ديوان عبيد إصدار دار صادر»

وقد علّق الدكتور بعد تقطيع البيت وفقا لنقله من المصادر المختلفة بقوله: في (ب) و (هـ) يستقيم الوزن، وجل الروايات يستقيم الوزن في صدرها، أما العجز برواية (أ، جـ ، د، و)· وهي من نهضة قريب، فاذا شددت الياء من «وهيَّ» فإنه يستقيم الوزن·

أما رواية «د» فإنَّ الصدر يؤول إلى رجز إذ فيه زيادة «من» قبل «ريشـهـا» وبحذف «من» يتسق الوزن ويكتمل المعنى»·

غير أن هذا الكلام يحتاج إلى إعادة نظر، ولقد قمت بتقطيع البيت حسب الروايات التي ذكرها الدكتور فتبين لي كما هو أن الروايات الثلاث الأول (أ ، ب ، جـ) جميعها تنتمي إلى مخلع البسيط ذى العروض المقطوعة المخبونة وضربها كذلك، وأما الروايات الثلاث الأخر فإن (د، هـ) ينتمي صدرا بيتيهما إلى مجزوء البسيط ذي العروض المطوية، أما عجزاهما فينتميان إلى مخلع البسيط ذي الضرب المقطوع المخبون، وأما رواية (و) فإن صدر البيت ينتسب إلى بحر الرجز ذي العروض المطوية أما عجزه فينسب إلى مخلع البسيط، ولو حذفت «من» التي في صدر البيت قبل كلمة «ريشها» لأصبح الشطر من مجزوء البسيط ذي العروض المطوية·

خلاصة الدراسة:

لقد أصدر الدكتور عبد المحسن القحطاني حكمه النقدي على قصيدة عبيد بن الأبرص بعد أن قام بمعالجة أبياتها بيتا بيتا مستخدما كل الوسائل اللغوية والعروضية والموسيقية رسما ونطقا فقال في نهاية الدراسة بالصفحة ١٦٥ «فالقصيدة عمودية الوزن، حافظت على عدد تفعيلات تتكرر في كل بيت، سداسية التفاعيل·

والقافية فيها حافظت على مكانها كسادس «تفعيلة» وحافظ عليها عبيد محافظة ايقاعية أو مقطعية صوتية «عولن»، وكذلك على حرف الروي «الباء» المضمومة مسبوقة بردف تارة «واو» حذو ما قبلها ضمة وأخرى «ياء» حذو ما قبلها كسرة·

الختام:

في ختام هذه المناقشة التي تمت بيني وبين كتاب الدكتور القحطاني وما تمخضت عنها من تعليقات لا تعدو أن تكون استفسارات تتطلب الوقوف على الحقيقة· وللدكتور عبد المحسن شكري وتقديرى على إتاحته لي هذه الفرصة الممتعة التي خلوت بفضلها مع كتابه الذي أهداه إلي وأغراني بقراءته، فقضيت معه أياما وليالي سعيدة قارئا ودارسا، وتلميذا يبحث عن معلومة يزداد بها علما·

ولو لم أجن من قراءة هذا الكتاب إلا مصاحبة الدكتور والإبحار معه في بحور عدة على سفن التحمت ألواحها بالتفكير العميق، وأحكمت دسرها بالدراسة الجادة، وارتفعت صواريها معلنة للقارىء أننا أمة لم يخب وهجها ولن، ورفرفت أعلامها تترجم انجازات أبنائها ـ سفن يقودها ربابنة مهرة ـ يحسنون الغوص في البحور ـ لو لم أجن الا ذلك ـ لكفاني شرفا·

لقد أعادني الدكتور عبد المحسن بن فراج القحطاني إلى حلقات البحث والتحصيل، والتنقيب في بطون الكتب للوقوف على ما خفيت معرفته، وتجديد ما بدأ الصدأ يفرش عليه غطاءه فجزاه الله خيرا·

جماليات القصيد:

النص ومفهوم البناء

قضية (البناء الفني) قضية حساسة بما هي جوهر الحركة الإبداعية في كل الأنواع الأدبية على السواء: شعراً، وقصاً، ودرامة، وغير أولئك من ضروب البوح الفنيّ الذى يغطى مساحات نوعية هائلة بالفعل.

و(البناء الفني) - بما هو تضامن جميع عناصر النَّصِّ لإقامة تشكيل جمالي يحمل رؤية جمالية معينة مشكل نقدى حقيقي تتبع إشكاليته من كونه كلَّ العمل الإبداعي ومفردات هذا الكل معاً، إلى جانب الكيفية الإبداعية التى تمارس الخلق والتشكيل من جانب المبدع، والكيفية القرائية التى تمارس التفسير والتأويل من جانب المتلقى، إذا لم نمعن في التجزيىء فننفصل بين الألوان والريشة التى ملأتها بحساسية الإيحاء والتناغم والدهشة والإمتاع.

القصيدة الشعرية مثلا، يمكن أن يتردد بناؤها الفني بين الغنائية، والقصصية، والدرامية.. والبناء الغنائيُّ يمكن أن يكون بناء تراكميا يحشد أبياتاً من وراء أبيات ينوع بها عليها أو ينتقل بها عنها.. وأن يكون بناء مقطعيا سواء كانت هذه المقاطع متناظرة أو متعاكسة، أو مترافدة.. ويمكن أن تنحنى القصيدة الشعرية على بنية تحتية تختلج في أعماق النص حتى تصير مجرد بنية سطحية مجانبة لا تقبل التأويل أو حتى المغامرة معها إلى أبعد من سطوحها الظاهرة.

وإذا كانت القصيدة قد بنيت بناء قصصيا فيمكن أن يكون بناؤها القصصي بناء حكائيا مطردا.. أو بناء متقاطعاً يعتمد المفاجأة وتداخل الأزمنة والأمكنة والشخوص والوقائع والعلاقات.. ويمكن أن يغطى القصُّ كل المساحة الشعرية في القصيدة، أو يشكل مجرد إيماضات مرحلية فيها ولابد بالطبع أن يتضمن كل فعل من هذه الأفعال الفنية غائيته الوظيفية، وإلا، صار عبثا واضطرابا.. ويمكن أن يكون القصُّ مجرد قص خيالى، أو واقعى، أو قصا ناهضا على استلهام قيم تراثية وتوظيف هذه القيم توظيفاً إسقاطيا يعرّى دمامة الواقع، أو دمامة المورث على السواء.. وتوظيف التراث ذاته وضعية بنائية متفاوتة، فهل وظف على مستوى الرمز؟ أو على مستوى المعادل؟ أو على مستوى الإسقاط؟ أو على المستوى المرآويّ العاكس؟.

وإذا كانت القصيدة قد بنيت بناء دراميا، فهل هذا البناء الدرامي قائم على تقنية المقدمة والأزمة والحلّ والشخوص ووحدة الزمان والمكان والفعل؟ أو أنه قائم على مجرد تحاور الأصوات داخل نسيج القصيدة؟ وهل للأصوات المتحاورة حضور فاعل وحقيقي؟ أو أنه مجرد حضور شبحى يفترضه الشاعر؟ وهل يجسّد الشخوص في القصيدة ذات البناء الدرامي بطولات عادية وأحداثا عادية؟ أو أنهم شخوص مثاليون يرسمون

بقلم: د. محمد أحمد العزب
- المنصورة -

** البناء الفني، تشكيل جمالي تتضامن فيه جميع عناصر النص.

أفقا، ويطرحون احتمالا؟.

وفي البناء الشعري القصصي والدرامي معاً، هل يطّرد الفعل القصصي والدراميّ أو ينعكس ليعمل من خلال التناقض والمفارقة والعوْد الدائم من لحظة البدء وإلى لحظة البدء، ليشوش اطراد الفعل والبطل والإطار الزمانى ضمن تصميم فني متقصد وغير عشوائي؟

وفيهما معاً يبحث عن باعث هذا الفعل وجوهره - ومردوده أيضا، هل هو تجسيد لمأساة الإنسان البطل؟ أو هو تجسيد لأزمة الإنسان الشاعر؟ أو هو تجسيد لمطلق مأساه الإنسان بلا تحديد؟.

وفى الأنواع الثلاثة: الغنائي والقصصي والدرامي، يتأمل المتلقى: هل تم هذا البناء أو ذاك من خلال الإفضاء المباشر أو من خلال سياقات صورية؟ وما نوعية هذه الصور؟ هل هي تقليدية أو تفجرية؟ هل هي مستقلة أو متعاضدة؟ هل هي حسية أو تجريدية؟ هل هي تراكمية أو جدلية؟ هل هي تزيينية أو عالم معادل؟.

على أن وضعيات أخرى هائلة يمكن أن تشكل نوعية (البناء الفني) في القصيدة الشعرية فقد تصبح السخرية المرة، أو التظاهر بالفرح المأساوي، أو تعمية الداخل في الخارج، أو تجسيد المضمر في المظهر، تقنيات بنائية في كل الأنواع.

وقد يجرفنا مصطلح (الأنواع) إلى التساؤل عن طبيعة هذه الأنواع في مثل هذا الشعر: هل احتفظ (النوع) بنقائه فظل الغنائي غنائيا وحسب؟ والقصصي قصصيا وحسب؟ والدرامي دراميا وحسب؟ أو أن النوع صار (غنائيا قصصيا) و(غنائيا دراميا) و(قصصيا غنائيا) و(دراميا قصصيا)، إلى آخر هذه التقليبات النوعية المتكثرة؟ ثم يجرفنا المصطلح إلى قضية أكثر حساسية، وهي قضية الأنواع وكيف تتقارض ملامحها الفنية؟ هل يذيب هذا التقارض حدود الأنواع، أو يمس جوهر خصوصيتها؟ أو أن الأنواع شمول ينطوي بالضرورة على (أصناف) أدبية، وهي المساحة التي تشكل خصوصية الطرح الفردي الذي يتميز فيه وبه فنان عن فنان، وأسلوب عن أسلوب، وموقف عن موقف؟.

**** توظيف التراث وضعية بنائية متفاوتة.**

**** الخيال، تنظيم لعناصر العمل الفني في ايقاعية وتناغم.**

وقد نتساءل: ماذا عن موقف كل نوع من هذه الأنواع حيال قضية (التحويل الأدبي)؟ إن التحويل الأدبي يتم على مستويين: تحويل الواقعى إلى جمالي، وتحويل الجمالي إلى واقعى .. فكيف نركز على خصوصية الفن ونحن نجادل الواقع والذات والتراث؟ كيف نتناص مع هذه الأضلاع المتعددة دون أن نفقد صلابة الأرض التي نقف عليها؟ كيف نعي بداهة اليقين بأن المادة ليست ذات مدلول أحاديّ لأنها صائرة باستمرار، ومن ثم متعددة المداليل، سواء أكانت واقعا أو لغة، بينما يطالب الفن بأن يكون ماهو، عبر الثبات التاريخي للغة ذلك الذي يتحداه؟.

إن عناصر النص تتحول وفق معيارها الخاص وليس وفق معايير التحوّل في الطبيعة، فالإيقاع مثلا يصير غير ما هو في علاقته بالصورة، أو ديناميته معها، إذا هو أقام علاقة

جديدة بينه وبين القناع، أو الخيال، أو المفارقة، أو ما شئنا من هذه التقنيات.

وتدخل في هذا الجدل حول طبيعة (البناء الفني) محاور (الأغراض - والمعنى - والدلالة - والصورة - والموقف - والرؤية - والتأويل - والغياب - والحضور - والعلاقات - واللغة - والمجاز - والاستعارة - والكناية - والمفارقة - والقناع - والاسطورة - والرمز - والإسقاط - والتضمين - والتناص - والشفرة - والإشارة - والعلاقة - والتفكيك - والشعرية - والقيمة) ... إلى آخر ما هناك من محاور تُشكل في النهاية مفردات (البناء الفني)، وتشكل هذا البناء ذاته على أنحاء متعددة ربما بتعدد هذه المصطلحات وأضعاف هذه المصطلحات. لأن الإبداع إمكانية مفتوحة دائما، ويجب أن تظل مفتوحة أبدا لتستوعب مزيدا من التجريب والتشكيل وتطوير هندسة البناءات!.

إذا عدنا إلى حديث (البناء الفني) في القديم نجد النقد اليوناني قد أنجز فيه إنجازات محققة، ربما من خلال التصدى لنقد الأعمال الدرامية أساسا، وليس من خلال القصيدة الغنائية بالذات، ولكن حديث هذا النقد اليوناني عن الدراما لا يلغي تضمين القصيدة الغنائية في تضاعيف هذا الحديث، لأن المأساة ذاتها كانت شعراً في هذه المراحل، ومن هنا ينسحب التأصيل النقدي الذي قدمه أرسطو في كتابه عن الشعر على كل ألوان الإبداع.

يقول (أرسطو) محدداً لطبيعة (البناء الفني: (.. بعد أن أوضحنا الأجزاء التأليفية لننظر الآن ماذا يجب أن يكون عليه ترتيب الحوادث، لأن هذا هو نقطة البدء في المأساة وأهم صفة فيها. لقد قررنا أن المأساة محاكاة فعل تام، له مدى معلوم، لأن الشيء لا يمكن أن يكون تاما، دون أن يكون له مدى، والتام هو ماله بداية ووسط ونهاية، والبداية هي مالا يعقب بذاته وبالضرورة شيئاً آخر، ولكن بعده شيء آخر يوجد أو يحدث بالطبيعة نفسها، والنهاية على العكس من هذا، هي ما بذاته وبالطبيعة يعقب شيئا آخر، ضرورة أو في معظم الأحيان، ولكن ليس بعده شيء، والوسط هو ما بذاته يعقب شيئا آخر ويعقبه شيء آخر.

والخرافات إذن إنْ أجيد تأليفها، يجب ألا تبدأ أو ألا تنتهي عند نقطة أيا كانت تتخذ اتفاقا، بل يجب أن تتفق والمباديء التي أتينا على ذكرها).

كذلك الجميل، سواء أكان كائناً حيا أم شيئاً مكوناً من أجزاء ، بالضرورة ينطوي على نظام يقوم بين أجزائه هذه ، وله عظم يخضع لشروط معلومة، فالجمال يقوم على العظم والنظام، ولهذا فإن الكائن العضوي الحيّ إذا كان صغيراً جداً لا يمكن أن يكون جميلا، لأن إدراكنا يصبح غامضا، كأنه يقع في برهة لا يمكن إدراكها، كذلك إن كان عظيماً جداً، بأن كان طوله عشرة آلاف ميدان مثلا، إذ في هذه الحالة، لا يمكن أن يحيط به النظر، بل تند الوحدة أو المجموع عن نظر الناظر، فإذا ما تقرر هذا، فإنه كما أن الأجسام والأحياء يجب أن يكون لها عظم يمكن تناوله بالإدراك، فكذلك الأمر في الخرافات، يجب أن يكون لها من الامتداد ما تقوى الذاكرة على وعيه بسهولة).

ثم يشير أرسطو بعد ذلك إلى أن أجزاء الكُلِّ يجب أن تتضامن، وأن تكون بحيث إذا نقل أو بتر جزء انفرط عقد الكلّ وتزعزع، لأن ما يمكن أن يضاف أو ألا يضاف، دون نتيجة ملموسة، لا يكون جزءا من الكلّ.

وإذن (فالبناء الفني) كما يراه أرسطو يجب أن ينهض على أسس من التصميم، وخلق الفضاء الموائم، والاتساق العضوي، والوعي بطبيعته، وتحقيق أقصى النظام فيه، وإعمال النسبية العادلة في كمِّه وكيفه، والتحريض على تضامن أجزائه بحيث تخلق في النهاية كُلا أشمل من مجرد هذه الأجزاء.

** القصيدة في مجملها تمثل قيمة جمالية واحدة.

وفي العصر الحديث تناول النقد قضية (البناء الفني)، مؤكداً على أن البناء لم يعد فقط بناء (الدّراما)، ولكنه أصبح بناء (القصة) وبناء (القصيدة) وبناء (الرواية) كذلك ، ومن هنا تراحبت قاعدته لشموله هذه الأنواع، ليس ذلك فحسب، ولكن قاعدته تراحبت كذلك تحت ضغوط عوامل استفادته في (القصيدة) من تقنيات البناء الفني (للقصة) وأيضا (للمسرحية)، واستفادته في بناء (القصة) من تقنيات (المسرحية والقصيدة) واستفادته في بناء (المسرحية) من بناء (القصيدة والقصة).

كما أصبح الحديث عن (البناء الفني) لا يشمل فقط هندسة البناء ومعماره ومنظور الفنان الذي ينجز هذا البناء، ولكنه يشمل كل مفردات العمل الفني، من لغة، وصور، ومجازات، وعاطفة، وخيال، وموسيقى، وأقنعة، وتضمين.. إلى آخر ما هناك، بالطبع من خلال (الكيفية) التي يحقق بها الفنان عمله الفني، ولكن في حالة دمج هذه العناصر، والخروج منها بمزيج واحد جديد تماما.

أي أن (البناء الفني) لم يعد فحسب مجرد الوحدة العضوية التي يمكن أن تُوجد نوعا من التلاحم بين أجزاء العمل وأفكاره، ولكنه الوحدة القادرة على إذابة الأجزاء والأفكار والعواطف والإيقاع والصور في كل واحد بحيث يبدو هذا الكل جسداً متدامجا ومتناميا، يؤدي فيه كل جزء دوره في تنمية البناء وعضويته وتماسكه وينفتح فيه الكل على سائر هذه الأجزاء فيعطيها مع كل عمل إبداعي - مذاقا خاصا يحقق لها وله الفاعلية الجمالية المنشودة في الإبداع الجميل.

يرى (كولردج) أن (الخيال) هو وحده القادر على تنظيم هذا النثير من العواطف والأفكار والصور في القصيدة الواحدة، وتوظيفها جميعا فى أداء إيقاع متناغم ومتلاحم.

يقول (كولردج): «الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة، أو إحساس واحد، أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس في القصيدة، فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر.. وهذه القوة التي هي أسمى الملكات الانسانية تتخذ أشكالا مختلفة منها العاطفي العنيف، ومنها الهادىء الساكن، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على المتعة فحسب، نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة بينما نفتقد هذه الوحدة في وصف الرجل العادي الذى لا تتوافر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء، إذ نجده يصفها وصفاً بطيئاً بعض الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة. وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التي تحققها الطبيعة ذاتها، التي هى أعظم الشعراء جميعا، فبينما نفتح أعيننا على منظر طبيعى منبسط أمامنا إنما نشعر بوحدة هذا المنظر).

ويتفق جميع النقاد الفلسفيين في كل العصور - كما يقول كولردج - مع الحكم النهائي الذي كونه الناس في جميع الأقطار على رفض أن تكون القصيدة سلسلة من الأبيات أو من الأسطر الموزونة التي يستأثر كلّ منها وحده بانتباه القارىء التام، وبذلك يفصل نفسه عن السياق، أو أن تكون تأليفا غير سوي يخلص القارىء سريعاً بالنتيجة العامة منه، ولا يجتذبه فيه أي جزء من الأجزاء التي يتألف منها.

ويرفض العقاد مبدأ (التفكك) في بناء القصيدة الشعرية، وأن تكون القصيدة مجموعاً مبدداً من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير وحدة الوزن والقافية، لأن هذه الوحدة ليست بالوحدة المعنوية الصحيحة، إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافى المتشابهة أكبر من أن تحصى، فإذا اعتبرنا التشابه في الأعاريض

وأحرف القافية وحدة معنوية جاز أن ننقل البيت من قصيدة إلى مثلها دون أن يخلّ ذلك بالمعنى أو الموضوع، وهو مالا يجوز.

ثم يحدد العقاد تصوره النهائي لهذه الوحدة العضوية التي تؤلف في العمل الشعري (بناءه الفني)، فيقول: «القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنياً تاماً يكْمُلُ فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغنى عنه غيره في موضعه إلا كما تغنى الأذن عن العين، أو القدم عن الكفّ، أو القلب عن المعدة، أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها، ولا قوام لفن بغير ذلك، حتى فنون الهمج، فأنت تراهم يلائمون بين ألوان الخرز وأقداره في تنسيق عقودهم وحليهم، ولا ينظمونه جزافا، إلا حيث تنزل بهم عماية الوحشية إلى حضيضها الأدنى، وليس دون ذلك غاية في الجهالة ودمامة الفطرة، ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوي على خاطر مطرد، أو شعور كامل الحياة، بل هو كأمشاج الجنين المُخدَّج بعضها شبيه ببعض، أو كأجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة لا يتميز لها عضو، ولا تنقسم فيها وظائف وأجهزة، وكلما استغل الشيء في مرتبة الخلق صعب التمييز بين أجزائه، فالجماد كل ذرة منه شبيهة بأخواتها في اللون والتركيب، صالحة لأن تحلّ في أي مكان من البنية التي هي فيها).

ويضع العقاد أنواعا من الإبداع الشعري المتناثر الرؤى، موضع الاتهام، ويربط بينه وبين الانحطاط الحضاري بعامة، وبينه وبين الانحطاط الفني بشكل خاص، داعياً إلى النهوض من كبوة هذا الفهم الركيك لطبيعة البناء، حتى نستطيع أن نكتب القصيدة العالم الواحد المتجانس المتنامي، الذي يتدفق بالنبض وهندسة البناء:

يقول العقاد: (إنك كلما شارفت فترة من فترات الاضمحلال في الأدب ألفيت تشابها في الأسلوب والموضوع والمشرب، وتماثلا في روح الشعر وصياغته، فلا تستطيع مهما جهدت أن تسم القصائد بعناوين وأسماء ترتبط بمعناها وجوهرها، لما هو معروف من أن الأسماء تتبع السمات، والعناوين تلصق بالموضوعات، ورأيتهم يحسبون البيت من القصيدة جزءاً قائماً بنفسه، لا عضواً متصلا بسائر أعضائها، فيقولون: أفخر بيت، وأغزل بيت، وأشجع بيت، وهذا بيت القصيد، وواسطة العقد، كأن الأبيات في القصيدة حبات عقد تشترى كل منها بقيمتها، فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات شيئا من جوهرها، وهذا أدل دليل على فقدان الخاطر المؤلف بين أبيات القصيدة، وتقطع النفس فيها وقصر الفكرة وجفاف السليقة، فكأنما القريحة التي تنظم هذا النظم ومضاتُ نور متقطعة، لا كوكباً صامداً متصلُ الأشعة يريك كل جانب، وينير لك كل زاوية وشعبة، أو كأنما هي ميدان قتال فيه ألف عين وألف ذراع وألف جمجمة، ولكن ليس فيه بنية واحدة حية، ولقد كان خيراً من ذلك جمجمة واحدة على أعضاء جسم فرد تسري فيها حياة.

وإذا كان ذلك كذلك فلا عجب أن ترى القصيدة من هذا الطراز كالرمل المهيل، لا يغيّر منه أن تجعل عاليهُ سافله، أو وسطه في قمته، لا كالبناء المقسم الذى ينبئك النظر إليه عن هندسته وسكانه ومزاياه).

وبهذه النزعة الجدالية المحكمة يؤسس العقاد لفهم صوابي معاصر لقضية (البناء الفني) لا يركن فيه إلى المطلقات من مثل قولهم (حسنة الألفاظ.. جيدة المعاني) ولا إلى هشيم النظرة العجلى التي لا تملك فلسفة فنية تصدر عنا في رؤيتها لقضية البناء، ومن ثم تصيب الرؤية

** الصدق النفسي في العمل الفني ضرورة في الابداع.

النقدية والرؤية الإبداعية بالعمى اللوني، الذى لا يفرق حتى بين الباده والمبحوث.

نلاحظ من مجمل تأملنا لقضية (البناء الفني) في النقد الحديث بالذات، أن الحديث لم يعد عن بناء القصيدة وحدها، وإنما عن بناءات كل الأنواع.. وأن هذه الأنواع بدأت تتقارض تقنيات أبنيتها فتنمي من خلال هذا الفعل رؤياتها وتشكيلاتها معاً.. وأن الحديث عن البناء لم يعد مجرد حديث عن الهندسة والمعمار والمنظور، بل أصبح يشمل كل مفردات العمل من خلال كيفية التناول ودمج العناصر، وإذابة الأجزاء في كل عضوي متنام جميل.

وسنلاحظ أيضا أن الفكر العربي الحديث ربما تأثر بروافد من الفكر الأوربي، وقد جسّد (كولردج) بنظريته في الخيال الفاعل رافداً مهماً من هذه الروافد، حيث رأى أن الخيال هو الملكة القادرة على تنظيم هذه العناصر وتوظيفها في أداء إيقاع متناغم ومتلاحم وأن هذه الملكه قد تتخذ شكلا عاطفيا عنيفا ، وقد تتخذ شكلا هادئا ساكنا، إلا أنها قادرة دائما على خلق الوحدة في التعدد، وبهذا الاقتدار الفني يتميز الفنان عن العادي .. كما يرى (كولردج) أن التركيز على عنصر من عناصر العملية الشعرية يصرف عن تأملها في كمالها الفني، كما أن التركيز على الفحوى النهائية يصرف عن جماليات الأجزاء المكونة، ويدعو إلى تعادل هذين القطبين حتى لا تختل الموازين.

ومع ذلك فقد فطن إلى الوحدة البنائية كثير ممن لم يتأثروا بالفكر النقدي الأوربي، من أمثال الشيخ حسين المرصفي، الذي نزع في رؤيته إلى البناء ووحدته عن حسّ ذاتي عربيّ خالص ، فنظر إلى الأبيات (كقيم جمالية) تؤلف في مجموعها (قيمة جمالية واحدة) ورفض - في بعض ما قال - أن (يتراخى البناء) بحيث يمكن أن نضع بيتا بين بيتين، أو أن نقدم ونؤخر، وهذه خطوة تقدمية تحسب لهذا الرجل بلا جدال.

ولكن الذين تأثروا بالفكر النقدي الأوربي كانوا أكثر كمًّا ووعياً والحق يقال، فقد تحدث (خليل مطران) في مقدمة ديوانه عن القصيدة التي لا ينظر الناظر فيها إلى البيت بمفرده ولكن ينظر إلى (جملتها) و(تركيبها) و(ترتيبها) في حالة نهوض الكل بأداء شعور معين أو وصف حالة معينة.

وأكد (شكرى) أن (البناء الفني) للقصيدة ينهض على عدد من الأسس من بينها: خلق الصلة الحميمة بين معنى البيت وموضوع القصيدة (لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة، بعيداً عن موضوعها).. كما يرى أن الوحدة العضوية تحقق في القصيدة نوعا من التنامي والالتحام (من حيث أنها شيء فرد كامل لا من حيث أنها أبيات مستقلة).. كما يرى ضرورة إيجاد نوع من التعادل بين الفكر والعاطفة حتى لا يهتز البناء تحت إيقاع اهتزاز النسب بين الأضداد.

وقد تواترت الجهود في هذا الصدد، لتؤكد على قيم التلاحم والاتساق والكلية والمنظور وغير أولئك من قيم البناء.

ولكن الإبداع (الشعري بالذات) فجّر جديداً عطف بالمقولات النقدية في قضية (البناء الفني) صوب منحنى آخر، تغيرت من خلاله (لغة) القصيدة، و(عالم) القصيدة، و(بناء) القصيدة مروراً بصورها ومجازها وإيقاعها وكل هندسة بناءاتها الداخلية والخارجية على السواء. وقد عالجنا هذه التحولات في بحوث لنا عن (طبيعة الشعر) و(المفارقة في الشعر العربي المعاصر) و(ظواهر التمرد في الشعر المعاصر) وغير ذلك كثير.

كثيراً ما يساء فهم هذين المصطلحين على الرغم من أهميتهما، فالواقعية في الدراما ليست (حقيقية) والتعبيرية ليست (غير حقيقية). فكلاهما شكل من أشكال الوهم الدرامي. ولكن التقنيات المستخدمة لاحداث هذا الوهم - أي الأساليب المتبعة - مختلفة اختلافاً كبيراً ، ولا يملك أي مؤلف مسرحي أن يخلط بين الإثنين.

والواقعية الدرامية في أبسط معانيها هي تقديم الجوانب المختلفة المسرحية من ديكور وحدث وحوار بالشكل الذي نراه ونسمعه في واقع الحياة. وليس من الضروري أن نكون قد عرفنا أشخاصاً كأشخاص المسرحية من أجل أن نشعر بأن المسرحية واقعية. أما التعبيرية فهي في أساسها استخدام للتشويه على نحو متعمد ومغالى فيه.

الواقعية والتعبيرية في المسرح

بقلم:
د. زياد الحكيم
- لندن -

الواقعية الدرامية:

ينطبق التقليد الواقعي على المناظر والملابس والحوار والحدث كله. وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فإننا نقول إنه عندما يقدم الكاتب المسرحي إلى جمهوره زنزانة سجن وممراً فإنه يشير بذلك إلى أن المسرحية ربما تكون واقعية. وعلى هذا الأساس فإن الجمهور يتوقع الملابس أن تكون مألوفة. علاوة على ذلك فإن الجمهور يبني افتراضات معينة تختص بالحوار والحدث.

قد يدهش الجمهور لما تقوله أو تفعله شخصية من الشخصيات. ولكنه يفترض أن المسرحية (تعني شيئاً) وأنها تصور أنماطاً مختلفة من الشخصيات.

والأهم من ذلك هو أن الجمهور يتوقع أن تخضع المسرحية الواقعية لما اتفق على أنه القوانين الطبيعية للكون.

إن غرفة الجلوس الواقعية المستخدمة في كثير جداً من المسرحيات مؤلفة من ثلاثة جدران. ولكن غرفة كهذه في الحياة تعتبر غرفة غريبة الشكل. ونحن نعتبرها (واقعية) فقط لأننا قبلنا الوهم بأن المسرحية عرض للعالم المألوف لنا. وهذا في أساسه هو نفس العملية السيكولوجية التي نقبل بها لوحة واقعية في الوقت الذي ندرك فيه أنها مجرد عرض للأصباغ على سطح مستو.

وعلينا أن نذكر هنا أن الحوار أيضاً هو مجرد وهم للواقع. وكما أن علو صوت الممثل ووضوح كلماته هما ابتعاد واضح عن السلوك المنزلي العادي فإن أنماط الكلام ومادة الحديث

تخلق مجرد وهم لأحاديث حقيقية- وعلى سبيل المثال لاحظ رغبتنا في قبول (همسة الخشبة) كما لو كانت همسة حقيقية بالرغم من أن الجمهور في الصفوف الأخيرة يسمعها. أو لاحظ وضوح اللفظ في كلام شخصيات يفترض أن يكون لفظها غير واضح كما هو حال ويلي لومان في مسرحية (موت بائع) أو ستانلي كوالسكي في مسرحية (عربة اسمها اللذة). أو قارن وحدة الفكرة في الحوار خلال مشهد العشاء في مسرحية ميللر (منظر من الجسر)، مثلا، بفوضى الأفكار في أي عشاء حقيقي.

علاوة على المناظر أو الحوار فإن الفعل الدرامي الواقعي ليس في الحقيقة إلا وهماً لما يحدث في النشاط المحموم الذي نسميه الحياة. ففي معظم المسرحيات يجب أن نفهم من الخروج والدخول والحركة على الخشبة وحتى الايماءات البسيطة على أنها وسيلة للكشف عن الشخصية والفكرة بالرغم من أنها في الوقت ذاته تظهر طبيعية كما يظهر الفعل في الحياة الحقيقية.

الواقعية إذن جملة من الأوهام، ولكنها تحاكي أو تعكس أنماطاً مألوفة في حياتنا اليومية.

التعبيرية في الدراما:

تشير التعبيرية في الدراما إلى التشويه الذي نشاهده في القصص الخيالي، وهي تختلف عن التشويه الذي يستخدم في الدراما الواقعية في أنها غالباً ما تكون واضحة للعيان وصارخة. ويلاحظ الجمهور بسهولة هذا الابتعاد عن الأنماط الحقيقية الحياتية، وسرعان ما يجهز نفسه لنظام منطقي جديد.

في أغلب الأحيان، المناظر على الخشبة هي التي تشير إلى أن المسرحية ستكون تعبيرية. خذ مثلا مسرحية (آلة الجمع) للكاتب الأمريكي إلمر رايس، وبطلها مستر زيرو محاسب تشغل الأرقام تفكيره على مدار الساعة.

**** الحوار في المسرح مجرد وهم للواقع.**

**** الواقعية جملة من الاوهام تحاكي أنماطاً مألوفة في حياتنا اليومية.**

إن الديكور الذي وصفه الكاتب في نص المسرحية مكون من غرفة نوم على جدرانها عشرات الارقام الجاهزة للجمع والضرب والطرح والتقسيم. وهذه الأرقام ما هي إلا اسقاط لما يدور في رأس مستر زيرو. ومسرحية آرثر ميلر (موت بائع) مثلا مسرحية واقعية إلى حد كبير حول بائع عجوز يعيش فيما يوصف بأنه (نيويورك اليوم)، ولكن ثمة عدداً من التفصيلات التعبيرية في المسرحية بما في ذلك شخصية خيالية تعرف باسم العم بن. والعم بن هذا ضرب من الأسطورة العائلية عرف عنه أنه بنى ثروة في أفريقيا أو ألاسكا، ويبدو وكأنه يخرج من العدم، يقول أسطراً ثم يختفي بشكل غامض ، ومن الطبيعي أن يتحدث شخص عاقل مع شخص خيالي، وليس من الغريب جداً أن نسمح لهذا الحديث بأن يكون مسموعاً. عندما نشاهد العم بن واقفاً على الخشبة فعلا فإننا نقبل فرضية أننا في ذهن ويلي لومان بطل المسرحية وأننا نرى المشهد كما يراه.

الأسلوب نفسه بتوسع يغدو الأداة الرئيسية في مسرحية يونيسكو (الكراسي) هنا

الشخصيات الخيالية تفوق بعددها الشخصين المرئيين على الخشبة. ولو كانت هذه المسرحية واقعية لاعتبرناها دراسة سيكولوجية لشخصين مجنونين تماماً. ولكن منطق المسرحية يصر على أن نفهم المسرحية بصورة رمزية فقلعتهما في وسط البحر هي نوع من العزلة التي يشعر كثير من الناس العقلاء بأنهم يعيشون فيها. وأصدقاؤهما هم انعكاسات لحاجتهما وآمالهما وأوهامهما.

هذه الأمثلة للحوار التعبيري تتضمن بالضرورة الفعل التعبيري. ويلي لومان لا يشاهد نائماً في كرسي عندما يدخل العم بن إلى الخشبة لأن هذا ليس إيحاءاً حرفياً بحلم. إنه يقترب من العم بن ويخرج أبناؤه لملاقاته ببساطة لأن المشهد ليس حلماً.

التعبيرية إذن ليست فترة أدبية يجب دراستها كمرحلة متميزة للدراما. إنها أحد القطبين اللذين يزودان الكاتب بعدد وافر من التقنيات. والواقعية والتعبيرية مختلفتان اختلاف خبرة اليقظة وخبرة الحلم. وبعبارة فنية فإنهما مختلفتان اختلاف لوحات هوير وويث عن لوحات بيكاسو وشاغال.

وبالرغم من اختلافهما فمن الخطا اعتبارهما مستقلتين تماماً. إن دخول العم بن في (موت بائع) هو وسيلة تعبيرية. ومع هذا فإن مشاهد كاملة من تلك المسرحية تعرض بصورة واقعية كما تعرض مسرحيات إبسن أو تشيخوف. ويختلف الكتاب المسرحيون في أسلوبهم من مسرحية إلى مسرحية، فمسرحية آرثر ميللر (بعد السقوط) تعبيرية جداً، ولكنه كتب فيما بعد مسرحية (الثمن) وهي عمل واقعي تماماً لا ينطوي على أثر للتشويه مهما يكن. ويجب أن يعتقد الكاتب المسرحي الممارس أن هاتين التقنيتين المختلفتين هما مجرد مدرستين تاريخيتين. إن كلا منهما تمثل على الخشبة اليوم تمثيلا رائعاً وإن الاعتراف بقيمة كل منهما يعطي الكاتب المسرحي عدداً أكبر من الخيارات.

مسرح العبث :

في التقليد التعبيري هناك عدد من (المدارس) مثل الدادوية والسريالية ومسرح الصدمة. ومعظمها ذو أهمية من وجهة نظر تاريخية فقط. على أن إحدى هذه المدارس كان لها تأثير في المسرح المعاصر بحيث أن كاتباً مسرحياً ممارساً لا يستطيع تجاهلها. هذه المدرسة هي مسرح العبث.

وبالرغم من أن الحركة تستعير كثيراً من الدادويين الذين كانوا يكسرون التقليد القديم للمسرحية المصنوعة جيداً قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وبعدها، فإن مسرح العبث بمعناه المحدد بدأ في الخمسينيات من القرن الحالي واستمر إلى اليوم.

هناك حوالي عشرين كاتباً مسرحياً ارتبطوا ارتباطاً مباشراً بالحركة. أشهرهم يوجين يونيسكو، وساموييل بيكيت، وهارولد بينتر، وإدوارد ألبي. أما جان جينيه وآرثر أداموف فهما في صف وحدهما. ولكن يجب ضمهما أيضاً إلى تقليد مسرح العبث.

يمكن تعريف الحركة ببساطة شديدة بأنها تتألف من رأيين فلسفيين وثلاث تقنيات درامية مستخدمة لتقديم هذين الرأيين. وهذه الخصائص الخمس موجودة في جميع مسرحيات العبث إلى درجة مدهشة.

أولا: هناك الرأي بأن الحياة عبث بمعنى أنه ليس لها هدف نهائي أو معنى نهائي. ومفهوم العبث كامن في أعمال الكتاب الوجوديين من

أمثال سارتر وكامو، وتأثيره في الدراما أكبر من تأثيره في القصة أو الشعر. وهو مفهوم يستبعد الايمان بالتقدم أو الكرامة البشرية أو النزعة الانسانية أو التطور التاريخي. إن الحياة تغدو عبثاً بهذا المعنى الخاص عندما لا يكون هناك أنماط لتوجيه أو تحديد مسار المرء وأفعاله.

لماذا لا ينتحر الانسان في مثل هذه الظروف؟ عالج كامو هذا السؤال بالتحديد في مقاله (أسطورة سيسيفوس). وبطريقة أو بأخرى فإن جميع الكتاب المسرحيين الذين يضمهم تقليد مسرح العبث فعلوا الشيء ذاته في أشكال درامية. إن المسرحيات لا تقدم حلولا ، إنها مجرد أفكار، وهي تستكشف ظاهرة أن يحاول المرء أن يعيش في عالم يفتقر إلى المعنى تماماً، في العادة يتم هذا من خلال استعارة مركزية ففي مسرحية يونيسكو (الكراسي) الحياة تشبه العيش في قلعة في وسط البحر على أمل وحيد هو اصطناع (رسالة) للعالم كحافز للعيش. وفي مسرحية بيكيت (نهاية اللعبة) الاستعارة هي غرفة في قبو حيث منظر العالم من خلال نوافذ صغيرة غير واضح. وفي مسرحية (بانتظار غودو) الحياة عبارة عن أمل طويل عقيم في أن أحداً سيصل. وفي مسرحية (النادل الأحمق) يستخدم هارولد بينتر غرفة في قبو كما في مسرحية (نهاية اللعبة) وحافز الانتظار كما في مسرحية (بانتظار غودو) ويضيف شيئاً من العنف في النهاية وهو عنف مربك وعديم المعنى وعبثي. وكل هذه المسرحيات تستخدم تعابير شاعرية شبيهة بالحلم لتصوير الألم والدعابة الساخرة بدون الاطمئنان إلى قيم مطلقة أو معنى مطلق.

**** الواقعية والتعبيرية يمثلان الحلم واليقظة.**

**** المسرحيات لا تقدم حلولا، إنها مجرد أفكار.**

والموقف الفلسفي الثاني لهؤلاء الكتاب المسرحيين هو النزعة المناهضة للعقلانية التي تنطوي عليها أعمالهم. فالعقل، في نظرهم، لن يحل أية مشكلة. وينظر هؤلاء الكتاب إلى محاولات اللجوء إلى العقل بأنها خداع للذات. لقد رفض الايمان بالفكر العقلاني الذي هيمن على القرن التاسع عشر إلى حد كبير، ورفض الأمل في التقدم الاجتماعي. إن التعلم عديم الجدوى في عالم لا مستقبل له. ويغدو الماضي نسخة شاحبة فقط للحاضر في التنبؤ بالصورة التي سيكون عليها المستقبل.

ليس من المستغرب والحال هذه أن نرى شخصيات مثل المدرس في مسرحية يونسكو (الدرس) الذي يغدو قاتلا، والخطيب في مسرحية (الكراسي) وهو الرجل الذي سينشر في العالم رسالة الحق والعدل يغدو رجلا أبله لا تعدو لغته كونها أصواتاً مبهمة. وفي مسرحية (نهاية اللعبة) يمضي الآباء والأمهات حياتهم في أوعية النفايات. ففي عالم يفتقر إلى المعنى فإن المدرسين والآباء والأمهات ورجال الكنيسة والمسنين هم أكثر الناس حماقة.

وإذا انتقلنا من الموقف الفلسفي إلى التقنية فإننا نرى أول ما نرى اعتماداً كبيراً على الأسلوب التعبيري. **إن كل مسرحية تقريباً تعتبر من مسرحيات العبث هي مسرحية خيالية، وفي الحقيقة هناك ميل إلى ايجاد مشهد خيالي يقوم بوظيفة استعارة أساسية للتعبير عن الفكرة**

الايحائية للمسرحية. والمناظر عادة مستقلة عن الزمان والمكان، والحدث أيضاً غير منطقي، والحوار مملوء بمغالطات منطقية.

والخاصة الثانية للتقنية هي استخدام الدعابة المظلمة. وهي مظلمة بمعنى أن الموضوعات مثل القسوة والجريمة والانتحار غالباً ما تتحول إلى عناصر هزلية. ففي مسرحية يونيسكو (الكراسي) مثلا ينتحر الزوجان العجوزان بالقفز من إحدى نوافذ قلعتهما. إن نصف الجمهور تقريباً يشعر بالاشفاق عليهما في حين أن النصف الآخر يستجيب لانتحارهما بالضحك. فالفعل هو في الوقت ذاته تراجيدي وهزلي على نحو عبثي.

ومصدر الهزل في أمثلة أخرى هو عدم قدرة الأفراد على التفاهم فيما بينهم بوضوح. إن كلا من هارولد بنتر ويوجين يونيسكو يستخدمان أقوالا لا علاقة لها بالحديث وتجيب الشخصيات إجابة لا علاقة لها بالسؤال المطروح، ويجعلان شخصياتهما تردد عبارات لا معنى لها، ويوليان مشكلة الاتصال الانساني اهتماماً كبيراً. وتتمثل هذه المشكلة في عدم قدرتنا على الاصغاء بالشكل المطلوب وعلى التكلم بدقة وعلى إدراك عواطف الآخرين.

وتقوم الدعابة أحياناً بدور ساخر. فمسرحية يونيسكو (المغنية الصلعاء) في الواقع ما هي إلا مجموعة من المشاهد الهزلية غير المترابطة التي تسخر من مواقف الطبقات الوسطى، وبصورة أخص الطبقات الوسطى البريطانية ورسمياتها. وأكثر هذه المشاهد نجاحاً هو المشهد الذي يتحدث فيه رجل وامرأة حديثاً مهذباً ثم يكتشفان أنهما من ذات المدينة ومن ذات الشارع ومن ذات البيت. إنهما يكتشفان أخيراً أنهما زوج وزوجة.

**** مسرح العبث يقدم نوعاً من الحرية لا تعرف المنطق.**

إن سخرية ألبي الموجهة إلى الأم والأب في (صندوق الرمل) أكثر حدة في (الحلم الأمريكي) حيث تغالي الشخصيات باستخدام كليشيهات الطبقات الوسطى، وتتحول هذه الكليشيهات إلى تشويهات خيالية في أسلوب يماثل أسلوب يونيسكو. وسخرية بنتر أكثر حدة إذ يدرك الجمهور أنماطاً شخصية معينة وحالات اجتماعية معينة هزلية على نحو غريب من خلال التشويهات. هذا بالرغم أن عمله ليس مقصوداً به السخرية.

وليست جميع مسرحيات العبث هزلية. ولكن لما كانت أغلبية هذه المسرحيات مضحكة إلى حد ما ـ على الأقل بطريقة مشوهة ـ فإنها تشير إلى مشكلة خاصة في هذا النمط من المسرحيات. إن الافتقار إلى بنية درامية وهو ما يميز كثيراً جداً منها يجعل مسرحيات العبث بحاجة إلى تقنية بديلة ليواصل الجمهور اهتمامه، والهزل حل طبيعي.

ويعيد مارتن إسلين في كتابه (مسرح العبث) هذا العنصر الهزلي إلى الدراما الوسيطة وعروض المهرجين والبهلوانيين في العصر الوسيط. ويرى أيضاً تأثيرات من مصادر حديثة مثل المسرحيات القصيرة الهزلية التي تشتمل

على أغنيات ورقص وأفلام صامتة. وهذا واضح بشكل خاص في مسرحيات مثل (بانتظار غودو) حيث يتعين على الكاتب المسرحي أن يسلي جمهوره ساعتين ونصف بدون قصة.

والخاصة الثالثة لمسرحيات العبث هي الطبيعة الساكنة، فبدلا من تطوير حدث درامي نحو ذروة ما فإن هذه المسرحيات تدرس حالة أساسية واحدة دون أن تطورها، في مسرحية (الكراسي) مثلا يقيد يونيسكو نفسه بشخصيتين تعيشان في قلعتهما في وسط البحر. ولكنه يستكشف اهتمامات زوجين عجوزين تحت هذه الظروف. فهو يقدمهما أولا كشخصين متعاليين، ثم كشخصين يشبهان الأطفال في سلوكهما، وبعد ذلك كشخصين متواضعين ثم متبجحين، ثم كشخصين يملأهما تفاؤل مرضي في مواجهة عالم بلا معنى، إن المسرحية سلسلة من المقاطع الشعرية التي تعالج مشكلة الوجود الانساني.

ربما يكون هذا هو السبب في أن كثيراً جداً من المسرحيات المكتوبة وفق هذا التقليد أو المتأثرة به تلجأ إلى هزل غريب أو إلي وسيلة لصعق الجمهور مثل العنف والعري، **إن تجريد الدراما من حبكتها يزيل واحدة من التقنيات الأساسية للتأثير العاطفي ويضطر الكاتب المسرحي إلى إيجاد بديل لها.**

إن لمسرح العبث تأثيراً عظيماً على الفن المسرحي المعاصر، ولكنه لم يستول عليه استيلاء كاملا. فالمسرح الأسود الأمريكي نادراً ما يلجأ إلى أسلوب العبث لأن هناك معنى وعقيدة في الاحتجاج، وكثير من الكتاب المسرحيين البيض الأصغر سناً مثل لانفورد ويلسون يجدون قوة في الحبكات الدرامية الغريبة الواقعية، أي في الحياة عندما ينظر إليها من زوايا جديدة. حتى أن بعضاً من مؤسسي تقليد العبث قد ابتعدوا عنه أحياناً، فهذا إدوارد ألبي يخرج على التقليد إلى حد ما في مسرحية (صندوق الرمل) في أنه بنى حبكة (تؤدي إلى موت بطولي في التقليد القديم. وشخصية مؤثرة واقعية تحظى باحترامنا. وهو خارج مسرح العبث تماماً في مسرحيات مثل (موت بيسي سميث) وهي تصوير درامي لحدث تاريخي - الليلة التي توفيت فيها مغنية البلوز السوداء الشهيرة لأن مشفى أبيض لم يستقبلها للمعالجة.

وحتى يوجين يونيسكو خرج على الشكل الساكن في مسرحيته (خروج الملك)، وهي مسرحية خيالية عن تقبل الإنسان للقواعد الأخلاقية. وبالرغم من أن البيئة في المسرحية تعبيرية إلا أن الملك وحاشيته يمرون بسلسلة من الأحداث ذات بنية شبيهة بالمأساة الإليزابيثية.

مازالت الواقعية موجودة في المسرح المعاصر بمزاياها الكثيرة، فهي تستحوذ على خيال الجمهور، وإذا تم بناؤها بمهارة فإن لحبكتها تأثيراً درامياً في سلسلة من الذرى طوال العرض، وهي مفيدة في التعبير عن الهموم الأخلاقية والاجتماعية في عصرنا، وأسوأ ما في التقليد الواقعي هو انه يقدم للكاتب المبتديء فرصة للإفادة من الشخصيات الجاهزة والحوار المبتذل والموضوعات التقليدية.

أما التعبيرية من أي نوع - ومسرح العبث بشكل خاص - فإن لها ذات المزايا والصعوبات التي يتصف بها الشعر الحر. فهي تقدم نوعاً من الحرية يحتاج إليها كل فنان. ولكنها في الوقت نفسه تستبعد البنية التي يحتاج إليها كل فنان، والمشكلة هي أن لا يستطيع الكاتب أن يقدم حافزاً جديداً يُبقي العمل متحركاً وحياً.

رشيد النوادي اسم أدبي في تونس وفي البلاد العربية له اسهامات متعددة بين الدراسة والنقد والتراجم، وحضوره خارج الوطن، يتمثل خاصة في الانتساب لـ (رابطة الأدب الحديث في القاهرة) والاشتراك هناك في ندوات وكتب مع أعلام الفكر والقلم.
له من المؤلفات المطبوعة: (رحلة في الشعر التونسي ـ أحاديث في الأدب ـ اشارات أدبية ـ وجوه من بنزرت ـ أدباء تونسيون ـ عظماء بلادي ـ جماعة تحت السور).
وللغوص في ثنايا هذا الأديب كان هذا اللقاء.

حوار في الأفق:

لقاء مع الأديب التونسي رشيد النوادي

* *المنهل:*

المعروف أنكم عالجتم الدراسة الأدبية والنقد، أيّ العوامل دعت للجمع بين اللونين.. وما هو اللون الذي تؤثرون الاهتمام به خاصة؟.

** المعروف أني عالجت (الدراسة والنقد) ولي اسهمات أيضا في التاريخ، وفي أدب الأطفال، وفي القضايا المستقبلية.

واللون الغالب على انتاجي هو الدراسة والنقد، كما ذكرتم، وكلاهما محبب إليّ.

في مجال الدراسات، قدمت الكثير من المداخلات، في مؤتمرات أدبية وفكرية منها (مهرجان العقاد) بالقاهرة سنة ١٩٨٤، والملتقى الدولي حول (حضارة العرب) الذي عُقدَ بوهران عام ١٩٩٣، وملتقى زكي مبارك بالقاهرة عام ١٩٨٥، والندوة العربية حول (الشرق أوسطية) وفي ندوة انعقدت بليبيا سنة ١٩٩٥، وفي ألفية التوحيدي بالقاهرة سنة ١٩٩٥، الخ..

وفي مجال النقد: لي بعض الدراسات، وأنوى قريبا تقديم كتاب يحمل عنوان: «فصول في الأدب والنقد»، وقد كتبت تقديما له الدكتورة نعمات أحمد فؤاد.. وربما يطبع هذا الكتاب قريبا بالقاهرة، أنا شخصيا لا أفضل لونا على لون.

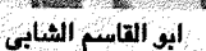
رشيد النوادي.

* *المنهل:*

هل توجد مدرسة نقدية اليوم في تونس، وإن كانت ما هي الروافد التي تقف عندها قياسا لما يجرى من تجارب نقدية في العالم العربي

اجرى اللقاء:
محمد الصادق عبد اللطيف
ـ تونس ـ

** القصيدة العربية تملك حضوراً واسعاً على الساحة.
** قصيدة النثر، مسمى لا وجود له في قاموس الأدب الجاد.
** نازك الملائكة مسبوقة في التجديد.



ابو القاسم الشابي



خاصة؟

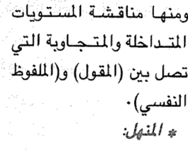
** بالطبع بدأت تتشكل (مدرسة للنقد في تونس)، والنقد مع نهاية الستينيات أصبح أكثر التصاقا بالأجناس الأدبية.. والدوريات التونسية التي صدرت منذ سنة ١٩٥٥ هي من أهم المراجع للكتابات النقدية، وتعتبر الكتب التي صدرت في مجال النقد في تونس هي بداية لتأسيس هذه المدرسة ومن الأسماء المعروفة على الساحة العربية في مجال النقد أذكر: المنجي الشملي، ومحمد العروسي المطوى، وتوفيق بكاره، وأبو زيان السعدى وعبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي.

و(المدرسة التونسية في النقد) أخذت على عاتقها اشاعة المفاهيم النقدية الحديثة والاستغناء عن المقاربات التذوّقية والانطباعية بمقاربات تعتمد أدوات تحليلية مقتبسة من علم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم التحليل النفسي.

* *المنهل:*

أحيانا يطفو على الساحة النقدية، نقد سلبي على أحد الأعمال، ما هي وظيفة الناقد في رأيك؟..

** (الناقد) اتمثله (قواما).. عليه أن يعي عصره وأدواته، وأن يفتح (المستور) على أن خطورة دوره تكمن في تجاوز (الانطباعية)، والتركيز على محتوى الأعمال الابداعية، واستخدام كل الأدوات في التعامل مع (النص)، ومنها مناقشة المستويات المتداخلة والمتجاوبة التي تصل بين (المقول) و(الملفوظ النفسي).





عبد السلام المسدي

* *المنهل:*

توجد علاقة جدلية بين النقد والابداع؟ هل استفاد منهما الفكر المعاصر.. كيف ذلك؟.

** بالتأكيد هناك علاقة جدلية، والفكر العربي استفاد كثيرا من هذه العلاقة.. والابداع لابد وأن يسبق النقد و(عملية النقد) هي نفسها (ابداعا) وتشكل محطة هامة في مجال تأسيس (البنية الفكرية).



محمد العروسي المطوي

* *المنهل:*

باعتبارك واحدا من جيل الطليعة الأدبية في تونس اليوم، وقد عشت الحرية والابداع.. أين وصلت مسيرة الأدب التونسي الحديث، ومن هم في نظرك أعلام هذه المدرسة اليوم بعيدا عن الشابي وأترابه؟.

** جيل الطليعة الأدبية في تونس اليوم ممن تركوا آثارا هامة.. كثيرون منهم: محمد العروسي المطوى في (التوت المر)، والبشير بن سلامة في (عائشة) و(عادل) و(علي) ورشاد

الحمزاوى في (طرننو) وعز الدين المدني في جل مسرحياته، وكذلك حسن نصر ورضوان الكوني (في جملة أعمالهما القصصية) ونور الدين صمود كشاعر، والبشير المشرقي كشاعر أيضا والقائمة طويلة.

* *المنهل:* **(القصيدة النثرية هل لها حضور بهذا الحجم الذي تعيشه القصيدة العمودية على الساحة العربية؟..**

** الواقع أن القصيدة العربية الحديثة لازالت في مرحلة البحث عن نمط معين اذا كان لها أن تستقر في النهاية.. ونحن مضطرون في اطار التحويل الشعري المعاصر على أن نعترف بتعددية الأنماط الشعرية.. وبالطبع فالنتيجة تشير الى تعددية واسعة من نماذج (البنى) والقصيدة النثرية هي نمط من الأنماط على أنها في رأيي لا تملك الحضور الذي تعيشه القصيدة العمودية على الساحة العربية.

* *المنهل:*

ينعت جيل الشابي بأنه تجسيد للحيرة والقلق بين اللامبالاة والاحساس المر بالعبث وضرورة الالتزام.. ما هو رأيك؟

** صحيح، جيل الشابي الأدبي جسّد الحيرة، ورأينا هذه الحيرة متمثلة في شعر (أحمد المختار الوزير ومصطفى خريف) وفي خواطر محمد عبد الخالق البشروش، وفي انتاجات البعض من (جماعة تحت السور) وبالخصوص في انتاج الهادى العبيدى، وعلي الدوعاجي.

* *المنهل:*

الحداثة والمعاصرة .. هل لهما من تحديد انطلاقا من القول بأن الحداثة ستار للجهل بتراثنا، وهل هي تعني رفض القديم أم هي تعني أن تأخذ معولك وتهدم الكل لتبدأ من جديد؟.

** المعاجم العربية لم تقدم تفسيرا للحداثة الا باعتبارها نقيضا للقديم، لذلك تعدّدت الشروح لها، وكان فيها الكثير من تغليف التعبير.

وفي اعتقادي أن نازك الملائكة عندما نظمت قصيدة (الكوليرا)، والسيّاب عندما نظم قصيدة «هل كان حباً» لم يخطر ببالهما أن هناك بداية جديدة في تاريخ الفكر العربي على أن مواقف البعض أحدثت شروخا في أذهان الداعين لها ومفارقات أيضا.

والطريف حقا هو أنه حتى نازك الملائكة التي اعتبرت لمرحلة طويلة رائدة الحداثة تنقلب عليها الآراء وتتعرض لسخرية مرة من قبل أقطاب هذه الحركة.. نرى مثلا (أدونيس) في (فاتحة لنهايات القرن) يقول عنها: «إننا في شعر أبي تمام نرى حساسية حديثة ورؤيا فنية حديثة لا تتوفرّان عند نازك».. وأنواع الحداثة تنوعت، ومستوياتها تغيرت على أني أرى أن أحسن تعريف لها: (هي رؤيا جديدة تلامس البنى العميقة في المجتمع.

* *المنهل:*

شعر الشابي كيف احتفظ بشخصيته ووصل العالم في الوقت نفسه بالغا المستوى الانساني الذى يطمح اليه؟.

** لا جدال، الشابي شاعر متفرد وعبقري، وتأكدت شهرته بعد اتصاله بجماعة (أبوللو) وساعد على شهرة الشابي مضامين قصائده، والتيار الرومانسي أيضا.

* *المنهل:*

تأسست (القصيدة النثرية) على أنقاض تجربة الشعر الحرّ (غير العمودي) .. في رأيكم هل استطاعت قصيدة النثر فرض شخصيتها في العالم العربي اليوم، وأين يبدو ذلك من ناحية الشكل والمضمون؟.

** الشعر: هو (ديوان العرب) كما نعلم، والعرب مغرمون بـ (الايقاع)، ويخطىء من يظن

** النقد ابداع إلى جانب ابداع القصيدة.

** الأذن العربية فطرت على الترنيم والتنغيم وهي مقياس القصيدة.



د. نور الدين صمود



نازك الملائكة

أن الشعر العربي لم يعرف تجديدا على مستوى الأوزان والقوافي منذ القديم. ويذكر ابن رشيق في العمـدة «أن أول من ألف الأوزان وجـمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد»، ويذكر المعرى أن قصيدة عبيد: (أقفر من أهلها ملحوب) وزنها يختلف عن الأوزان المعروفة والمتعارفة، يعنى هذا أن حركة التجديد متواصلة، وصاحب (الأغاني) نفسه حكى عن أبي العتاهية قائلا عنه انه اخترع أوزانا جديدة.

إن (القصيدة النثرية) هي قصيدة ذات ايقاع وخاصة عند جبران خليل جبران.. ولكن لا ننسى أن العرب اهتمامهم كان منصرفا الى (الايقاع)، و(الشعر غير العمودي) لا أعتقد أنه سيكتسب (الديمومة) و(الخلود) كقصائد الايقاع الخاضعة لنظام الأوزان، والأوزان تنسجم مع روح البيئة وتمنح الشعر صلاحية للغناء.

* المنهل:

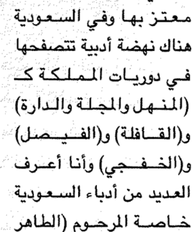
شهد المغرب العربي نهضة فكرية وأدبية.. هل لكم أن تحددوا معالم هذه النهضة؟.

** صحيح المغرب العربي وخلال العشرينيات الأخيرة من هذا القرن شهد نهضة فكرية وأدبية، وتجلت هذه النهضة في الحفر عن المخزون من التراث وفي أعمال أدبية جريئة ومن أعلام هذه النهضة: عابد الجابرى وهشام جعيط، وعبد الكريم غلاب، والحبيب الجنحاني وسواهم.

* *المنهل:*

مدى اطلاعكم على الأدب المشرقي وخاصة السعودي منه؟.

** شخصيا أتابع الحركة الأدبية في المشرق



العربي منذ الثلاثينيات وأنا معتز بها وفي السعودية هناك نهضة أدبية تتصفحها في دوريات المملكة كـ (المنهل والمجلة والدارة) و(القافلة) و(الفيصل) و(الخفجي) وأنا أعرف العديد من أدباء السعودية خاصة المرحوم (الطاهر الزمخشري) والمرحوم (عبد القدوس الانصاري) وحسن عبد الله القرشي وغازي القصيبي وعبد الفتاح أبو مدين وكذلك النوادي الأدبية وما تقوم به من نشاط فكري يرضي النفس ويزكيها خاصة لدى القراء من الوطن العربي.

والحركة الأدبية في السعودية اليوم تتصدر الطليعة في البلاد العربية بما تفرزه من انتاج وبما تساهم به من حضور ودعم للثقافة العربية، وهي رافد حي على وقعه تبني الثقافة السعودية التي تستمد معينها من نبع الثقافة العربية بمفهومها الشامل، وتطلعات الأدباء الى انتاج الحركة الأدبية في السعودية يجعلهم يتسابقون للمزيد من الارتواء من النبع الثقافي السعودي سواء في مجلاتها أو كتبها وصحفها أو اعلامها من شعراء ونقاد ودارسين، عليهم مسؤولية المحافظة على هذا الوقع لتطوير وتنظير المحتوى العام لكل ما يطرح من انتاج في الساحة العربية بوجه خاص.

منظمات دولية:

مجلس الأمن الدولي وحق الفيتو

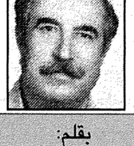
تضم منظمة هيئة الأمم المتحدة U.N ـ كما هو معروف ـ ستة أجهزة هي: الجمعية العامة ـ مجلس الأمن ـ المجلس الاقتصادي والاجتماعي ـ مجلس الوصاية ـ الأمانة العامة ـ محكمة العدل الدولية. ومن أصل هذه الأجهزة الستة التي يختص كل منها بمهام محددة على ضوء ميثاق الهيئة لعام ١٩٤٥، فإن (مجلس الأمن (Security Council) يلعب دوراً مميزاً ليس لأنه الجهاز التنفيذي للهيئة فحسب، بل لأنه الجهاز الوحيد الذي يصدر قرارات ملزمة ويسهر على تنفيذها، وأما الأجهزة الأخرى فإن غالبية مقرراتها هي من نوع (التوصيات Recommanda-tions) التي لا تتمتع بصفة القرارات إلا بصورة استثنائية، ما عدا قرارات محكمة العدل الدولية التي تحتاج بدورها لدعم من مجلس الأمن في سبيل تنفيذها جبراً إذا لم تشأ الدولة أو الدول المعنية تنفيذها.

وقد كان مجلس الأمن يتكون في البدء (١٩٤٥ ـ ١٩٦٥) من أحد عشر عضواً: خمسة أعضاء دائمين هم الولايات الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي وفرنسا والصين، وستة أعضاء من الدول المؤقتة العضوية التي يتم انتخابها من قبل أعضاء (الجمعية العامة) لمدة سنتين.

وفي عام ١٩٦٥ تم تعديل الميثاق لتوسيع أعضاء المجلس بحيث أصبح عددهم ١٥ دولة، وقد بقي عدد الأعضاء الدائمين كما كان، بينما زاد عدد الأعضاء المؤقتين إلى عشر دول بدلا من ست، وبقيت مدة العضوية المؤقتة سنتين كما كانت عليه.

ويتم اختيار هؤلاء الأعضاء المؤقتين بشكل يمثلون ما أمكن بقاع العالم تمثيلا عادلا، وذلك على الشكل التالي: خمسة أعضاء من دول أفريقيا وآسيا (٣ من أفريقيا و٢ من آسيا أو بالعكس)، عضوان من دول أمريكا اللاتينية، عضو واحد من دول أوربا الشرقية، عضوان من دول أوربا الغربية وبقية أنحاء العالم (أوقيانوسية).

وفي بداية كل عام ميلادي تدخل خمس دول جديدة في عضوية مجلس الأمن بعد انتخابها من قبل الجمعية العامة.



بقلم:
أ.د. إحسان هندي
ـ البحرين ـ

والدولة التي تنتهي عضويتها في المجلس لا يجوز إعادة انتخابها مباشرة وذلك لئلا تصبح بمثابة الدولة الدائمة العضوية إذا اتفق أغلبية أعضاء الجمعية العامة على التجديد لها بشكل مستمر: فمثلا المملكة المغربية التي احتلت أحد المقاعد المخصصة للدول المؤقتة العضوية

في بداية عام ١٩٩٢م، كانت آخر مرة شغلت فيها مثل هذه العضوية هي في عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤م.

والغاية من تبديل نصف عدد الدول المؤقتة كل سنة بدلا من تبديلها جميعا في أول كل عامين، هي تأمين استمرار وجود الدول المؤقتة في المجلس، واكتساب الأعضاء الجدد بعض الخبرة من الأعضاء الذين سبقوهم لمدة سنة في العضوية ولازالوا في المجلس.

وأما الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس فهي دائمةالحضور فيه منذ انعقاد أولى جلساته عام ١٩٤٥م حتى اليوم.

وقد كان صك عصبة الأمم (وهي المنظمة الدولية التي كانت قائمة في جنيف قبل هيئة الأمم المتحدة) يقضي بأن الأعضاء الدائمين هم فرنسا وإيطاليا وبريطانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية (التي لم تحتل مقعدها بالفعل لأن مجلس الشيوخ الأمريكي لم يصادق على الانتساب للعصبة)، وكان يجيز إضافة أعضاء دائمين آخرين بموافقة الجمعية العامة (وهكذا تمت إضافة ألمانيا كعضو بعد ذلك)، وأما ميثاق هيئة الأمم المتحدة الحالية فلا يجيز إضافة أي أعضاء آخرين دائمين إلا إذا تم تعديل الميثاق كي يسمح بذلك علما بأن التعديل المطلوب يستوجب موافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة (١٢٢ من ١٨٣ دولة بالعدد الحالي)، وبشرط أن يكون الأعضاء الخمسة الدائمون حالياً (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا ، بريطانيا، فرنسا، الصين) من الأعضاء الموافقين على التعديل.

وإذا كان من الممكن تدبير موافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة على التعديل، فإن إقناع الدول الخمس الدائمة العضوية بأن تكون من ضمن الموافقين هو أمر صعب وشبه مستحيل لأن هذه الدول الخمس التي تقود العالم عبر مجلس الأمن، لا تريد شركاء جدداً لها في الغالب، ولكن الصعب قد يغدو ممكناً إذا تمكن المرشحون لدخول العضوية الدائمة من إقناع الأعضاء الدائمين الخمسة الحاليين، وقد يضطرون في سبيل ذلك للتلويح ببعض الصفقات الاقتصادية والسياسية، وخاصة بعد أن وافقت الجمعية العامة في دورتها الحالية على فكرة تعديل الميثاق في سبيل زيادة عدد أعضاء مجلس الأمن.

دولة واحدة تسفه رأى ١٤ دولة بحق الفيتو

والدول المرشحة لاحتلال العضوية الدائمة إلى جانب الأعضاء الدائمين الخمسة الحاليين - هي ألمانيا وإيطاليا واليابان ، على أساس أنها كانت لها عضوية دائمة في مجلس عصبة الأمم السابقة للهيئة (١٩٢٠ - ١٩٣٩)، والهند ونيجيريا والبرازيل وأوستراليا على أساس أن كلا منها هي الدولة الأكبر في القارة التي تمثلها .

وفي حال زيادة عدد أعضاء مجلس الأمن الدائمين فإن ذلك سيستتبع حتماً زيادة الأعضاء المؤقتين وتعديل النصاب الخاص باتخاذ القرارات، بل وإن البعض يتنبأ بالوصول إلى حل وسط يتم فيه إدخال خمس من الدول كأعضاء دائمي العضوية جدد، ولكن بدون أن يمنحوا حق الفيتو الذي سنتكلم عنه في نهاية هذا المقال.

وكل دولة من الدول الأعضاء في مجلس الأمن الحالي سواء أكانت من الدول الخمس الدائمة العضوية، أم من الدول العشر ذات العضوية المؤقتة، لها صوت واحد في المجلس، ولكن الأصوات ليست متساوية في التأثير كما سنشرح بعد قليل.

وتكون رئاسة المجلس بالتناوب الشهري بين الدول الأعضاء بحسب تسلسل أسمائها باللغة الإنجليزية وبما أن مدة العضوية للدول المؤقتة هي سنتان (٢٤ شهراً) وعدد الدول الأعضاء هو ١٥،

لذا فإن كل دولة مؤقتة العضوية تستلم رئاسة المجلس مرة على الأقل ومرتين على الأكثر خلال مدة عضويتها فيه.

ومجلس الأمن على عكس الجمعية العامة، هو مجلس دائم الانعقاد، يجتمع بناء على طلب من رئيسه بشكل دوري مرة على الأقل كل أربعة عشر يوماً في الظروف العادية، كما يمكن أن يُدعى المجلس إلى الاجتماع من قبل رئيسه بشكل مفاجيء في أي ساعة من ساعات الليل والنهار، وذلك بناء على طلب من أحد أعضاء المجلس الدائمين أو المؤقتين، أو طلب من الأمين العام للهيئة، أو بناء على شكوى رسمية تقدمت بها إحدى الدول الأعضاء في الهيئة إلى رئاسة المجلس.

ويحق للدول غير الأعضاء في المجلس حضور جلساته إذا كانت طرفاً في النزاع المعروض عليه، أو إذا كانت تتأثر بالقضية المعروضة عليه بشكل مباشر، ولكن في جميع الأحوال يحق لها عرض رأيها دون الاشتراك في التصويت.

مراجعة نظام الفيتو ضرورة ملحة

ويتخذ المجلس قرارته جميعا (التي يتم تحضيرها غالباً عبر اجتماعات إيجابية على الأقل، من أصل أصوات الأعضاء الخمسة عشر (أي بنسبة ثلاثة أخماس)، ولكن يجب التمييز هنا بين (القضايا الإجرائية) و(القضايا الموضوعية).

في القضايا الإجرائية:

مثل إدراج مسألة معينة في جدول الاعمال أو حذفها منه، دعوة دولة غير عضو في المجلس للاشتراك في مناقشاته بدون حق التصويت، عقد اجتماعات دورية داخل المجلس أو خارجه، وقف أو تأجيل اجتماع معين.. تكون الأغلبية المطلوبة تسعة أصوات على الأقل من أصل خمسة عشر صوتاً بدون أي تمييز بين أصوات الدول الدائمة العضوية أو المؤقتة العضوية.

وفي القضايا الموضوعية:

مثل قبول دولة جديدة في عضوية الهيئة، تعيين أمين عام جديد، إنتخاب قضاة جدد لمحكمة العدل الدولية، إرسال قوات حفظ سلام إلى مكان معين في العالم، القيام بعمل تأديبي ضد دولة تهدد السلام والأمن الدوليين، تكون الأغلبية اللازمة هي تسعة أصوات بمن فيهم أصوات الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس.

ومعنى هذا أنه إذا عارضت واحدة من هذه الدول الخمس مشروع قرار ما لعدم ملاءمته لمصلحتها الخاصة، أو لمصالح حلفائها، فإن هذا المشروع يسقط كأنه لم يكن حتى لو وافق عليه الأعضاء الأربعة عشر الباقون جميعا. ويسمى هذا الحق الممنوح للدول الخمس الكبرى الدائمة العضوية، بإبطال مشاريع القرارات التى لا تناسبها باسم (حق الڤيتو Veto) وهو ما يقابل بالعربية (حق النقض) لأنه ينقض مشروع القرار من أساسه.

وقد قبلت الدول الصغرى عند صياغة ميثاق هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ (وكان عددها ٤٦ دولة فقط) بمنح الدول الخمس الكبرى هذا الامتياز كمكافأة لها على دورها في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور، وذلك بعد تعهد مندوبي الدول المذكورة بعدم استخدام هذا الحق (الڤيتو) إلا ضمن أضيق الحدود، ولكن الدول الخمس الكبرى بدأت باستخدام هذا الحق على مستوى واسع، بل إنها أساءت استخدامه أحياناً، وهذا ما جعل الدول الصغرى تلجأ إلى بعض التدابير ومنها التالية:

١ ـ استصدرت قراراً من الجمعية العامة بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٤٩م يوصي الدول الدائمة العضوية في المجلس بعدم استخدام حق الڤيتو إلا ضمن حدود ضيقة.

٢ ـ تمكنت من إقرار قاعدة شبه عرفية في

مجلس الأمن وتقضي هذه القاعدة بأن غياب عضو دائم العضوية عن حضور الجلسات، أو حضوره ثم امتناعه عن التصويت، لا يعتبر بمثابة ممارسة منه لحق النقض (ڤيتو) ضد القرار الذي تمت الموافقة عليه حسب الأصول من بقية الدول الأعضاء، وذلك بالرغم من أن التفسير الحرفي للمادة ٢٧ من الميثاق يقود إلى مثل هذا الاستنتاج. وهكذا فإن غياب مندوب الاتحاد السوفياتي عن حضور جلسة القرار الخاص بالتدخل في كوريا عام ١٩٥٠ لم يحل دون متابعة المجلس لعمله واتخاذه قراراً خاصاً يبيح هذا التدخل. كما أن امتناع مندوب الصين الشعبية عن التصويت على القرار الخاص باستخدام القوة ضد العراق لحمله على الانسحاب من الكويت، في أواخر عام ١٩٩٠، لم يحل دون تبني هذا القرار واكتساب التدخل صفة الشرعية.

والحقيقة أن حق الڤيتو يحمل من المساوئ أكثر بكثير مما يحمل من المحاسن: فإذا كان يُمكن - بشكل غير مباشر - من المحافظة على السلام أحياناً بتمكين دولة كبرى من الدول الخمس من تحقيق مصالحها عن طريق استخدام هذا الحق أو التلويح باستخدامه بدلا من اللجوء إلى القوة أو التلويح باستخدامها، فإن الڤيتو يخرق قاعدة أساسية من القواعد التي قام عليها القانون الدولي وهي قاعدة (تساوي الدول من حيث الحقوق والواجبات). ويكفي في هذا المجال أن نعرف أن الدول ذات العضوية المؤقتة في مجلس الأمن تحتاج لسبعة أصوات منها للوقوف في وجه مشروع قرار والحيلولة دون إقراره (إذا وقفت سبع منها ضد المشروع لا يكفي عدد الأعضاء الباقين - وهو ثمانية - لإقراره حتى لو كان الأعضاء الخمسة الدائمون بين هؤلاء الثمانية)، بينما يكفي صوت دولة واحدة من الدول دائمة العضوية لإسقاط مشروع القرار وكأنه لم يكن إذا استخدم مندوب هذه الدولة في المجلس حق الڤيتو.

وفيما يتعلق بطريقة التصويت فإنها تتم عن طريق رفع الأيدي بناء على سؤال يطرحه رئيس المجلس بالصيغ الثلاث التالية:

- من هي الدول الأعضاء الموافقة على القرار؟
- ومن هي الدول المعارضة للقرار؟.
- ومن هي الدول الممتنعة عن التصويت؟.

«الفيتو» أصبح سيفاً على رقاب الضعفاء

وفي حال سقوط مشروع القرار لعدم حيازته على عدد الأصوات المطلوبة (تسعة أصوات بمن فيهم أصوات الأعضاء الدائمين) أو لأن مندوبي إحدى الدول الدائمة العضوية استخدم حقه في الڤيتو ضده، فإنه يعتبر كأنه لم يكن.. وأما في حالة إقراره فيعلنه رئيس المجلس كقرار رسمي لمجلس الأمن ويأخذ رقماً مسلسلا،

وقد بلغ عدد القرارات التي تم اتخاذها في المجلس حتى تاريخ كتابة هذه السطور حوالي (٨٧٠) قراراً. وأهم هذه القرارات بالنسبة لنا نحن العرب القرار رقم ١٨١ القاضي بتقسيم فلسطين والقرار ٢٤٢ بشأن تسوية مشكلة الشرق الأوسط بعد حرب ١٩٦٧، والقرار ٣٣٨ حول الموضوع نفسه بعد حرب ١٩٧٣، والقرار ٤٢ الخاص بوجوب انسحاب اسرائيل من الجنوب اللبناني المحتل، والقرارات ٦٦٠ - ٦٧٨ الخاصة بردع العراق ووجوب انسحابه من الكويت.. ومن المفروض مبدئيا أن تتمتع جميع القرارات التي يصدرها مجلس الأمن بقوة إلزامية متساوية بحيث يستخدم المجلس سلطته المعنوية وقواته المادية إذا لزم الأمر (بموجب الفصل السابع من الميثاق) لتنفيذها جميعا، ولكن الواقع الدولي يثبت أن هذا التنفيذ مرهون بعلاقات القوى السائدة في المجتمع الدولي، بحيث أن بعضها ينفذ، وبعضها الآخر يبقى حبراً على الورق لا أكثر، كما هي الحال في القرارات الصادرة بخصوص حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى بلادهم على سبيل المثال لا الحصر.



١٠٠

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقريء الملامح ويرسم اللوحة



مشاهدات من فيتنام



في هذا العدد من

السائح


كرن









...فال الأمم



«المملكة التي لا تغيب عنها الشمس» .. هكذا كان اسم دولة بريطانيا، أيام امتداد مستعمراتها في كل الاتجاهات.. بريطانيا أو انجلترا، رحل اليها كثير من أبناء تلك المستعمرات وأصبحت لهم مكان اقامة دائمة.

هذه الشعوب الوافدة من كل الجنسيات واللغات والألوان، بل من كل الثقافات والتوجهات الحضارية شكلت لنفسها مهرجاناً سنوياً عرف باسم (كرنفال نوتينج هيل).. كرنفال يحضره اكثر من مليون شخص، فيه تعرض هذه الشعوب كل ألوان ثقافاتها واعرافها وتقاليدها، في الازياء، والالعاب والرقص والموسيقى.

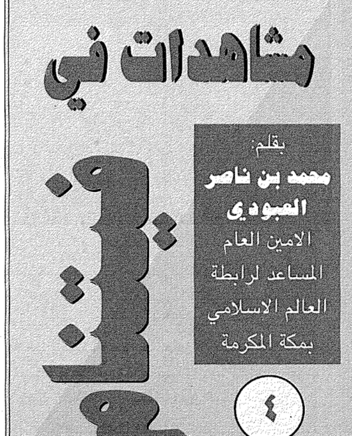
هذا الكرنفال حقيقة يمكن أن نسميه (العالم بين يديك) فنون افريقيا وآسيا وأوروبا شرقها وغربها، فنون الكاريبي والباسيفك، فنون الهند والسند..

انه رقصة الأمم وفنون الامم..

وهذه الصور تغني عن الحرف..

السياحة، قراءة ذكية للشعوب ، عاداتهم ، أعرافهم ، تقاليدهم ، في المسكن والملبس والمأكل٠٠ في السلوك والمعاملات ٠٠ في الجماعات والافراد٠ في أديانهم وعقائدهم وطقوسهم ٠٠ كل ذلك يعطي صورة حقيقية عن طبائع البشر ومعطيات حياتهم٠

هذه حلقات متتالية للأستاذ العبودي، مشاهدات وقراءات وتأملات في شعب فيتنام٠



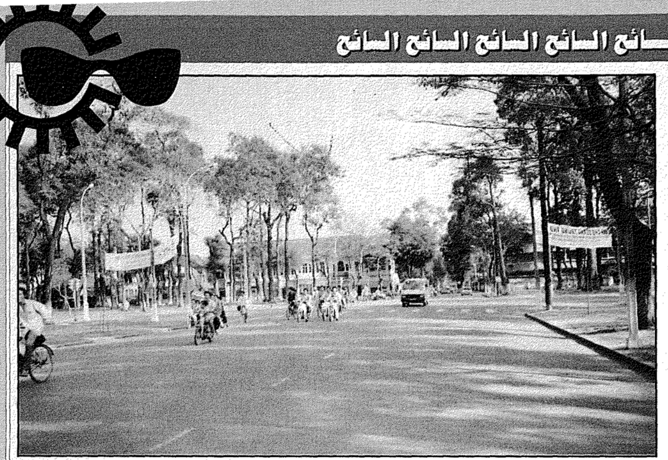
غادرنا الفندق قبيل الخامسة فجراً بعد أن دفعنا الأجرة ٤٩ دولاراً لليلة الواحدة، ومثله في أوروبا بأكثر من ضعف هذا المبلغ مع أن معاملة أهله من عمال ومديرين من أرقى أنواع المعاملة وأسهلها، فعلى سبيل المثال عندما دفعنا المبلغ قبل الخروج لفتاة كانت قرب الصندوق لم تسألنا حتى السؤال التقليدي عما إذا كنا قد أخذنا شيئا من الثلاجة الصغيرة الموجودة في الغرفة، مع أن الوقت ليل لم يدخل فيه الغرفة أحد من عمال الفندق بعدنا٠

وذكرت بهذه المناسبة بعض الفنادق في دول متخلفة وكيف يرسلون موظفاً يعد ما في الثلاجة رغم نفي النزيل أنه قد أخذ منها شيئاً٠

ذهبنا إلى المطار للسفر إلى هانوي العاصمة فكان الأمر على مثل ذلك من السهولة واليسر أو أكثر منه ، فكانت السرعة في الاجراءات وعدم التعقيد إضافة إلى أنه زاد معنا وزن في الأمتعة فتجاوزوا عنه٠

كما أن التفتيش من أجل الأمن كان يتسم بالضبط والسهولة فبطاقة الصعود إلى الطائرة مسجلة على الحاسب الآلي لابد أن تتأكد منها الموظفة ولكنها تفعل ذلك بسرعة، وكذلك تفتيش حقائب الأيدي والأبدان يتم بالكهرباء من عيون صغيرة فاحصة٠

والشيء اللافت للنظر أكثر من غيره رخص البضائع المعروضة في قاعة المغادرة رخصاً لا يصدق، حتى الأقلام المستوردة يبيعونها فيها أرخص من سعرها عندنا، وهذا شيء لم أره في غير هذه البلاد، فمثلا شربنا كأساً من القهوة جاؤوا بالسكر لها في أكياس ورقية صغيرة



ـ أحد الميادين الكبيرة في هوشي منه أمام مبنى رئاسة الجمهورية.

معتادة، وتقاضوا قيمة الكأس ألف دونغ، أي أن الدولار الواحد فيه ١٤ كأساً من القهوة، أو بعبارة أوضح أن أربعة عشر شخصاً يستطيعون أن يشربوا كلهم القهوة بدولار واحد مع أنها في مقهاة المطار التي تكون غالية في العادة، بحيث يحتاج الشخص الواحد إلى دولارين لشرب مثل هذا الكأس.

وبسبب هذا الرخص المتناهي عندهم جرؤنا على القول بأن نقودهم فيها بركة عظيمة، إذ كان الواحد منا يصرف دولارات قليلة فيأخذ عوضاً عنها نقوداً من نقودهم تملأ جيوبه، ويظل ينفق منها زمناً يخيل فيها أنها أكثر مما كانت عليه.

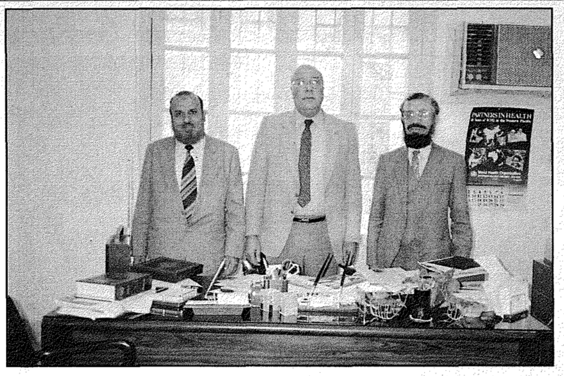
وقد لاحظت في هذه البلاد الشيوعية شيئاً لم أره في غيرها من البلدان الشيوعية، وهو أن العاملين وبخاصة العاملات في المحلات العامة كالمطارات والفنادق يبتسمون للضيف الذي يتعامل معهم، وهو أمر معدوم في البلدان الشيوعية التي رأيتها كلها أو أكثرها سواء في أوروبا أو في آسيا وإفريقية.

وإذا أضيف إلى هذا الرخص في الأسعار وحُسن المعاملة من الناس، الأمن الجيد الموجود في البلاد كان ذلك مما يجعل هذه البلاد جنة للسائح الغريب الذي تجذبه المعرفة والإطلاع أكثر مما يجذبه الهوى والاستمتاع.

الى هانوي :

ليس ما يجمع بيننا وبين (هانوي) من دين أو عقيدة أو مبدأ، ولا ما يشدنا إليها من ثقافة مشتركة أو تاريخ مذكور أو رابطة لغوية، ولا حتى من مصالح مالية أو اقتصادية، ولا ما يقربنا إليها من دار أو جوار.

وكل هذه الأشياء تُقَرِّب وقد تورث الحب أو القرب، ولكن ذلك كله لا يمنعنا من أن نظهر مشاعرنا التي كوناها عن هذه المدينة الباسلة (هانوي)



- صورة تجمع بين الاستاذ العبودي من اليمن والاستاذ مصطفى أبو شنب سفير جمهورية مصر العربية في هانوي.

تحكم لها بما استحقت به أن تسمى (مدينة البطولات).

حتى لو كان ما بيننا وبينها بغضاً من البغض فإنه لن يمنعنا من قول الحق الذي منه أنها (مدينة بطولات)، قال الله تعالى: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى}، ومعنى لا يجرمنكم. لا يمنعنكم. والشنآن: البغض، والعدل منه العدل بالقول وهو أن لا يمنعك لمن تبغضه عن أن تذكر ما يكون له من محاسن.

ونحن لا نبغض الشعب الفيتنامي. وإن كنا نبغض النظام الشيوعي الذي تسير عليه حكومته.

وعلى أية حال فإننا مثل غيرنا من المنصفين لا يسعنا إلا أن نقدر الشجاعة العظيمة التي أبداها هذا الشعب وهو يقاتل مدة أربعين سنة قوى تفوقه أموالا وعدداً وسلاحاً إلى أن انتصر عليها فهزمها شر هزيمة مما جعله مثلا للشعوب التي تكافح قوى أعظم منها عدداً وعدة.

ومما جعل عاصمته (هانوي) تعد بحق (مدينة البطولات).

ومن العادات الإنسانية أن الناس يتشوقون إلى رؤية أماكن الحوادث الكبيرة والوقائع المذكورة وحتى مواقع الانتصار في الحروب.. وذلك ما جعلني في شوق عظيم إلى رؤية مدينة هانوي..

من هوشي منه إلى هانوي :

ولو قلنا كما كان الناس يقولون قبل اتحاد فيتنام (من سايقون إلى هانوي) لكنا كمن يجمع بين النقيضين في السياسة والاتجاه، ذلك أن سايقون في ذلك الوقت كانت تمثل الطرف المعادي للشيوعية المتعاون مع الغرب ضدها إلى

درجة الحرب، وأن هانوي كانت تمثل الطرف الشيوعي المعادي للرأسمالية المتعاون مع الاتحاد السوفيتي ضدها إلى درجة الحرب.

ولكن الأمر مختلف الآن ففيتنام كلها أصبحت واحدة منذ سنين و(سايقون) نفضت عن نفسها لقب العاصمة، لتنفرد به (هانوي) منذ ذلك الحين. و(هانوي) نفسها صارت تبحث عن الأموال والأعمال عند أعدائها السالفين، والله أعلم بما في الغيب من السر الدفين.

غادرت طائرة الخطوط الجوية الفيتنامية مطار (هوشي منه) في السادسة و٣٧ دقيقة صباحا متأخرة عن موعد قيامها المحدد في الأصل بـ ٧ دقائق.

وهي من طراز توبوليف ١٣٤ الروسي النفاث مثل التي قدمنا عليها من بانكوك إلى هوشي منه. وهي مليئة بالركاب إلا أنها ليست كبيرة وإنما تشبه طائرة د.س.٩

وحالما ارتفعت في الجو تجلت لنا طبيعة الأرض الفيتنامية الخصيبة الكثيرة المياه والأنهار والخلجان العديدة الداخلة في الأرض، ثم ارتفعت فصارت الشخوص على الأرض من ذلك الارتفاع تضمحل وتنماع كما تنماع الشخوص في ظلام الأحلام.

فجاءت المضيفات بالضيافة في علبة من اللدائن الصافية الجميلة فيها طعام الإفطار الجيد لولا أن جودتها قد شانتها شريحة حمراء من لحم الخنزير، وكان ختامه شاياً فيتنامياً يشبه الشاي الصيني في كونه لا يقربه سكر، ولونه بين الأخضر والأحمر.

وكان الطيران مريحاً هادئاً، وهذه صفة عرفتها من الطائرات السوفيتية في الرحلات الطويلة والقصيرة داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه.

في مطار هانوي :

تدنت الطائرة، وبدت المنطقة قبيل النزول تشبه منطقة (هوشي منه) من كثرة المياه، وتعدد الأنهار، إلا أن الريف فيها أقل تنظيماً فمثلا الطرق الريفية التي نراها من الطائرة هي ترابية بخلاف أكثر الطرق حول هوشي منه فإنها (ازفلتية).

وهناك فرق آخر وهو مياه الأنهار ومجامع المياه التي نراها الآن تبدو حمراء وكأنما هي مياه الفيضان رغم كون الفصل فصل جفاف وذلك ناشيء عن كون التربة الريفية التي تحف بالمياه طينية حمراء اللون.

وهذه بيوت الريف التي نراها من الطائرة هي أقل وجاهة، وأصغر حجماً، وأردأ منظراً من البيوت في ريف (هوشي منه).

والشيء الآخر الذي يشبه ريف (هوشي منه) هنا هو أحواض الأرز الكثيرة ما بين حصيد أصفر اللون وأخضر ريان الخضرة، وغارق في المياه لكونه في أول بذره.

وهذا يفسر كثرة إنتاج الأرز ورخصه رغم كونه الغذاء الرئيسي للشعب، ويتناوله الناس هنا ثلاث مرات في اليوم أي في الوجبات الثلاث.

والأشجار في الريف قليلة لأنهم قطعوا أكثرها، من أجل حقول الأرز، وبدت قرى ريفية أو تجمعات سكنية تبدو عليها الحاجة والفقر، ثم هبطت الطائرة في مطار (هوشي منه) في

الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين بتوقيت فيتنام كلها، وهذا يعني أن الطيران استمر ساعة وخمسين دقيقة.

كان الجو غائماً بارداً بالنسبة إلى جو (هوشي منه). بل إنه أبرد منه بكثير، والناس في المطار عليهم الملابس الثقيلة.

ويقع المطار في منطقة ريفية خالصة، خالية من المنازل بخلاف مطار هوشي منه الذي تقرب منه المنازل، بل إن محلة سكنية قديمة تقع بقربه تكاد تكون ملاصقة له.. أما مدرج المطار فإنه مربعات من الإسمنت المسلح لا يظهر عليها الزفت، وأما العشب والنبات البري حول المدارج فإنه أقل منه في (هوشي منه).

وعندما لامست قدمي أرض هذا المطار أرض البطولات التي أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عليها وعلى ما حولها ملايين الأطنان من المتفجرات والمواد المهلكة حتى المحرمات الدولية ولم تلن لها قناة ولا انحنت لها هامة، قلت: إنها أرض تستحق الاحترام.

وقد سرنا إلى قاعة الوصول سيراً على الأقدام، فالمطار قديم وهو أيضاً صغير بالنسبة إلى مطار هوشي منه الواسع.

وحتى قاعة الوصول هي صغيرة ولم نمر بأية اجراءات لكون الرحلة داخلية وفيها سير متحرك واحد قصير، يشبه سيور الأمتعة في الهند.

بعد أن تسلمنا أمتعتنا تلفتنا حولنا نبحث عن مكتب للفنادق في قاعة الوصول فلم نجد إلا مكتباً صغيراً عليه رجل واقف مكتوباً عليه أنه مكتب للسياحة، فسألناه عن الفندق فلم يسرع إلى اخبارنا به، وإنما قال: أتريدون سيارة أجرة؟ فسألناه عن الأجرة إلى داخل المدينة فقال: هي خمسة وعشرون دولاراً.

ونظراً لكوننا لا نعرف المسافة إلى الفندق ولا الأجرة تركناه رغم إلحاحه، ووجدنا مكتباً لتأجير سيارات الأجرة وليس لتأجير سيارات (التاكسي) فلم نر هنا ولا في هوشي منه شيئاً منها، وعلى المكتب امرأة قالت: إن الأجرة عشرون دولاراً، وتبين أن الرجل في مكتب السياحة أراد أن يكسب منا خمسة دولارات وهي مبلغ ضخم في هذه البلاد بالنظر إلى قلة رواتبهم، وضعف دخولهم.

ولكن المرأة استمرت فترة تعمل لنا، فأحضرت أوراقاً من عدة صور كتبت عليها عقداً وقعناه نحن ووقعته هي، مع أننا لم نطلب ذلك، بل كنا مستعجلين رؤية مدينة هانوي.

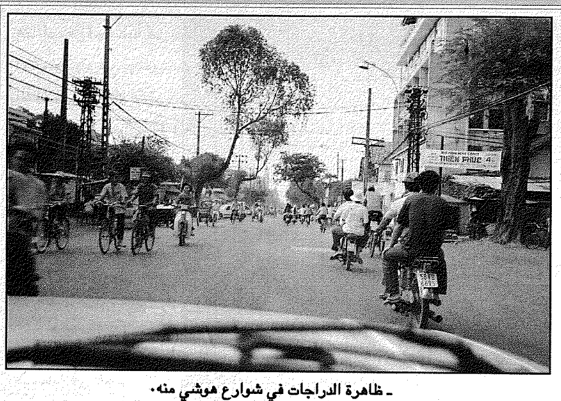
وجدنا السيارة حافلة سياحية صغيرة جديدة من صنع ياباني وسائقها شاب فيتنامي أنيق اللباس، نظيف المظهر، وليس فيها أحد معنا، وتبين لنا أنهم لم يغبنونا الصفقة إذ المسافة من المطار إلى المدينة ٤٧ كيلو متراً وعشرون دولاراً لسيارة خاصة لهذه المسافة الطويلة ليست كثيرة على سياح أجانب.

في فيتنام الشمالية :

رغم توحد فيتنام ما بين شمالها وجنوبها فإن تقسيمها إلى شمال وجنوب يظل قائماً من حيث التعريف، لأنها بلاد ممتدة من الجنوب إلى الشمال، ولذلك صارت توجد فروق بين الشمال والجنوب وأهم ما يلحظه القادم الغريب مثلنا أن الجنوب أكثر عمارة وأحسن تخطيطاً وتنظيماً

وطرقه أجود ومنازله أرحب وحتى الزراعة فيه أرقى.

إضافة إلى الجو الشبيه بالاستوائي في الجنوب والبارد في هذا الفصل الشتوي في الشمال، سرنا مع طريق ريفي غير جيد الزفلتة، ولا واسع العرض، فمررنا بعد مفارقة المطار بقليل بقرية ريفية تتألف منازلها من قسمين أحدهما قديم مبنى من الآجر ومسقف بالصفيح، والثاني حديث مبني من لبن الإسمنت وسقوفه من الصفيح أيضاً.



ـ ظاهرة الدراجات في شوارع هوشي منه.

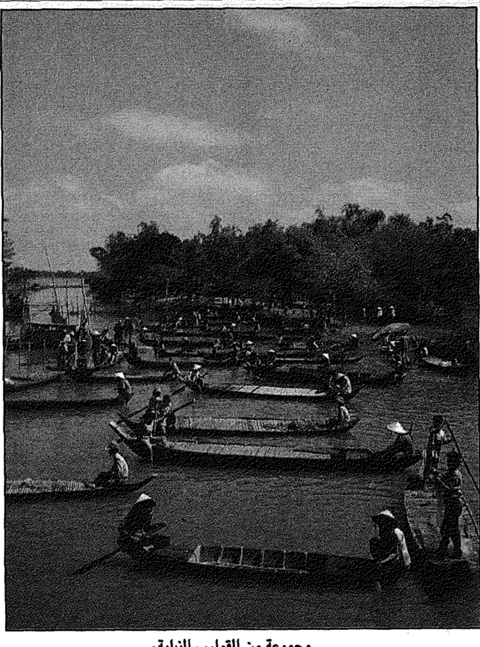
والجامع بين القسمين هو الضيق الشديد في مساحة البيوت حيث لا يكاد البيت الواحد يزيد عن غرفة واحدة، إلا أنه تكون له في بعض الأحيان مقدمة مسقوفة بعرضه لا تزيد في العادة على ثلاثة أمتار ولا يزيد عمقها على متر أو مترين.

ولاحظت أن المياه المستعملة المسماة بالمجاري تصب في قناة ومجرى للماء، يمر بالبيوت وتصب فيه فضلات كل بيت، ثم يذهب إلى أماكن منخفضة، مثلها في ذلك مثل معظم المدن والقرى الاستوائية المطيرة، غير المتطورة، حيث يكون أمام البيوت حتى في شوارع المدينة قنوات للمجاري تأتي الأمطار الغزيرة، فتساعد على تصريف ما قد يبقى فيها من فضلات، ويكون ذلك لها بمثابة الغسل، ولكنه غسل غير منق.. والمنطقة ريفية خالصة تحف بها مزارع الأرز وغيره من الخضروات.

أما السيارات التي تسير في طريق المطار هذا وهي تتجاوز المطار إلى غيره، فإنها كلها من سيارات العمل كالناقلات والحافلات، وسيارات الركوب الخاصة لا توجد أو لا تكاد توجد.

ومر الطريق فوق نهر صغير لم يذكر لنا السائق اسمه مع أنه يعرف قدراً من الإنكليزية، ولا شك في أن مرد ذلك إلى كونه لا يعتبر أن معرفته لهذا النهير ذات بال مع وجود الأنهار الكبيرة الضخمة في بلاده، ثم مررنا بمجمع آخر للبيوت الريفية وهي صغيرة وخيل إليَّ أن الناس

هنا أصغر أجساماً من اخـــوانهم في جنوب البلاد، وأن أولئك أكثر جـمـالا منهم مـا عـدا الألوان فـالبيـاض هنا أغلب على النـاس، إلا أنه تبين من مـلاحظة أشكـال الـنـاس فـي المدينة فـيـمـا بعـد أن مظاهر نقص التـغـذية هنا أكـثـر ظهـوراً مما هي عليه في الجنوب.



ـ مجموعة من القوارب النيلية.

ثم مـررنا بقـرية أخرى أكثر ما فـيـهـا وضـوحـاً عدم النظافة في شـوارعـهـا، وفي مـلابس أهلها، وبيوتها رديئـــة من ذلك أن مقدمات البيوت فيها من الخشب والقش.. وكل ذلك في طريق المطار الوحيد الموصل إليه الذي يراه الزوار والسيـاح من الأجانب وغيرهم.

برك الأسماك :

مما يميز البلدان المطيرة في كثير من بلدان العالم التي تأتي الأمطار إليها في مواعيد لا تكاد تتأخر عنها أنهم تكون لديهم برك يربون فيها الأسماك، وهي برك كالمستنقعات الطبيعية في الارض المعتادة، أي أنها لا تبنى لها ا لبرك بناء.

ويمنع مـاءها من النفاد في أيام الجفاف كون الماء في جـوف الأرض ثابتـاً لا ينزل عن مـقدار معين قريب من سطح الأرض.

وقد رأيت ذلك في جنوب فيتنام وهو هنا ظاهر يراه المرء من الطريق، ولا يعجب إذا كان مثلي يعرف أن غذاء القوم الرئيسي هنا هو من الأرز والسمك.

ثم مررنا فوق نهر كبير تجاوزه الطريق

فرأينا البضائع المعروضة للبيع على الطريق أكواماً من الفحم، وخشباً للوقود يباع في مقادير متفاوتة فهم قد قسموه إلى مقادير مختلفة. ثم وقعنا في ريف خالص خال من البيوت ولاحظنا على النساء القبعات الفيتنامية الشهيرة التي تبدو مقعرة قليلا كأنها غطاء الطبق وهي واسعة إلا أنها أضيق من قبعات التايلنديات التي تبدو متساوية غير مقعرة إلا موضع دخول الرأس في وسطها.

ومررنا بمصنع للآجر وهو الفخار، وكان المنتظر أن تتعدد مصانع الآجر هنا لوجود التربة الطينية التي تجلبها مياه الأنهار، ولصعوبة الحصول على الإسمنت في البلاد.

أما الطريق فإنه ضيق لا يكاد يتسع لمرور سيارتين متقابلتين فكانت السيارتان إذا تقابلتا لابد أن تهدىء إحداهما من سيرها كي تأمن الإصطدام.

ثم اجتاز الطريق قرية ريفية أخرى، لم أجد عند سائق السيارة استعداداً لكي يخبرني من أمرها بما لا أعرفه، لاحظت أن فيها عدداً من النساء اللاتي جلسن يبعن على الطريق بضاعة مزجاة من الخضروات أكثر ما فيها ظهوراً الكرنب ونحوه.

ولاحظت هنا أن أشجار (البامبو) كثيرة نامية، وهي أشجار ذات قضبان كالخيزران إلا أنها غليظة تستعمل في كثير من البلدان المطيرة مثل بنغلادش وبورما لبناء البيوت الخشبية، وهي لا تعمر طويلا، ولكنها سهلة التكيف.. ثم مر الطريق فوق جسر على نهر ثالث متوسط السعة يشق ريفا أخضر أكثر ما فيه هو المنظر المتكرر من حقول الأرز وبعض الخضروات.. كما تكررت رؤية البيوت الريفية التي تبين أنها هي البيوت الأكثر شيوعا في البلاد وهي المؤلفة من غرفة واحدة وتكون مسنمة السقف لتنزلق عنها مياه الأمطار.. ولاحظت كثرة الخضروات التي تعرض للبيع على الطريق وأغلبها من الفاصوليا والكرنب.

بلدة سالم :

وصلنا بلدة متوسطة الحجم ظننتها من ضواحي مدينة هانوي ثم تبين أنها بلدة مستقلة عندها جسر على نهر متوسط. وبيوتها رديئة المظهر جداً. وبيوتها القديمة من الخشب وكذلك مقدمات البيوت الحديثة، وقد رأينا أخشاباً مشقوقة كثيرة تباع من أجل أن تستعمل في بناء المنازل، وتبعد هذه البلدة عن هانوي ٧ كيلومترات.

وأما البيوت الحديثة في هذه البلدة فإنها من لبن الإسمنت ولكنها في صغرها مثل القديمة، وتكثر القدمات أمام البيوت فيرى المرء مقدمة لا تزيد مساحتها في المتوسط عن ستة أمتار أو ثمانية أمام البيت الذي هو غرفة واحدة في الأكثر، وقد يكون طبقتين على هذا الشكل.

وهذا طراز لهم في البناء قديم، فقد رأينا البيوت القديمة عندهم لها مقدمات أشبه بالمظلات أمامها ولا شك في أنها ضرورية لوقاية واجهة البيت من المطر الكثير ومن الشمس الحارقة في الصيف ولكن الشيء الغريب أن يكون البيت

نفسه من الآجر والإسمنت ومظلته التي أمامه من الخشب أو القش.

ورأينا أكوام الفاكهة معروضة للبيع في سوق هذه البلدة الذي هو طريق المطار إلى مدينة (هانوي) ومن أكثر الفواكه هنا ظهوراً الموز والمندرين وهو اليوسفي.

أما المواصلات هنا - فإنها الدراجات الهوائية المعتادة، وأما الدراجات النارية فإنها قليلة والمراد بذلك ما رأيناه في هذه البلدة التي تسبق العاصمة بسبعة كيلو مترات.

وقد رأيت هنا أشياء كثيرة ذكرتني بما رأيته في جنوب الصين منها: أشكال الناس على البعد وأحجامهم التي لا تبعد كثيراً عن أشكال الناس في جنوب الصين مثل أهل مدينة كانتون التي يسميها الصينيون (قوانغ تشو) إلا أن المرء إذا أمعن النظر من القرب فيهم وجد أنهم هنا أصغر أجساماً، وأقل وجاهة في عين الناظر الغريب. ومن ذلك كون الدراجات المعتادة هي أكثر المواصلات لسائر الناس، إلا أن المنازل في الصين جيدة المظهر واسعة المساحة خلاف ما هي عليه هنا.

والغريب أن لون التربة هنا ليس بهيجا فهو أغبر يميل إلى لون الرماد رغم مظهر التربة الطيني الذي يدل على الخصب، وكثرة الأنهار والمياه.

كما رأيت في أطراف البلدة أبنية متعددة الطوابق (عمارات) مما تبنيها الحكومات الشيوعية للإسكان العام ولكنها هنا صغيرة ومتطامنة، ولا ترقى إلى مثيلاتها في البلدان الشيوعية الأوروبية، ولا حتى في الصين الشيوعية.

واسم هذه البلدة (سالم)، ولا شك أنه لا علاقة له بالعربية، وإنما وافق لفظه هذا اللفظ العربي الأصيل، وقد ودعتنا هذه البلدة بشيئين:

أولها:

مستنقع من الماء في خارجها مما يلي هانوي.

الثاني:

بوابة عليها موظفون يتقاضون رسم المرور من الطريق إلى المدينة ومنها سيارتنا التي دفع سائقها الرسم وقدره ٣ آلاف دونغ ويساوي أقل قليلا من ربع دولار، وقال: هذا رسم لدخول المدينة.

مدينة هانوي:

قبيل الدخول إلى المدينة وصلنا نهراً ضخم المياه، بل ملتقى نهرين ضخمين قد ركبوا فوق مكان اقترانهما جسراً حديدياً ضخماً قوياً فيه مسارات للذاهب والآيب. وقد قدرت مياه النهر بمثل مياه النيل مع أنه النهر الخامس الذي رأيناه فيما بين المدينة والمطار إن لم تكن بعض هذه الأنهار فروعاً أو نهراً منحنياً متكرراً فلم يكن معنا من يخبرنا بحالها.

وعندما انحدرنا من هذا الجسر الذي كان مرفوعاً على النهر وقعنا بدون مقدمات في مدينة هانوي، ولم نمر بضاحية فيها كما هو المعتاد في المدن. وذلك لكونها ليست فيها منازل جديدة كما يكون في ضواحي المدن النامية، بسبب الحروب

التي استنزفت كل إمكانات حكومتها، وبسبب المذهب الشيوعي الذي لا يعطي فرصاً للاقتصاد الحر الذي يقوم به أهلها.

وصلنا وسطها بسرعة فهو قريب من طرفها فيما يلي هذا الطريق من هذه الجهة، وإلا فإن فيها ضواحي قديمة خارجة عن وسطها من جهات أخرى من المدينة.

توقف السائق عند فندق كان أهل المطار قد ذكروا لنا اسمه، فسألت موظفة في الاستقبال عن وجود غرفتين فيه، فقالت: لا يوجد، وكان المطر ينزل خفيفاً والجو بارداً.. وأعطتني الموظفة اسم فندق آخر هو (هاوينه) فذهبنا إليه ونحن وجلون من ألا نجد فيه مكاناً إذ ماذا نفعل إذا كان الأمر كذلك. وكلمت امرأة فيه فترددت قليلا وقالت: لا توجد لدينا غرف خالية، ويمكن أن توجد في الثانية عشرة ظهرا، فقلت لها إننا غرباء ولا نعرف البلد ومن الصعب علينا البحث عن فندق آخر. فأخرجت إليّ قائمة تضم أسعار الغرف التي تتراوح من ٥٩ دولارا إلى ٢٨ دولاراً وهي ذات خمسة مستويات، وهذه عادة لهم جيدة، وهي أن يجعلوا الغرف في الفندق أنواعاً منوعة بحسب موقعها وما يحيط بها. فالتي تكون نافذتها على منظر مفتوح بسعر أعلى من التي تفتح نافذتها على ممر مغلق أو نحو ذلك مع أن الغرفتين تكونان في حجم واحد، ولكنها أخبرتنا أنه يمكن أن تجد لنا غرفتين بعد قليل من الغرف المتوسطة التي سعرها (٣٦) دولاراً فقبلنا شاكرين.

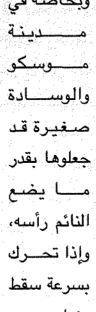
وقد أعطونا المفاتيح بسرعة فوجدنا الغرف في جزء ملحق بهذا الفندق قديم لم يجدد ولم يرمم مثل سائر ما في هذا الفندق، ولكن مجرد وجود غرفة في فندق ذي سمعة جيدة مثل هذا الفندق الذي يقع في وسط المدينة قريباً من مقار السفارات الأجنبية والأبنية المهمة في المدينة هو مكسب عاجل.

لقد رثيت لعاملين حملا أمتعتنا لأن المصعد واحد موجود في مكان قريب من الاستقبال ويحتاج الذهاب إلى الجناح الذي فيه غرفنا إلى السير مسافة طويلة على القدمين.

أما الغرف فإنها شيوعية لم تختلف بشيء عن الغرف الشيوعية التي عرفتها من قبل إن صح التعبير بأن للغرف مذاهب وهو صحيح بالنسبة إلى أهلها - فهي مهملة دون ترميم، فمثلا الحمام الداخلي للغرفة ليس فيه مقبض أصلا ومكان المقبض منه فراغ يدخل فيه الإنسان أصبعه من أجل جذب الباب، والباب الداخلي للغرفة الذي يفصل بين المدخل الذي بين الحمام وبين الغرفة يحك بالأرض ولا يغلق تماماً مما جعلنا نعاني من الهواء البارد الرطب الذي كان يتدفق والزجاج العلوي الذي في الباب الخارجي مكسور، ولم يُستبدل وخزانة الملابس لا تغلق، بل يصعب تحريك بابها، وفيه شقوق، وقد بعد عهده بالدهان.

وقد ذكرني هذا بفندق نزلت فيه منذ سنوات في بلد شيوعي آخر آنذاك، ولكنه في قارة أخرى هي القارة الإفريقية وهو موزمبيق. وقد ذكرت ذلك مع ما شاهدته هناك في كتاب (صلة الحديث عن إفريقية) المطبوع، والسرير أيضاً ضيق، ففي الغرفة سريران ولكن كل واحد منهما ضيق ذكرني بالأسرة في فنادق الاتحاد السوفيتي

وبخاصة في مدينة موسكو والوسادة صغيرة قد جعلوها بقدر ما يضع النائم رأسه، وإذا تحرك بسرعة سقط عنها.



ـ أحد شوارع هوشي منه.

ومن اللطيف المريح في هذه الغرف أنهم وضعوا مثلما يضع الصينيون في فنادقهم زمزمية وهي الوعاء الذي يحفظ الماء الحار، وبجانبه علبة فيها قليل من الشاي الفيتنامي الذي يشبه الصيني أيضاً في كونه ليس أسود ولا أخضر وإنما هو بين ذلك كما قدمت.

كما أن الغرفة فيها نعال سبتية (شبشب) تستعمل داخل الغرفة وفي الحمام، كما يفعل الصينيون أيضاً، وكذلك اليابانيون وكلهم لا تخلو فنادقهم من مثل هذه النعال بخلاف فنادق البلدان الأوربية التي لا يضعون مثل تلك النعال داخلها، رغم كون الجو بارداً في بلادهم، وإن كانت غرف الفنادق عندهم تكون مفروشة في الغالب.

وأزحت ستارة نافذة من الغرفة فوجدتها تطل على منازل سكنية هي شقق صغيرة في (عمارات) والدليل الظاهر على صغرها، وإن شئت الدقة قلت: ضيقها أنهم قد شغلوا شرفاتها بأغراضهم إضافة إلى الملابس المغسولة.

الي السفارة التايلندية :

لم نضع وقتاً في الفندق، بل بادرنا بالذهاب إلى السفارة التايلندية من أجل الحصول على سمة دخول إليها بعد الانتهاء من زيارة فيتنام ولاوس فاستأجرنا بوساطة الفندق سيارة طلبها الفندق، بالهاتف من مكتب سياحي، وذكر أن أجرتها لمدة ساعة ونصف ما يساوي دولاراً أميركياً واحداً والأجرة محددة بعملتهم وهي ١٣ ألف دونغ لهذه المدة فما أرخصها، وهي سيارة يابانية جديدة معها سائقها.

سارت السيارة في شوارع (هانوي) التي هي واسعة جيدة في وسط المدينة الذي فيه فندقنا وهو أفضل الشوارع تشجيراً من أطراف المدينة، وظني أن ذلك راجع إلى كونه خطط ونفذ في زمن الاستعمار الفرنسي، إلا أن أكثر الأرصفة مهملة، والإزفلت ليس بذاك.

والأغرب من ذلك وجود الغبار الذي لا تحتاج إزالته إلي سيارة ولا إلى نفقات طائلة،

حتى وصلنا السفارة التايلندية في حي خارج عن وسط المدينة يتألف من أبنية منفردة، متعددة الطبقات (عماير) بينها مساحات كبيرة من الفراغ المشجر بأشجار غير نضرة.

ولم نجد في السفارة أحداً من المراجعين وعندما اطلع القنصل على جوازي جاء إليّ بنفسه وأخذ يسألني بعبارات كلها مجاملة عن الغرض من الدخول إلى تايلند ولماذا لم آخذ السمة من السفارة التايلندية في المملكة العربية السعودية؟. فأخبرته بأن السبب في ذلك هو أنني لم أعرف بوجوب حصول السعوديين على سمة دخول مسبقة إلى تايلند، وإنما كنت في السابق أدخل دون حاجة إلى الحصول عليها، كما أخبرته أنني أريد سمة لأكثر من سفرة واحدة، لأنني سوف أنطلق من تايلند إلى كمبوديا، ثم أعود لأركب منها إلى المملكة العربية السعودية، وقد سارع فمنحني سمة دخول لعدة سفرات مع عبارات المجاملة والترحيب واستغرق ذلك أقل من ساعة، لذلك بقي في وقت سيارتنا التي استأجرناها بقية استعملناها في الذهاب إلى سفارة لاوس للحصول منها أيضاً على السمة فأخبرنا حارس فيها أنها مغلقة وسوف تفتح في الثانية ظهراً.

أهذا جزاء الأبطال ؟

عندما يطل المرء برأسه خارجاً من باب الفندق الذي نسكن فيه، وهو فندق (هاوينه) يرى عشرات العيون الفاحصة التي يتقافز أصحابها من مقاعدهم فوق عرباتهم الركشاوية يتسابقون إلى الشخص الخارج من الفندق كل يريده أن يركب معه في عربة الركشا. ولو كانوا يقودون سيارات من سيارات الأجرة لما استكثر المرء عليهم ذلك وهم الأبطال الذين هزموا أعتى قوة حربية مادية على وجه الأرض وهي القوة الأمريكية.

ولكن عرباتهم الركشاوية هي كما قدمت عربات تحرك بالأرجل فيلاقي صاحبها الذي يسيرها من ذلك عناء، كما أن عائدها قليل جداً.

وعندما اجتمعوا علينا وكادوا يختصمون، وهم لا يختصمون إلا إلى حد معين عند سرعة المبادرة للغريب الذي قد يركب معهم، ولا يصل بهم ذلك إلى الصراخ والمبالغة في الكلام، فضلا عن الصدام كان الإتفاق مع أحدهم على ثلاث آلاف (دونغ) أجرة لحمل الشخص الواحد منا إلى سفارة لاوس، وهذه الأجرة هي أقل من ربع دولار أمريكي.

سرنا راكبين على عربتين ركشاويتين تتباريان، كل أجرتهما أقل من نصف دولار، وقد اجتزنا شارعاً واسعاً من الحي الجيد أو الذي كان جيداً من هانوي وهو الذي يقع فيه فندقنا وهو واسع عريض الأرصفة. لكن أرصفته مهملة فيها الحفر والأشياء الكثيرة التي تحتاج إلى إصلاح.

وصلنا القنصلية اللاوسية فأصر (الركشاويان) أي صاحبا الركشا على أن ينتظرا عند باب القنصلية حتى ننتهي منها طمعاً في أن يعيدانا إلى الفندق مقابل نصف دولار تقريباً للإثنين. ووجدنا موظفة في القنصلية سألتني عما إذا لم يكن لديّ مانع من جعل السمة على جوازي، لأن (لاوس) تعتبر شيوعية، فقلت: لا مانع من ذلك.

وعدنا لنجد (الركشاويين) ينتظران وظفرا بما أرادا من نصف الدولار للإثنين لكل واحد منهما ربع دولار. ولكنني سألت نفسي قائلا: أهذا جزاء الأبطال، الذين ذاقوا الأهوال في الحرب والنزال، وصبروا صبر الجبال، حتى مرغوا أنوف الأمريكيين المتعالية في الأوحال. فخرجوا من فيتنام مذمومين مدحورين؟

ألا يحق لهذا الشعب الذي صبر وصابر أيام الجد والحرب أن يذوق طعم النصر، فتعمل حكومته على رفع مستواه في إحسان المسكن والملبس والمطعم والمشرب والعمل المشرف بدلا من أن يتراكضوا على تسلم السائح النازل في الفندق في عمل مرهق جزاؤه ربع دولار.

ولاحظنا من الجولة أن الحوانيت والمتاجر في المدينة هي كبيرة واسعة، ولكن البضائع التي فيها قليلة غير متنوعة، بل غير جيدة، ولكنها رخيصة جداً بالنسبة إلى الأسعار العالمية. وذلك بسبب ضعف الرواتب وقلة الدخول في البلاد كما تقدم.

وقد رأيت عجوزاً تبيع موزاً لذيذاً من الذي يسمى السكري، وهو يؤكل فاكهة طازجة وليس كالموز الكبير الذي منه أخضر يطبخ ويؤكل كذلك في بعض البلدان طعاماً رئيسياً كأوغندا وبعضه أصفر يصدر إلى بلادنا وأمثالها ويؤكل فاكهة طازجة.

فاشتريت من ذلك الموز السكري الذي يكون أغلى بكثير من الموز المعتاد حتى في البلاد التي تنتجه مثل هذه البلاد، وكان ما اشتريته ثمانية أصابع قطفت لتوها من شجرها بما يعادل ربع دولار أمريكي أو أقل قليلا من الريال السعودي.

كما رأيتهم عرضوا نبقاً كثيراً رخيصاً وهو ثمر السدر البستاني وهو كبير الحجم، لذيذ الطعم، وثمنه رخيص جداً، وهذا أوان إدراك ثمره..

ولاحظت قلة الطعام الذي يعرض على الأرصفة وتبيعه النساء في الغالب ويكون نزراً قليلا، وقد رأيت مثيلا له في سايقون وإن كان أقل مما عليه الأمر في تايلند.

والبلاد ندية كثيرة المياه حتى إن بعض البرك وتجمعات المياه التي تشبه البحيرات موجودة في عدة أحياء من التي رأيناها فيما قرب من قلب العاصمة.

وأما الميادين فإنها موجودة بكثرة وهي واسعة مثل شوارع المدينة التي يظهر أنها كانت فاخرة لأن الذين تولوا تخطيطها هم الفرنسيون عندما كانوا يستعمرون هذه البلاد، إلا أن كل قديم فيها باق على قدمه دون تجديد. ولم أر بيوتاً جديدة في العاصمة وإنما رأينا في أطرافها بعض البيوت التي تجدد وبخاصة ما كان قد خرب في زمن الحرب أو ما كان تجديده محدداً سهلا.

وبخاصة إذا عرفنا أن الضيق في البيوت هو الغالب على أهل هذه البلاد، فأكثر البيوت الشعبية العامة فيها تتألف من غرفة واحدة أمامها مقدمة ضيقة مسقوفة، ربما لا تتعدى مساحتها الأمتار الأربعة في المتوسط كما تقدم ذكره.

أنحن في الصين ؟:

هناك فروق ظاهرة ما بين الصينيين والفيتناميين. كما هي عليه الحال بالنسبة إلى جيران الصينيين الجنوبيين الآخرين من

التايلنديين والبورميين، وإن كان الطابع الصيني العام يكاد يجمع بينهم في كثير من الأشياء.

وعندما وصلنا إلى (هانوي) وشاهدنا طائفة من السكان فيها سألت نفسي حقاً عما إذا كنت في الصين؟ وعرفت بعد ذلك أن هناك أعداداً من ذوي الأصول الصينية في هذه المدينة، ولكنهم ليسوا من الكثرة بحيث يؤلفون نسبة مهمة من سكانها. إلا أن طائفة من السكان فيهم شبه ظاهر من ملامح الصينيين وإن لم يكونوا منهم. وحتى اللغة الفيتنامية لا علاقة لها باللغة الصينية، وإنما هي لغة مستقلة فإن الغريب الذي لا يعرفها إذا سمع الناس يتحدثون بها في هانوي وما حولها خيل إليه إذا كان مثلي قد قرع سمعه الحديث باللغة الصينية كثيراً لابد أن يسأل نفسه عما إذا كانت هذه هي اللغة الصينية.

وقد تحدثت كثيرا مع عارفين بالأمور من أهل البلاد، وحتى ممن يعرفون اللغة الصينية فكلهم أجاب بأن لا علاقة للغة فيتنام بلغة الصين، كما أن لا علاقة لشعب فيتنام بأهل الصين وإنما هو شعب ذو عنصر مستقل. وذلك كله رغم الشبه الظاهر، ورغم ما يقال عن تاريخ موغل في القدم كانت لشعب جنوب الصين علاقة بالشعوب التي تقطن الآن إلى الجنوب وإلى الغرب منه.

وهناك فارق يلاحظه الغريب الذي يأتي - مثلما أتينا - من الجنوب إلى الشمال وهو أن التجارة في الشمال أقل بكثير منها في الجنوب، والأخلاق وحسن المعاملة - في الشمال أفضل وأرقى من الجنوب.

ففي الجنوب المصلحة المادية هي الهدف دائماً، وفي الشمال الأمر مختلف.

ومصنوعاتهم رخيصة جداً فمثلا أشتريت أواني عشراً من الخشب المجدول المخروط المزين بنقوش كل إناء داخل الآخر حتى تصبح العشرة كأنها إناء كبير واحد بـ ٦٥ ألف دونغ أي أربعة دولارات وربع، وهذا منتهى الرخص. كما اشتريت (مجموعة شاي) من الفضة وهي صغيرة، وإنما تعرض في خزانة التحف ولا تستعمل فعلا للشاي بـ ١٠٠ ألف دونغ أي سبعة دولارات تقريباً.

والملاحظ أيضاً أن السائلين والمستجدين (الشحاذين) هم قليل في الشمال فمن النادر أن تجد من يسألك إذا راك غريباً على حين أنهم كثرة كاثرة في الجنوب، وبعضهم هناك يلحف ويلح في السؤال حتى يضجرك، ومجرد الظهور بمظهر الرجل الغربي، ونحن يعتبروننا من ذوي المظاهر الغربية كاف لجعل الشحاذين والمستجدين يلاحقونك ويؤذونك.

ولا شك في أن مرجع ذلك إلى قلة الأجانب الذين يأتون إلى هانوي بالنسبة إلى من يأتون منهم إلى (سايقون). والنساء في الشوارع موجودات بكثرة، وكذلك هن يركبن الدراجات كالرجال، إلا أن التزين والتبرج قليل.

وفي العودة مررنا بخطوط فيتنام الجوية وحجزنا منها إلى مدينة (فنثيان) عاصمة لاوس وعدنا نسير على أقدامنا مثقلين محبة في المشي واستجلاء أمر هذه المدينة الغريبة.

للرحلة صلة

العدل وما إليه

العــدلُ والحقُّ قــرينان لا يتــأتى لأحـدهمـا وجـود من دون الآخـر، فـالأول عطاء وبذل، والثـاني أخـذ وتعـفف ، فـمن عدل أعطى وأقسط، ومن التزم سبيل الحق لم يأخذ أكثر مما هو له وإن قدر.

لا يدرك قـيـمـة العـدل إلا من ذاق مرارة الجور واكتوى بناره.

يقول أبو محمد ابن حزم في كتاب الأخلاق والسير: «العدلُ حصن يلجأ إليه كل خـائف وذلك أنك ترى الظالم إذا رأى من يريد ظلمه دعا إلى العدل وأنكر الظلم حينئذ وذمه، ولا ترى أحداً يذم العدل؛ فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين».

العدل قائم بذاته، مستغن بنفسه، لا يقيده مكان، ولا يطويه زمان، ولا يحيط به حدّ ، وأعلامه دائماً منشورة، وأنواره تملأ أرجاء الكون وإنما تعـمى عن رؤيتـه قلوب الجائرين، وتكلُّ دونه أبصارُ الغافلين.

والظلم فـسـاد مـحض ينتـهي إلى التلاشي ويتبدد كدُخان النار.

العــدل واحــد في جـوهره، لا يتـجـزأ وإن تعـدّدت مـراتبـه وتبـاينت مظاهره. ومراتب العدل ثلاث: عدلٌ مطلق، وعدلٌ جامع ، وعدل ذاتي.

فالعدل المطلق:

هو مـبدأ الحق كله والمساواة كلهـا، إذ به تقـوم الحـيــاة، وتتـلاقى أطراف الوجـود، وتنسـجم الأضـداد، وهو منة الخالق على مخلوقاته، عنه ـ تعالى ـ تصدر أنواره، وبقـدرته تقام مـوازينه، فـإنه ـ عز وعلا ـ حرّم الظلم على نفسه، وأمر عباده بالعدل، وبصرهم بمواقعه، وبين لهم مـآتيه ومآخذه.

والعدل الجامع:

غايته تساوي الناس في التعـايش، وعـلامـتـه أن تسـتـقـيم الأحكام، ويسـود الإنصـاف، وتطمئن قلوب أصـحـاب الحق وطلابه.

والعدل الذاتي:

قوامـه أن يعـدل المرء مع نفسـه بأن يأخذ لهـا بقدر مـا يعطي منهـا من غيـر تجـاوز ولا إفـراط ولا تفـريط، فـإن الظالم لنفسـه، المنقاد لهواها حري بظلم غيـره والتطاول عليه بالعدوان.

وعُدْلُ السلطان أولى بالرعاية وأخصُّ بالعناية،

بقلم:
محمد العربي الخطابي
ـ الرباط ـ

كيف لا وحكمه نافذ في رقاب الناس، المحكوم لهم والمحكوم عليهم، فإنْ خالط حكمه هوى غالب، أو حيف مقصود، اضطربت موازين الحق، واختلّ نظام الاجتماع، وانفرط عقدُ الانسجام بين بني الإنسان.

الضمير الحرُّ هو بيت العدل ومنشأ سلطانه، فيه يحيا، وبقوته ينمو، وفي حماه يزدهر، فمن عدم الضمير انطفأ نوره، واختلّ ميزانه، ومات إحساسه، وضل سعيه، فهو لا يفرِّق بين الحق والباطل، ولا يميز الخير من الشر.

لا حرية من دون العدل، فكيف يدّعي الحرية من إذا قدر استبد، وإذا حكم جار، لا يراعي ذمة، ولا يحفظ عهداً، ولا يفي بوعد، ولا يعرف حدوداً يقف عندها، ولا شرائع يهتدي بها، فهو يتخبط في ظلام دامس؛ والظلم والظلام نابتان من جذر واحد، فهما صنوان.

العدل ليس من حظ كل الناس، فالدنيا صراعٌ دائم بين ظالم يطغى ويبطش، ومظلوم يئنّ وينتفض.

واسم العدل له قرائن تدور في فلكه، وتدلُّ عليه، فمنها: الإنصاف، والمساواة، والصدق والحلم، والعفة، والسماحة، والتواضع، والبذل، والإيثار، والجودُ والمروءة، والتواصل، والإحسان.

وللظلم أيضاً دلائل تفضي إليه، ومنها: الجور، والبغي ، والعدوان، والقهر، والطغيان، والحيف، والغبن، والعسف والبهتان، والزور، والزيف، والحسد، والكبر، والحقد، وقطعُ الأرحام.

يقول المتنبي:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولا معنى للشطر الثاني من هذا البيت إلا أن يفهم منه أنّ العلة التي تمنع الإنسان من ارتكاب الظلم هي استعداده النفسي والخلقي للتحرز من الظلم وتحري العدل في كل الأحوال.

سئل الظالم: فيما إصرارك على اقتراف الظلم وقد اجتمعت لك موجبات العدل وحوافزه: المالُ والجاهُ والنفوذ؟

فقال: إن هميّ الأكبر ينحصرُ في حفظ ما جمعته من مال وأدركته من جاه ونفوذ، ولا اعتبار عندي بالوسائل؛ وأما العدل الذي تتحدَّث عنه فهو محض حلُم يتردّد في نفوس الضعفاء والمحرومين.

لقد نسي هذا الظالم المتعنت أنه لو عدل في بداية أمره لاستقامت سيرته، وبان فضله، واستراح ضميره، ولما وجد نفسه مدفوعاً إلى التوغل في أدغال الظلم الموحشة، فإنه لا جاه في الحقيقة ولا قوة إلا مع وجود العدل وشموله ودوامه؛ ومن طبيعة الأشياء أن الأعراض تندثر وتزول، والجواهر تدوم وتبقى على حالها. والظلم أخس الأعراض ، والعدلُ أنفسُ الجواهر.

ومضات:

الإنسان في حياته، بطولها أو قصرها يتقلب بين أجوائها، يعتلي به الفرح فيحمله في وجدانه نغماً جميلا، يطير به سماوات ما خطرت بباله، الفرح كل الفرح، بكل انواعه وطعومه..

والانسان ذاته يحيط به الحزن والألم والمكروه من كل جانب، يعتصر كيانه، ويهد وجدانه.. هنا في هذا الجو المتقلب يصطحب الانسان الكلمة، إنها الاداة الوحيدة التي ترسم تضاريس نفسه، وتنقل وجدانه، وتحكي عن أحاسيسه.

وما كل هذا، إلا ومضات خاطر خليّ.

نشيد وطني

بلادي إليك نشيد الوفاء
فمنك استقيتُ العُلا والإباء
ومنك تشربتُ حُبَّ الوطنْ
ومنك عرفتُ معاني الوفاء
شعارُك يحوي رموزاً تُضيء
ففيه اخضرار دليل النماء
وفيه البياضُ دليلُ السلام
لشعب أبي يُحبُّ الإخاء
وسيفٌ يشير لحزم الوطن
وردع شديد لأي اعتداء
ونخلٌ مليءٌ بحلو الثمَر
يؤكد دوماً لجود العطاء
ويزهو الشِّعار بركن جليل
فنحنُ نُوحّدُ ربَّ السماء
ونشهد أن النبيَّ الأمين
رسول وخاتمُ للأنبياء
بلادي فُديت بكلِّ نفيس
وتبذلُ دونك أزكى الدِّماء
لتبقي مناراً وفيك الشموخُ
بهاؤه دوماً يزيد بهاء
بلادي إليك نشيد الوفاء
فمنك استقيت العلا والإباء
ومنك تشربت حب الوطن
ومنك عرفت معاني الوفاء

سعد الرفاعي - ينبع -

ايقاعات العقد الثالث

«عندما يصل الشاعر إلى الثلاثين، ويقنع بهذا القدر من الحياة تتراقص التفاعيل في عينيه.. وتختلف الإيقاعات».

(١)

أتشبثُ بالعقد الثالثْ
وأمدُّ يديَّ إلى العقربْ
كي تقف الشوكة والمضربْ
هذي صوري
تحت السرير
وأنا المفتون بما كان
ماض في درب أجهلهُ
مُذْ أن ضيعت العنوان
ضاعت ساعات ربيع العمر
كأنَّ الموت - هنا - الآن
سبحان الله .. يموت الطفل ولم يلعبْ!

(٢)

ثلاثون عاماً على كتفيَّ
وما مرَّ دمع على وجنتيَّ
هو الحزن .. لم أبك فيه ، ولكنْ
ُلمحتُ بكاء القوافي عليَّ
أنا شاعرٌ غير مستسلم
لما كنتُ فيه ، وما كان فيَّ

(٣)

جرّبتُ في هذي الحياة ، من الأسى
ما بان منهُ على الجبينْ
وسمعتُ أجراساً يغلفها الأنينْ
في كلِّ عقد من سنين:
عقدٌ يمرُّ ولا يضرّ
وأخوه يزعم ما يسرّ
واليوم جئتُ إلى الأخيرْ
لثلاثة .. يا ويلتي: كيف المسير ، وما
المصيرْ؟

(٤)

لقد مرَّ عمري ، ولم يبق عندي
سوى دمعتي ، والأماني ، وسهدي
إلهي أعنّي .. فمازلت طفلا
وإن شاب رأسي، وإن ذاب مهدي
لقد كان في قبضتي سيفُ أهلي
وقد بات في السيف أهلٌ لبعدي
فسيفي على الجفن يغفو وحيداً
فما قيمة السيف في جوف غمد؟
وفي القلب نارٌ ، ولكنَّ جسمي
ـ لشيخوخة ـ من رماد وبرد..!
أنا لستُ شيخاً .. ولكنَّ دربي
يشيخُ به الطفل، قبلي .. وبعدي

فيصل على اكرم ـ الرياض ـ

للحياة وجهان

أكتب اليك عن الحياة يا ولدي..

وأنا لست ممن ينظر الى الحياة بعين كلاء أو عوراء أو حولاء..

ولست أرى في الدنيا رأي المعري، فهي ليست عندي «أم دفر» كما وصفها وسمّاها.. وإنما أُجلّ الحياة وأُكْبرُهَا فهي النافذة الوحيدة التي يطل منها المرء، فيرى قدرة الله في عظمة خلقه وجلال مخلوقاته.. إنها الوسيلة التي تتوسل بها نفخة الروح التي نفخها الله في أبينا آدم فهي لا تزال تحنّ دائما وأبداً الى العودة لمصدرها الأول الذي هو الله.

أنا أنظر يا بني الى الحياة في وجهيها المشرق والمظلم، المفرح والمترح، الخيّر والشرير، فأراها لوحة ذات وجهين، كل منهما يكمل الآخر، ولا غنى لأحدهما عن الثاني، فهي كالسالب والموجب، كل منهما قوام الآخر، وكل منهما مرآة أخيه.

هذه فئة من الناس تستطيب الجيف، وتستمرىء لحوم الأموات، فهي لا تنفك تنهش منها مصبحة وممسية يأكل بعضها لحوم بعض دون تعفف أو تأفف أو مبالاة.

هؤلاء أناس يضعون أنوفهم في القاذورات، وقد أصيبوا بالزكام فلا يؤذيهم نتن ولا تدفعهم قاذورات، إنهم المتطفلون الذين يتدخلون بما لا يعنيهم ولا ينفعهم من قريب أو بعيد، وثمة فئة ثالثة أخذوا عن أبي جهل جهله، وعن فرعون فرعنته، وعن النمرود نمردته، هم حرّاص على مرافقة الأموات الى قبورهم يبتغون الأجر وينسون العبرة، كأن

سائر الناس للفناء وهم وحدهم للبقاء، إنهم لا يرجون عبرة ولا أجراً، وإنما هم طلاب وجاهة واستعلاء على الناس.

وفئة أخرى رابعة ملأ قلوبها الحقد والحسد والبغضاء وكراهية الناس، إنهم حاقدون ويستترون بحقدهم ومبغضون ويزعمون أنهم محبّون، وحاسدون فالحسد يأكل قلوبهم لأنهم يتمنون زوال النعمة عن الناس وأنعم الله كثيرة لا يحصيها عدّ ولا تنال منها جمرة الحسد.

وأخيراً وليس آخراً فئة خامسة ذات عقول مغلقة وقلوب مقفلة، تتحدث عن الماضي وكأنه يغني عن الحاضر والمستقبل، وتتمدح بالأموات وتهمل الأحياء، لهم أبصار وليس لديهم بصائر، ولهم آذان يسمعون بها ولا يفقهون، ضعفاء النفوس كلمة تقيمهم وأخرى تقعدهم، يتبعون كل ناعق ويحسبون كلّ صيحة عليهم..

إنهم أكثر الفئات عدداً، وأقلهم شأناً، وأكثرهم ضررا، يمثلون سواد الأمة ويسمُونَها بميسم الضعف والتخلف.

بعد أن ملأنا الوجه القاتم من لوحة الحياة فسوف نستعرض الوجه الآخر من هذه اللوحة إنه الوجه المشرق الذي يبرأ من الظلمة، والوجه الخيّر الذي لا يعرف الشرّ، والوجه الذي فيه السعادة والهناء وقد انتصرنا على البؤس والشقاء.

إنه الوجه الذي نجد فيه العالم وما أندر العلماء والوجه الذي يضم الأديب وسائر أرباب الفن الذين ينظرون الى الحياة ببصائرهم فيتجاوزون ظواهر الحياة الى بواطنها وقليل ما هم، وفيه المصلح الحق ونكاد نفتقد الى هذا النوع من المصلحين الذين يعملون للغير ويتجاوزون أنفسهم، إنهم الأولياء وقد عزت الولاية في هذا العصر. كل هؤلاء يا ولدي لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة ولا يملؤون من صفحة الحياة الا القليل، فهل يبقى وجه اللوحة المشرق فارغا، وهل نقف عند هذا النذر اليسير ونقنع بالقليل..؟

كلا، فثمة من وجوه الخير ما يزيد ويفيض عن صفحة هذا الوجه من وجهي الحياة، فلدينا الأطفال وما أكثر الاطفال الذين يتراوحون بين صرخة الوضع وعهد الفطام، هؤلاء الذين تفتح لهم أبواب السماوات ويباركهم ملكوتها لأنهم مُبَرَّؤون من كل حقد وغلّ، لم تلوثهم بعد سموم البيئة، ولم تفسد ضمائرهم رياح الوراثة ولم يكتسبوا سيئة بعد. ولدينا البهائم الرواتع في الحقول والحظائر يخدموننا دون مقابل ويعاشروننا دون أذى، وثمة أفواج العصافير تمتعنا بمنظرها تمنحنا بيضها والنحلة تهبنا عسلها والبقرة والغنم تهبنا حليبها، ولا تحسبن يا عزيزي أن وجه الحياة المشرق قد انتهى فلا يزال به وجود كبير يتسع للأشجار صغيرها وكبيرها، وللزرع غثها وسمينها، وللماء يجري جداول وأنهاراً وللهواء يحيي السعيد والشقي على السواء.. وللشمس تهدي نورها للكائنات دون تخصيص أو تمييز.

وفي اللوحة مكان للربيع بأوراقه وأزهاره، والصيف في بيادره وثماره، والخريف في نسائمه الوديعة وجوّه المعتدل، والشتاء في غيومه الكثيفة وأمطاره الغزيرة وخيراته الوفيرة.

قل لي بربك يا ولدي ألسنا جديرين أن نغمض أعيننا عن وجه الحياة القاتم، ونغفر للأشقياء شقاءهم حيال ما تمنحنا الحياة من وجوه السعادة وأضرب الهناء، ألسنا خليقين بأن نفتح قلوبنا للحياة فنبادلها بسمة ببسمة وحبا بحب ووفاء بوفاء..؟!

محمود درويشه - سوريا -

الظل

أظلي أنت يا دنيا
من النيران تلحق بي؟
تحاذي خطوتي عمدا
وتتبعني بلا سبب
بلا ملل تضيق به
فهل أحسست بالتعب؟

* * *

أبي نقص فتكملني
ظلال دونما أرب؟
وترسمني كما شاءت
وتزرع بي من الريب
فأصنع في الدجى مأوى
لأهرب منك يا هربي

* * *

أيا دنيا تطاردني
كأني بعض مكتسب
أذا ألفيتني نغما
فإني ضجة الصخب
وإن أبصرتني ذاك
الهدوء الحلو في أدبي
فاني البحر مضطربا
يؤجج سورة الغضب
فمهلا انني سيل
ولست أميل للعب

* * *

دفنتك في صحاري
الموت يا ظلي ولم تغب
نفضت الرمل في
حزم وما باليت بالتعب
فأنت على الثرى ظل
يلوك خرافة الحقب
ويمسح عن مناكبه
غبار مسائه الترب
فما عانيت من ضجر
وما قاسيت من سغب
ورحت أراك منتبها
كأنك عين مرتقب
أظلي أنت يا دنيا
من النيران تلحق بي

عمار صبيح التميمي - ليبيا -

ترانيم الوداع المر

التاسع والعشرون من يوليو:
كانت صرخة المخاض يوم ولادتي..
احتضار الزمن بين سعادة وشقاء، توأم .. الاول يشدو والآخر يستصرخ، أعياه، بكاء في ذات الليلة كان مشيه ومسماه.
التاسع والعشرون من يوليو:
آخر الاحتراق وأول البكاء!!
تخنقك ارهاصات الليل وثرثرة النهار !!
نعش يهرول قبل أن يحمله التعساء
ايختار الولادة والموت في آن؟ !!
ايتشكل بين الزند والرصاص؟!
التاسع والعشرون من يوليو:
تهزمك لعبتك نفسها وتفترسك ابتسامتك

ذاتها!!

تحملق في الوجوه وتغتال قدماك الدروب ، زمن الخطى المحسوبة..

زمن لكل شيء فاتورة.. زمن الابتسامة الفاترة والمفقودة..

الحزن بقاؤك والفرح رحيلك !!

لا توزع رغيفا وحلوى على شقى الكل في جيبه رصاصة، إن آثرت الصمت وهبت ابتسامة .. مزقوا اسمالك واعادوك مهاجرا الا من قميص، وقتك بالون لا تعي لحظة انفجاره، ويملك بوق النفخ الاخرون.. وما بين بؤس الخطى وابتساماتك الراقدة احضان الأمل .. تبقى ابتسامة يلفحها صقيع الارصفة والهواء البارد.

التاسع والعشرون من يوليو:

تمد عافيتك على خشبة مستطيلة تنشطر منتصف الشهر نصفين .. طلقة نافذة واخرى ببطاقة برزت حروفها لتزين معصمك وجسدك المسجي، يقرأها المعزون يوم التكفين.

«اتيتني كضيف .. تعلمت أن اكرم الضيف .. تعلمت كيف اشقى .. وكيف استقبل طعنة الضيف».

شهاب أمير بدر الدين - السودان -

أقصوصة :

درس في اللغة

١ - قبل الحكي:

تقول الأنباء إنهم يقاتلون ببسالة .. بالحجارة، وتقول الأنباء: إنهم يمارسون على الأرض رقصهم العصبي. لكن، مالم تقله هذه الأنباء، أنهم يكتبون الشعر!

شعراً جاوزوا فيه بلاغة الحداثيين.. إنهم يغنون الموال الفلسطيني ، الذي تخترق نبراته وتموجاته الصوتية كل أساليب التضليل الصهيونية.

٢ - شيء من الحكي:

في الفصل كانوا ثلاثين أو يزيد، نظراتهم الحزينة تختزن مخاوف الأني والآتي . وخارج المدرسة، تبدو الحياة مفتعلة في جلّ مظاهرها .. في كل مؤسسة، علم بنجمة سداسية يرفرف .. وفي أسفل العلم، عسكري يمشي بخيلاء، وهو يدخن السيجارة..!

المدينة تعيش على إيقاع عسكري .. وفي الفصل، كان المعلم يستعد لإعطاء درس في اللغة.. وكان العنوان: المبتدأ والخبر .. ولأن جل المربين يركزون على ضرورة تنمية ملكة النقد والاستنباط، فقد سطر المعلم مثالا على اللوح: الحرية مطلب عربي. فالمثال معطى ليشتغل عليه الأطفال.. كلهم كانوا يركزون ويتأملون المثال.. رفعوا الأصابع.. فناول المعلم الكلمة لخالد - وهو أصغر زملائه - وقف في مكانه ليعرب الجملة:

- الحرية: ياأستاذ مبتدأ لم يبدأ بعد.

- مطلب: خبر يخبرك عنه من خبر محنة الاحتلال

- عربي: ممنوع من الصرف والمانع عروبته.

شعر المعلم بحرج، وخاطب تلميذه: يبدو أنك أخطأت الإعراب. من منكم يعيد الإعراب؟

وقف الأطفال جميعهم، وبصوت جماعي

كانوا يرددون:

- الحرية: مبتدأ لم يبدأ بعد

- مطلب: خبر يخبرك عنه من خبر محنة الاحتلال

- عربي: ممنوع من الصرف والمانع عروبته.

ظلوا يرددون هذه الكلمات، وهم ينسحبون من الفصل.. وفي الشارع، كانوا يقذفون العدو بالحجارة، وبدمهم يورقون وطنا حرا قويا.

أحمد هيبة - المغرب -

شاطيء الحب

على شاطيء الحب شط (جليم)[*]
جلسنا بمخضلة من نسيمْ
أنا والحبيبة والبحرُ يرنو
ويبسمُ يشدو بصوت رخيمْ
ويلمعُ كالماس وجهُ المياه
ويسمو فينفض عنا الهمومْ
وهدهدة البحر دفٌّ رقيقٌ
وشمسُ الشواطيء أمّ رؤومْ
ويصدحُ كورنيشنا لليالى
بأغنية من زمان قديمْ
على الرمل كنا وريحُ الروابى
تداعبُ دوح الجنان الكريمْ
نرددُ شوقاً نشيد الغرام
ونهفو على خفقات الأديم
وندخلُ في الصبح فردوس حب
وندفعُ بالشوق كلَّ الرسومْ
ونملاء كاساتنا بالتمنى
ونثملُ في الشوق.. نغدو.. نهيمْ
على ضفة الشط نغدو سوياً
نراسلُ بالشوق كلَّ النجومْ
تعانقُ كفاى حبا يديك
وننزلُ بحر الهوى كى نعوم
غدا سوف يمضى قطارُ المصيف
فلا شيء عند الزمان يدومْ
ويحفظ قصتنا البحرُ دوماً
ليحكى حكاية حب عظيم

الامير كمال فرج - جده -

(*) أحد شواطيء الاسكندرية.

الأنفس التعبه

تخاصمُ أرواحنا بعضها
مراراً..
وتقسو مراراً..
فتخرجُ عن طورها... تفترقْ

مساءاتنا..
تهيمُ بها هذه الأنفسُ التعبة
تثور ومن حزنها تحترقْ
وفي ثورة الحزن
شيء من الانعتاق
وشيء من البوح... والإشتياق
إلى هدنة بين أرواحنا
فأرواحنا.. دائماً تفترق
تهيم بنا ثورة الشك تدنو
كسيف مُصلت فوق الرؤوس
فنفقدُ... شيئاً من الودِّ بين النفوس

ونسرقُ أفراحنا..
كما يسرقُ الليلُ شيئا من النور

وتسكنُ قيعانها ديمةُ الحزن
تهدهدنا ... دائماً
فنطوي أعمارنا ... مسرعين
إلى حيث أعمارنا ..
تنعتقْ
وألحاننا ... كلها مفعمة بالأسى والأنين
نموتُ ...
وتُدفنُ في الأرض أجسادنا
وأرواحُنا ... معذبة من سياط السنين

سعد الحامدي الثقفي - الطائف -

قصة قصيرة:

يوم آخر

[وقد قال السيد الوزير رداً على سؤال وجه إليه من أحد اعضاء المجلس .. إنه بالانتاج - نستطيع الارتفاع بمستوى الفرد]-

- الشاي ..

وَضَعَتْ الكوبَ فوق المائدة .. وولتنى ظهرها .. أطحن الجبن والخبز بأضراسي ازيحهم بالشاي.. [وبالانتاج نرتقى بالمجتمع . و ..] اقفلت المذياع .. أكملت فطورى .. عادت لتقول..

- أسرع .. القطار سيفوتك..

دخلت في حذائي .. استعذت بالله وتوكلت .. تناولتنى السلالم، قالت في أثرى:

- مع السلامة .. لا تنس البرتقال..

أمد الخطى في طين الأرض اللازج.. أتفادى أطفال المدارس .. أصعد جسر قطار الضواحي .. تمنيت طويلا لو ارتقيت السلم الوظيفى وحصلت على مرتب يمكنني من تغيير هذه المواصلة السلحفاة.

تحسست جيبى، بقاعه بعض سجائرى.

شديداً كان زحام المحطة - حين ظهر القطار من بعيد. تحفز الناس - عندما جاء، حشرت نفسي بين اللحم والثياب والعرق.. أشرئبّ برأسى، استنشق هواء لا يخلو من دخان غريب الرائحة.. ترتج كتل اللحم مع أرتجاج العربات.. قرقعة العجلات . عليّ عمل من يوم أمس لم ينجز .. سمعت صوت المحصل مددت ذراعى لاستخرج ثمن التذكرة.. صرخت امرأة .. بكى طفل .. شخط رجل .. الجيب بعيد عن متناول يدى .. محشوراً كان .. تأوهت أمرأة .. رفعت أخرى سلة خضار فارغة إلى أعلى .. اسواق وسط المدينة أرخص.

تهادى القطار بين الظاهرية وسيدى جابر.. سادت القلاقل والغمغمة - تساؤلات ... ضيق .. تداخلت اصوات .. رويدا ..

بدأ القطار في التوقف .. زأر الرجال في غضب .. توقف القطار تماما.. لا مواصلات أخرى بهذه المنطقة.. تحركت ابدان .. تذمرت النساء .. إختلطت اصوات .. تعلو .. وبعدين؟! كل يوم ؟! متى يطلع طوالى..؟ زفت .. يلعن .. خل بالك .. الأرض نفسها تعبانة.. المفروض يلغوا هذا الخط.. ها نحن هنا قاعدون .. فلنر آخرتها..؟ أتاخرنا .. يا عالم عيب .. ننزل وندفع القطار.. هأ هأ هأ ..

لعنت كل شيء، هبطت مع الهابطين ..
أبصرت القضبان الممتدة بطول الطريق قد
زُرِعَتْ بالناس.. واقفون على مضض
وصمت .. قاعدون على القضبان ..
متقابلون ومتفرقون .. يتطلعون الى الفضاء
المترامى آملين في تحرك القطار، يتمنون
حدوث معجزة تهبط من أعلى تدفع العربات
وتنقذهم من ضياع يوم آخر.. الوقت
يمتطى التجاويف ، يلهب الاجساد بالقلق ..
تناثرت أبدان أخرى عند الأودية المؤدية الى
شارع أبي قير، ذلك البعيد

.. فكرت في أمكانية وجود موضع لقدم
الآن فى أي أتوبيس .. ونصف أفراد المدينة
- العاملين - تحملهم هذه القطارات كل
صباح.. بقيت .. ولا بشير يبشر بقيامه.

- خذ يارجل .. أقعد ..

قالها رجل إلى جوارى، وناولنى صفحة
من جريدة الصباح .. افترشتها مثله على
القضيب وقعدت.

- نصف عمرنا يضيع في هذه
المواصلات..

قدمت له سيجارة.. دخنا في صمت ..
قال ..

- إجازاتى كلها انتهت هنا .. بين قطار
معطل وحادثة.

- في المصلحة لا يرحمون المتأخرين..

- يجب ان تصلح الشبكة الحديد
قضبانها..

- التذكرة اصبحت بشلن .. قلنا ماشي.

تعلقت سيدة بسياج الباب، مدت قدمها
وهبطت .. أسرعت متباعدة وهي تحمل
عمود طعام - نكست رأسى - تفحصت عموداً
بدا نصفه من الجريدة التى تحتى، أتابع
حروفه، كنت أفكر بالوقت نفسه. [وبارتقاء
الانتاج وجودته..] انتهيت أمس من توصيل
خطوط الوصلة الأولى من الكابل المعطل..
[يمكن التقدم وملاحقة الركب ومواكبة الدول
المتقدمة، فلدينا من ..] إن لم ينته الكابل
اليوم سأضطر للمساءلة.

- يبدو أنه لن يتحرك .. ويلزموننى
بتعطيل مائة خط تليفوني.. [المهارات ما
تدهش عقول العالم الأكثر تقدما..]

- يلعن .. وجودى في البيت غلط.. طوال
النهار - أسكت ياولد .. اسكت يابنت ..
(فلو ..) هات فلوس .. تعال ساعدنى ..
كلام فارغ.. [فلو وضعنا تلك المهارات]..
البالوعة مسدودة من أمس، انحشرت فيها
خشبة .. قلت أسلكها حين أعود.. خذ
ولع.. كان يقول، قدم سيجارة .. وسكت.

يوم آخر تصطلي فيه رؤوسنا تحت
الشمس وندوخ - كان القطار النائم ...
بعض الركاب .. غارقين كانوا في صمت
غريب .. اشعلت لصديقي سيجارته - وهو
يقول

- أرجع احسن إلى البيت .. وأسلك
البالوعة..

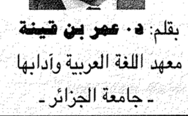
قلت وانا أنهض خذنى معك .. وأردفت
اقول..

- بكم كيلو البرتقال؟.. لم يرد ..
وافترقنا..

احمد محمد حميدة - مصر -

أعلام .. وأعمال:

الشاعر الناقد: ابن رشيق (المسيلي ـ القيرواني)



بقلم: د. عمر بن قينة
معهد اللغة العربية وآدابها
ـ جامعة الجزائر ـ

ولد الكاتب العربي الشاعر الناقد (ابن رشيق)، المسيلي مولدا، القيرواني دارا، سنة (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) في مدينة المحمدية التي صارت تسمى (المسيلة) في عهد الدولة الصنهاجية بالمغرب الأدنى (تونس) والأوسط (الجزائر) التي بدأ أمرها مع (زيري بن مناد الصنهاجي) سنة (٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) ثم ابنه (بلقين) سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م) حين ولاه عليها (المعزُ لدين الله الفاطمي) بعدما انتقل هذا إلى (مصر) بعد فتحها سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) وقد كان (بلقين) وأليا للفاطميين على المغرب الأوسط (الجزائر) وخلفه على الحكم حين وفاته سنة (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) ابنه المنصور، وعند وفاة هذا تولي الحكم في (القيروان) ابنه باديس (٣٦٦هـ/ ٩٩٦م) الذي جعل صنهاجة الشرقية أو (المغرب الأدنى) تحت سلطته المباشرة، وأسند أمر صنهاجة الغربية (المغرب الأوسط) إلى عمه (حماد بن بلقين) مؤسس (قلعة بني حماد) عاصمة له، على بعد أكثر من خمسة وعشرين كيلومترا من (المسيلة) حيث أعلن استقلاله بالمنطقة، أي صنهاجة (الغربية) في سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٥م).

توفي (باديس) (٤٠٦هـ/ ١٠١٦م) وهو يحاصر عمه (حماد) في القلعة فخلفه ابنه (المعز) الذي انتهى معه (حماد) إلى «الصلح .. ليتفرغ هذا لمهام بناء الدولة الجديدة (الدولة الحمادية) التي انتقلت عاصمتها إلى بجاية نهائيا في عهد (المنصور بن الناصر) سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م»[١] ويتفرغ (المعز) للبناء في (صنهاجة الشرقية) متطلعا لمد نفوذه في (صقلية). في هذا المنعرج من الإنشطار في الدولة الصنهاجية انتقل ابن رشيق من (المحمدية) المسيلة، قرب قلعة (بني حماد) عاصمة صنهاجة الغربية إلى القيروان عاصمة صنهاجة الشرقية وعلى رأسها المعز بن باديس الذي أبرم الصلح مع حماد ووجه ولديه عبد الله وأيوبا إلى صقلية في سنة (٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) للسيطرة عليها، بعدما باتت تحت الحكم الاسلامي منذ الدولة الاغلبية حين افتتحها زيادة الله الثالث الأغلبي (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/ ٩٠٣ ـ ٩٠٩م) لكن

الخيانات لم تلبث حتى فعلت فعلها، فساعدت على هزيمة المسلمين في النهاية المتصارعين على الحكم أمام النورمانديين كما سهلت على هؤلاء اندثار الحكم الاسلامي أمامهم في صقلية، في عهد الكونت (روجاربن تانكر) الأول الذي «شمل العلوم العربية برعايته .. بحيث أن بلاطه في بلرم كان شرقيا أكثر منه غربيا»[٢]. فغنم النورمانديون الحكم، كما غنموا من الحضارة العربية الاسلامية، وحرصوا «على أن يأخذوا عن العرب نظامهم الإداري، ويقتبسوا العناصر الأساسية للثقافة الإسلامية في حياتهم .. الفكرية وفي فنهم أيضا .. بل أن فريدريك الثاني (١١٩٧هـ/ ١٩٢٠م) الذي خلف النورمانديين في حكم صقلية عني بتنمية هذا التراث إعجابا منه بعلوم العرب»[٣].

في هذا المنعرج الحافل بالأحداث السياسية، والحيوية الفكرية عاش (أبو علي الحسن بن رشيق) أيامه، بين هناء واضطراب، ولد في (المسيلة) حيث درس، وعلمه أبوه حرفة الصياغة التي كان يمتهنها ، وشرع يكتب الشعر، وفي السادسة عشرة من عمره تطلع إلى تكوين نفسه علميا وتنمية معارفه العلمية فانتقل سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٦م) من صنهاجة الغربية تحت حكم (حماد) إلى (صنهاجة الشرقية) تحت سلطة (المعز بن باديس) الذي منح (حمادا) استقلاله بصنهاجة الغربية، وعمل لضم صقلية ، ثم إعلان استقلاله عن الفاطميين في مصر ودعوته للعباسيين ، في عهد القائم بأمر الله سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) مما عرضه لمتاعب جمة، ترتبت عن كيد الفاطميين له، انتقاما منه، ومن ابنه (تميم) أيضا، و(حماد) ذاته، فدفعوا القبائل الهلالية للإغارة على صنهاجة بأشكال مختلفة من الإغراء تسهيلا في الرحلة وتلويحاً بالمغانم، فكانت من آثار الحملة الهلالية الخراب الذي لحق (القيروان) عاصمة صنهاجة الشرقية سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) فنزح منها سكانها، وفر المعز نفسه إلى المهدية شرق القيروان على الساحل التي كانت تحت ولاية ابنه تميم. وهو المحيط المتأزم الذي عاشه (ابن رشيق) بكل آلامه، وانتهى به أخيرا الى الهجرة نحو (صقلية) وهي التي استقبلت ابن رشيق فارا في أثر صديقه الشاعر الناقد ابن شرف فوجدا نفسيهما في وضع لا يقل سوءا عن سابقه، فاقترح ابن شرف على ابن رشيق الهجرة إلى أندلس ملوك الطوائف التي أضاعته ، فأجابه:

مما يبغضني في أرض أندلس — سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها — كالهر يحكي صولة الأسد

وهذا «مما يعكس طبيعة التمزق التي عمت ، فملأت النفوس يأسا وضيقا، وفرضت حذرا وحيطة، كما ترجم ذلك كلام (ابن شرف) في حديثه لابن رشيق:

إن ترمك الغربة في معشر — قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم — وارضهم ما دمت في أرضهم

وهو الإحساس الذي مارس ضغوطه بعد ذلك على (الشريف الإدريسي) صاحب نزهة المشتاق في صقلية التي خرجت من يد المسلمين، فقال في حيرة وألم وحسرة:

ليت شعري أين قبري — ضاع في الغربة عمري

... أما (ابن رشيق) فقد عثر على قبره في صقلية فمات في قرية مازرة بعيدا عن الأرض التي أنجبته وأحبها وكتب فيها آثاره المختلفة»[٤].

ولد في المسيلة ونشأ، واشتهر وألف في القيروان ولقي ربه في صقلية سنة (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) تاركا عدة آثار، في اللغة والأدب والنقد والتراجم أهمها أربعة أعمال، مجموعة:

١ ـ «قراضة الذهب»[٥] كتيب صغير الحجم، عني فيه بالسرقات الأدبية.
٢ ـ «أنموذج الزمان في شعراء القيروان»[٦].
٣ ـ «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»[٧].
٤ ـ «ديوان ابن رشيق»[٨].

وإن كان (قراضة الذهب) مجاراة سريعة لما بات متداولا في نقد الشعر فان الأنموذج استمرار لتقليد علمي فكري سليم في حضارتنا العربية الإسلامية، ضمنه المؤلف تعاريف برجال شعر ممن عرفوا في القيروان على أيامه، بينهم النازحون إليها من مدينة المسيلة ذاتها، مع نماذج مختارة لهم، فكانوا مئة شخصية واسمه هو تمام المئة في نهاية الكتاب، بالصفحة (٤٣٩).

ولم يرد من بين قائمة الشعراء سوى امرأة واحدة هي (خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري) المسماة (خدوج الرصفية) قال عنها يومئذ «هي شاعرة حاذقة مشهورة بذلك في شبيبتها، وقد أسنت الآن وكفت عن كثير من ذلك»[٩].

أما «العمدة» فهو عمل رزين غني بالأفكار، والآراء، والنظريات والنماذج النقدية والأدبية، عليه قامت شهرة ابن رشيق، فوصفه ابن خلدون نفسه في مجال النقد بالانفراد بهذه الصناعة التي «أعطاها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله».

والكتاب يقع في مجلدين اثنين، حظي بتأني المؤلف في تصديه لقضايا الشعر، بما فيها (السرقات) التي لامسها في (القراضة) وإلى جانبها قضايا النثر، وأخبار الكتاب والشعراء، ووظيفة الشعر وأركانه، وألفاظه ومعانيه وعيوبه، فضلا عن الأبواب المعروفة: كأنواع البديع، والايجاز وحدود التشبيه، والرمز وسواه، زيادة عن موضوعات الشعر: وأعلامها: مثل النسيب، والرثاء، والفخر، والوعيد والاعتذار، فيتوقف عند أسماء معينة كثيرا، وعند أخرى قليلا.

فهو كتاب نقدي بلاغي، تاريخي أدبي يبقى أهم ما أنجز في النقد بالمغرب العربي القديم، لا تزال له أهميته وحيويته في النظرية الشعرية، خصوصا، وفي الدراسات النقدية والأدبية عموما في الوطن العربي.

في مجال الشعر كتب (ابن رشيق) في أهم الأغراض الشعرية، وقد شجعته حياة البلاط لدى المعز بن باديس الذي قربه إليه، وكان ثالث ثلاثة لهم صيتهم الشعري والنقدي في بلاط (المعز) إلى جانب ابن شرف وعبد الكريم النهشلي[١٠] كتب في أهم الأغراض وفي مقدمتها: المديح، والرثاء بشكل متميز، أهم ممدوحيه (المعز بن باديس):

معز الهدى لازال عهدك دانيا
وزينت الدنيا لنا بحياتكا

وحين توفي (المعز) في المهدية سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) بعد فراره إليها من الاجتياح الهلالي للقيروان (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) رثاه بقصيدة يقول فيها عنه:

ما كان إلا حساما سلهُ قدر
على الذين بغوا في الأرض وانهمكوا
روح المعز وروح الشمس قد قبضا
فانظر بأي ضياء يصعد الفلك

.. كما كان شديد الألم لموت أصدقائه، من بينهم قاضي (المسيلة) الذي وصله خبر وفاته يوما، فقال:

يا شؤم طائر أخبار مبرحة
يطير قلبي لها من بين أضلاعي
مازلت أفزع من يأس إلى طمع
حتى تريع يأسي فوق أطماعي

.. وتتجسد قدرة ابن رشيق في هذا اللون بمطولته في رثاء القيروان بعد الخراب الذي سببه الاجتياح الهلالي، فهي من أجود ما كتب في رثاء المدن، تصويرا، وتعبيرا:

كم كان فيها من كرام سادة
بيض الوجوه شوامخ الايمان
علماء إن سائلتهم كشفوا العمى
بفقاهة وفصاحة وبيان
كانت تعد القيروان بهم إذا
عد المنابر زهرة البلدان
وتجمعت فيها الفضائل كلها
وغدت محل الأمن والأمان

.. ثم يتحدث عن المحنة التي أصابت أهلها، والمسلمون صامتون، بل يتفرجون على المنكرات

يتعرض لها مسلمون آخرون في (القيروان):

والمسلمون مقسمون تنالهم
أيدي العصاة بذلة وهوان
خرجوا حفاة عائذين بربهم
من خوفهم ومصائب الألوان
هربوا بكل فطيمة ووليدة
وبكل أرملة وبكل حصان
والمسجد المعمور جامع عقبة
خرب المعاطن مظلم الأركان
قفر فما تغشاه بعد جماعة
لصلاة خمس، لا ولا لأذان
أعظم بتلك مصيبة ما تنجلي
حسراتها أو ينقضي الملوان

لقد كانت نكبة (القيروان) نكبة إنسانية حضارية، دفع الجميع فيها ثمن الأغراض السياسية الدنيئة وهي تسخر (الغوغاء) التي لا تعي ما تفعل، وكان هذا الثمن من حساب المعز وابن رشيق معا وقد لازم هذا الأخير الأول حتى لقي ربه في (المهدية) سنة (٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) فبقي ابن رشيق في قصر خلفه تميم لكن العلاقات سرعان ما ساءت بين الشاعر والأمير تميم حين بدأت جحافل الهلاليين تهدد المهدية نفسها، فأقبل ابن رشيق على تميم مهموما في مصلاه فجرا بما يهدد المهدية بعد القيروان فحياه الشاعر، مشجعا مهونا من خطر الأعداء، مخاطبا إياه:

تثبت لا يخامرك اضطراب
فقد خضعت لعزتك الرقاب

.. فاستاء الأمير من الشطر الأول، وانفعل: «ويلك متى عهدتني لا أتثبتُ، إذا لم تجئنا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا؟.. فخرج ابن رشيق يومئذ من عنده على غير طريق، لا يعقل ما يطأ، ولا يدري إلى أين ينكفيء، وكانت وجهته إلى صقلية، وكان ابن شرف قد سبقه إليها»[١١].

وجد الشاعر نفسه مجبرا لركوب البحر، الذي قال فيه يوما:

خلقت طينا وماء البحر يتلفه
والقلب فيه نفور من مراكبه

* فبدا في ذلك وصافا جيدا أيضا:

ولقد ذكرتك في السفينة والردى
متوقع بتلاطم الأمواج
والجو يهطل والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داج

* انسحب ابن رشيق من المهدية إلى صقلية ليلقى ربه في أقل من سنتين تملأ الحسرة نفسه، وتقض الآلام مضجعه، ولسان حاله لا يفتأ يردد: «أشقى لعقلك أن تكون أديبا» يدق إحساسه بالأشياء الصغيرة، مثلما تعذبه قضايا أمته الكبيرة.

انتهى كما انتهت أجيال معاصرة، أو سابقة أو تالية له، لكن بقي العمل الفكري الذي عكس جهدا ضخما لواحد من أعلام الفكر العربي في الجناح الغربي من الوطن العربي، عكس موهبة فنية وفكرية وإرادة فذة في البحث والمعالجة والاستنباط والتحرير.

الهوامش:

(١) د. عمر بن قينة، أدب المغرب العربي قديما، ص ٥٧، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤م.

(٢) د. فيليب حتّي وآخرون، تاريخ العرب المطول، ج ٢، ط ٤، ص ٧٢٠، دار الكشاف للطباعة والتوزيع ١٩٦٥م.

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط:٣، ص ٢٤٩، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ١٩٦٥م.

(٤) د. عمر بن قينة، أدب المغرب العربي قديما، ص ٨٩ - ٩٠.

(٥) نشرته مطبعة (النهضة المصرية) ١٩٢٦.

(٦) آخر جمع وتحقيق علمي لهذا الكتاب قام به الأستاذان: محمد العروسي المطوي، وبشير البكوش، نشر بالاشتراك بين الجزائر (المؤسسة الوطنية للكتاب) وتونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٨٦.

(٧) تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط:٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ٣ سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(٨) قام بجمعه الدكتور عبد الرحمن ياغي، سلسلة المكتبة المغربية، رقم ٣، دار الثقافة، بيروت، من دون تاريخ.

(٩) أنموذج الزمان، في شعراء القيروان، ص ١٢٣.

(١٠) د. بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، ص ٢٥، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١.

(١١) ابو البركات عبد العزيز الميمني، النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٩٤٣

جبران خليل جبران

قصة حياته بقلم: ميخائيل نعيمه

بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

كان لهذا الكتاب دويّ هائل بين الكُتّاب حين صدوره، لأنه فاجأ القراء بما لم يكونوا يتوقعونه، فالمؤلف صديق جبران، وموضع سرّه ونجواه، والمنتظر منه في رأى المعترضين عليه أن يسبغ على صديقه حلّة زاهية من الثناء، وأن يتحدث عن مواقف إنسانية نبيلة جديرة بشاعر ملهم ومصور بارع وكاتب رقيق مجدد مثل جبران خليل جبران، وقد نسى هؤلاء أن ميخائيل لا يكتب عن أدب جبران، بل يتحدث عن حياته وقصة موته، وهو إذا اشتهر من قبل بتمجيد جبران، وبصداقته الحميمة فذلك شيء لا يدخل في حساب الترجمة الأمينة لحياة فنان مختلف الأهواء متضارب الميول، وأذكر أنى كتبت في مجلة الهلال بحثا تحت عنوان «حينما يكون المؤرخ صديقا للمترجم» تحدثت فيه عن واجب المؤرخ الصديق، وأيدت وجهة ميخائيل نعيمه فيما أمضاه من كشف لأسرار صاحبه، ما دام ملتزما الصدق دون تزيد أو افتعال، وقد رد عليّ قوم يخالفون وجهة نظرى في تأييد ميخائيل نعيمة، وينحون باللائمة عليّ ، وذلك سهل منتظر، ولكنهم يمتدون باللوم إلى المؤلف الكبير، ويصفونه بالعقوق ومنهم من تورط في تعليل واه لا يقوم على أساس فقال: ان ميخائيل نعيمه حسد جبران على مكانته في حياته وبعد وفاته بدليل أنه قال في مقدمة كتابه إنه حين عاد إلى الشرق بعد وفاة جبران بأيام وجد صديقه قد تحول إلى أسطورة لفرط إعجاب الناس به، فهو في نظرهم ليس جبران الذى رافقه خمس عشرة سنة وخبر أحلامه وآلامه وبلا قوته وضعفه. وراقب جهاده العنيف مع نفسه، ولكنه في نظر محبيه نبيٌّ مثالي! وقد استمع ميخائيل إلى كثير من الأصدقاء يطالبونه بكتابة تاريخ لجبران، فتردد باديء ذى بدء ثم رأى أن يقتحم العباب ليقول كما يعتقد.

ونحن نعرف أن ميخائيل أعمق ثقافة من جبران، وأوسع اتجاها في أفقه الفكري، ونتاجه الحافل المتشعب يجعله أديب المهجر الأول، وأديب لبنان الأول دون نزاع، كما نعرف عنه روحانية شفافة تنزع به عن الدنايا وإنسانية رفيعة .. وإنسان بهذا الشعور لابد أن يكون قد كابد عنتا مرهقا في سبيل ما يريد أن يصدق في قوله، وقد عبر عن ذلك كله حين قال:

«إن في حياة كل إنسان أسراراً يكتمها عن الناس، وقد وقفت على بعض من أسرار جبران، وفاتنى منها الكثير، فهل يليق بى أن أبوح ولو ببعض البعض الذى أعرفه، وأنا إن كتمته فما معنى الذى أكتبه، أأخون نفسى والقاريء وجبران

بكتمان ما ليس مكتوماً في سجل الحياة الكبرى، وإن يكن مستورا عن أعين الناس فأصور صورة لأوازن بين ظلالها وأنوارها لأرضى بعض من لا ذوق لهم في الفن، ولا رأى لهم في الحياة،وأجور على ذوقي وأدفن رأيي في التراب، وإن أنا لم أكتمه فكيف لي أن أبوح به من غير أن أظهر في عين القارىء كما لو كنت أدين أخي بهفوات قد لا أكون بريئا منها».

وإذن فلميخائيل مذهب في كتابة الترجمة الإنسانية، يتلخص في أنه يجب أن تكون الترجمة صورة أمينة لواقع الحياة، كما أن له رأيا في الإنسان وكل إنسان، وهو أنه ليس مبرءا من النقائض، فلكل انسان انحداراته الهاوية وارتفاعاته السامية، ولا يعطى الكمال أحد، إنما المسألة نسبية فحسب، فحين تتغلب مظاهر السمو على مناحي الهبوط فالإنسان مجاهد مناضل، وحين تتسع هوة الهبوط فصاحبها ضعيف متخاذل، وهذا قياس لا يجادل فيه من خبر النفس البشرية وعرفها عن عيان، وقرأ عنها في القديم والحديث! والذى يؤكد إخلاص نعيمة في منهجه أنه كتب بعد أعوام طوال سيرة حياته، فألمّ بما تطرق إليه من نزوات الهبوط، وسجل ذلك على نفسه، وكأنه أمام محقق قضائي، وإذن فلا يلومه أحد إن حاسب صديقه بما حاسب به نفسه! لا سيما أن جبران في بعض قصصه قد اعترف ببعض نزواته، فهل يكون نعيمة ملكيا أكثر من الملك كما يقال!.

تعرض نعيمه لوصف الزلة الأولى التى وقع فيها جبران في صدر شبابه، وصدق في تصوير إحساسه الناقم بعد هذه الكبوة حين قال عن صديقه[١] «لكنه ما مشى بضع خطوات في الشارع حتى تحوَّل اللهيب في داخله إلى قشعريرة اشمئزاز وندم وراح يؤنب نفسه تأنيبا موجعاً.

هذه الزلة الأولى التى كشفها ميخائيل نعيمة! ومن الغريب أن الأستاذ الكبير فليكس فارس قد أنكرها لأنه صاحب جبران عدة شهور ولم يحدثه بها! كما لم يحدثه بالزلات الأخرى التي سردها نعيمه! والأستاذ فليكس أديب بارع حقا، ولكنه طيب القلب إلى حد مفرط ، لأنه كان يظن أن صحبة جبران في المهجر بضعة شهور تجعله حين يزوره في فترات متقطعة يفتح له كتابا يقرأ فيه جرائره، وإذا لم يفعل، فذلك دليل على أنه لم يقترف إثما!.

وقد نمضى مع هذا المنطق إلى نهايته من باب التسليم الجدلي فنقول: وماذا بعد الشهور القليلة التى ترك فيها صاحبه لسنوات طوال، أكان من الحتم عليه أن يراسله بخطابات عن وقائعه المستحدثة من بعد، وإذا لم يفعل ذلك، فمعناه أنه لم يقع في خطيئة ما؟!

وأسوأ زلة وقع فيها جبران زلته مع من تدعى (ميشلين) وهي فتاة شابة وصفها جبران ـ كما تحدث عنه نعيمه ـ بأنها ذات شعر أسود به لمعان يأسر العين ويكهرب اليدين إلى حد أن الناظر لولا قوانين الحشمة واللياقة لا يتمالك أن يمسه مكررا. وفي عينيها العسليتين الواسعتين كحل من النور الذي يبرز بالنهار من أحشاء الليل، ويسيل الليل من أجفان النهار، وفي بشرة وجهها الصافية حمرة الشقيق إذا تفشت في صفرة العاج، وفي ابتسامتها صفة الطفل وطهارته، وفي ضحكتها كركرة الجدول النقي الطروب، لكنها قلما تبتسم وقلما تضحك، كأن سنيها العشرين علمتها أن في كثرة الهرج تهلكة للجمال، وفي الرزانة أمنع حصن له».

هذه الشابة الجميلة رآها جبران في مدرستها التي تعمل بها معلمة، ووقعت من نفسه موقعاً شديدا الارتجاف، وفي وصفها السالف ما ينبىء عن تحفظها وتماسكها، فهى لا تحب الهرج كى تحافظ على مكانتها، وتميل الى الرزانة لتكون حصنا مانعاً من السقوط! وقد صمم جبران على خديعتها، فأخذ يقرأ لها في الجلسات الأولى بعض عاطفياته التى تتحدث عن القبلة والعناق، ويلوح لها

بالزواج (القران) لتطمئن إلى سلوكه، وحديث الزواج إذا صادف آنسة مخلصة يقع من نفسها أطيب الموقع! فإذا وجدها مالت إلى حديثه أخذ يسحرها بما عبر عنه ميخائيل نعيمة في قوله[٢]:

«أنت لا تعرفين من أنت يا ميشلن، أما أنا فأعرف ، لقد عرفتك قبل أن ولدتك أمك، فقد كنت شوقا هاجعا في أعماق كياني قبل أن صرت كلمة مرتعشة من شفتي الحياة، وقد كنت حياة في عروقي قبل أن مشيت دماً ساخنا، في مفاصل الأرض، وكنت دقة علوية في قلبي قبل أن تكوني نبضا راقصاً في ساعد المسكونة، وما فصلتنا الحياة يوما إلا لتجمعنا. ولا جمعتنا إلا لتبصر نفسها كاملة بكمالنا، واحدة بوحدتنا، منذ ولدتُ وأنا أفتش عنك، ومنذ ولدت وأنت تفتشين عني، كل صوت خرج من صدرك حتى ساعة التقينا كان معناه، أين أنت يا خليلي؟ أين أنت، كل خطوة خطوتها حتى اليوم كانت لتدنيك مني، وما أهلك وما أهلي وما كل ما انتابنا من ألم ولذة، وما كل ما أكلناه وشربناه، وحلمنا به واشتهيناه غير حروف وكلمات تتألف منها مقدمة السفر السرّى الذى هو حبنا».

ماذا يرى القارىء في هذه الانتفاضيات العاطفية الصارخة؟ ألا تحس الشابة المسكينة ذات العشرين عاما فقط أن صاحبها صادق فيما رسم من أحاسيس جعلتها تائهة في محيط عاصف لا تعرف زعازعه الاستقرار، لقد وعدها بالزواج وكان هذا أقوى مفاتيح قلبها! وكم خدع هذا المفتاح عذارى سقطن في هوة الخسارة حين وثقن به، لقد اطمأنت إليه وأسلمته نفسها، ثم أخذت تسائله عن تمام القران رهبة من قول الناس! فأخذ يراوغها بمنطقه المترفع، منطق من يزعم لنفسه قيمة ممتازة ليست لسواه، فكان مما قال[٣]:

الناس: الناس: أنا أكره الناس، وسبيل الناس، وأكره من يحبهم ويسير في سبيلهم، هم كالدجاج لهم أجنحة ولكنهم لا يطيرون، وألسنة ولكنهم لا يغردون، ومخالب ولا يفتشون بها إلا على الديدان والأقذار هم لا يبيضون الا في أكنان تقاليدهم المظلمة، وأنظمتهم النتنة، أعطني ولو فرخ نسر واحد وخذي كل دجاج الأرض!

صعقت الفتاة لا محالة بهذا الرد، فاندفعت تقول: ولمن ترسم رسومك يا خليل أليس للناس؟ ولمن تنظم قصائدك يا خليل؟ أليس للناس، وبأقلام من تكتب وترسم يا خليل أليس بأقلام الناس؟ وخبز من تأكل يا خليل؟ أليس خبز الناس!

فانطلق يرد غاضبا: أنت منهم انت كذلك انهم الديدان والأكفان، وأنا كالنسر لا أرضى غير الفضاء ميدانا، فسبحان من جمع بين النسر والدجاج .

قالت في دهشة: اذن أنا غذاء لجسمك لا أكثر ولا أقل أنا مطية شهواتك، أنا ألعوبة في يدك وحبنا ليس الا فرخ الدجاجة، أنت لا تعرف إلا نفسك ! لقد أصبحت مضغة في أفواه بنات المدرسة ومعلماتها! تقرأ لي قصائدك ثم تؤنبني إذا لم أهتف إعجابا بكل مقطع! وتقول أني من تراب!

هذه وصفحات على غرارها، نقلها ميخائيل، وطبيعى أن المراد هو الطابع العام للحوار الذي دار بين الاثنين، نقله جبران لصديقه بأية عبارة! وشاء ميخائيل أن يصوغه كما انطبع في نفسه، أى أنه ترجم ما سمعه في أسلوبه الخاص! ولن يكون هذا مأخذا، إنما المأخذ إذا كان ميخائيل قد اختلق حديث الحبيبين اختلاقا! ولكن الثابت أن علاقة ميشلين بجبران كانت مشتهرة، وأنه وعدها بالزواج وحين أحست بثقل الجنين في أحشائها توسلت إليه أن يعلن ارتباطهما في قران علني فأبى، أشار عليها بالاجهاض! هذا الثابت يجعل الحوار السابق شيئاً طبيعيا، وقد قال ناقدو ميخائيل نعيمة: ان جبران لم يدون الحديث في مذكرات وقعت في يد صاحبه فنقل عنها، ولكنه تخيل، وأنا أقول، ماذا تخيل؟ لقد تخيل ما يمكن أن يقال في خديعة تمت على مسرح الحياة محبوكة الأطراف، وقد تألم لإجبار المسكينة على

الإجهاض بعد أن سُدت أمامها السبل؟ فإذا أنكر المعترضون ما سجل ميخائيل من سؤال وجواب؟ فليتصوروا أيّ حوار أدى الى الغضب والإجهاض، وما يتخيلونه لن يفترق في شيء عما صوره ميخائيل نعيمه إلا في الألفاظ! لقد بذلت المسكينة دموعها الساخنة حين قالت[٤].

آه يا خليل أنا قانعة بأن أكون الحصير تحت رجليك، والغبار على حذائك، دعني أخدمك فأغسل ثيابك ، وأكنس غرفتك، وأعد قهوتك، وأطبخ لك غذاءك وعشاءك، ولكن لا تسلني أن أكون خطيئتك، فلم تسمع ما يرضي، فعادت تداوره من ناحية أخرى إذ تقول:

«لو درى أقاربك وأصحابك بأنك تساكن امرأة ليست زوجتك، أفما كانوا يقطعون عنك معونتهم؟ فيرد: لا لا : يستحيل أن يدروا ، فهم في بلاد ونحن في بلاد! وبعد حوار سجله المؤلف: وثبت مشيلين الى الباب شاهقة بدموعها، وانحدرت إلى الدرج بسرعة لم تر معها الدرجات ولا عرفت أين كانت تقع قدمها، ولا إلى أين كانت تقودها».

هذا بعض ما يتضمن كتاب ميخائيل عن صديقه، ولم أشأ أن أتعرض إلى علاقة ثالثة بامرأة عطفت عليه ورتبت له مبلغا شهريا يأكل منه: ثم علمت بانحداره، فأبت أن تقترن به، وكان مضطرا لذلك طمعاً في راتبه الشهرى الذى يناله منها عطفاً دون استحقاق!.

لقد حاول الكاتب الكبير الأستاذ فليكس فارس أن يدافع عن جبران، فكانت حجته القوية أن الرجل لم يحدثه عن ما ذكر نعيمه! مع أنه لم يصاحبه غير سبعة أشهر أقامها في المهجر معه ومع سواه، ولم يكن مختصا به، بل كان أديبا يزور أديبا، وبينهما من المجاملات ما يخلع على الزيارة المتعطفة طابع الاستحياء والتأدب، وقد أحس الأستاذ فليكس بضعف موقفه فقال في ردّه[٥] مخاطبا ميخائيل نعيمة.

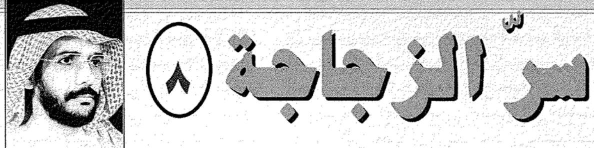
«أيها الكاتب العبقرى، أيها المفكر اللبنانى الذي يجول في دمه شمم لبنان، أفما كان يجدر بك وأنت تكتب حياة علم من أعلام الأدب في الشرق، أن تستنير بما فيك من نور، وبما فيك من كرامة، أما خطر لك وأنت تكتب لنا هذه العيوب، بل هذه الجرائم سواء أكانت هذه الوقائع حقيقة أو خيالية أنك تسيء إلى الأدب العربي، وتسيء إلى الناشئة العربية التي تطلب من أرباب القلم أن يخلقوا لها المثل العليا لانتهاج سبيل العدل والنخوة والمروءة في الحياة».

وهو قول مثالي لا واقعي!

أما منهج الكتاب، فقد ارتاح إليه نفر من الناقدين، وأخذ عليه نفر آخر، أن المؤلف بدأ الكتاب بالخاتمة إذ وصف مرض جبران واحتضاره، وحين تحدث عن أسرته أحاط ميلاده بجو شعرى، حيث انطق الأم والقابلة والوالد بأقوال لا يظن أحد أن ميخائيل قد سمعها من أصحابها، بل لا يظن أحد أن الوليد الصغير كان يدرى عنها شيئا، حتى خرج بهذا الفصل عن كونه ترجمة لميلاد واقعى إلى كونه قصة خيالية، ولبعض الناقدين وجهة تميل الى هذا التصوير باعتباره خيالا يقرب من الحقيقة ولا يباعدها، وذلك معقول في قصة يبتدعها قصاص يبتكر أشخاصها من تأليفه، وليس بمنتظر في ترجمة إنسان يعرف الناس حياته، أو يريدون أن يعرفوها على وجه متحقق لا مخيل، هذا وقد أغفل المؤلف أدب جبران فلم يتعرض له بتحليل، ولم يحدد مكانته الرائدة في الأدب المهجرى، غير حدث عابر عن وصفه لكتاب (النبي) الذي ألفه جبران وتوضيح أثر الفيلسوف الألمانى نيتشة في صاحبه، وليس هذا بشيء في جانب ما يقال أو ما ينتظر أن يقال في أديب رائد له ابتكاراته الذائعة. وقصصه الرائعة دون جدال.. ومهما كان من ملاحظة فكتاب نعيمة من طراز نادر في تأليفه وتصويره، ومجافاته للمجاملة والإغضاء.

الهوامش:

(١) جبران ص ٤٩ ط دار الهلال.
(٢) جبران ص ٨٣.
(٣) جبران ص ٨٤.
(٤) جبران ص ١٠٨.
(٥) رسالة المنبر للأستاذ فليكس فارس ص ١٧٦.




سرّ الزجاجة (٨)

بقلم: د. عبد الرزاق فراج الصاعدي

الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة ـ

٣٠ ـ رحلة الضب:

خرجنا من المدينة في يوم غائم، واتجهنا شرقاً على طريق القصيم، وكنا خمسة كلهم أكبر مني وإن كنت أسن من بعضهم، وهم جميعاً يفوقونني علماً وفضلا، ويتفوقون عليّ في طرق اصطياد «الضب» ومعرفة أسراره، وكيفية ذبحه وسلخه وطبخه وأكله وهضمه.

أما أنا فكانت معرفتي في ذلك كله ضحلة، لا تغني في مثل هذه الرحلة المعد لها إعداداً جيداً، ولا تسعف في تعقب الطرائد من الصيد، وفي الكرّ والفرّ، ومع ذلك تعلمت لذة الصيد، فكنت أجدها كلما رأينا ضبا يرفع رأسه على باب جحره كطائرة الكونكورد لحظة الإقلاع، وكنت أحسها تحت لساني كلما رأيناه يلوي عكرته على باب جحره كعلامة الاستفهام أمام عيني طالب بليد، أو رأيناه يتسحب متثاقلا في مرتع خصيب وعينه على جحره، فأيقنت أنني أضعت شطراً كبيراً من عمري في الاصطياد في بطون الكتب، والبحث في الأوراق الصفراء، واستنشاق غبارها الخانق، والناس تصطاد الأرانب والضباب في سعة من الأرض الخضراء التي لا يدرك مداها، ولا تشبع الرئة من استنشاق هواها.

وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاثة أيام عدت منها بمعلومات عن الصيد جمة، وفوائد لا أحصيها، ومهارات متعددة، منها أنه أصبح بإمكاني أن أمسك بعكرة الضب بقبضة يدي وأرفعه وهو ميت طبعاً، وصرت آكله وهو مطبوح طبعاً، ولكن نفسي لم تتمكن من استساغة طعمه، وهو عيب من عيوبها، أما أنا فعيبي أنني لم أكرهها على ذلك، فهي مدللة في مسألة الضب.

لا تهزءوا بنا ـ أيها القراء الكرام ـ فنحن وأنتم عرب، والعرب الخلّص هم حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وليسوا أكلة الشواريز وباعة الكواميخ، لقد كان أجدادنا يتفننون في صيد الضب وأكل لحمه وشحمه وبيضه الذي لم ينضج في بطنه، وكان الأعاجم في العراق يعيبونهم لذلك ويقول شاعرهم:

ومكْنُ الضِّباب طعام العُريب
ولا تشتهيه نفوس العجمْ

ومكن الضباب: بيضة، الواحدة: مكنة.

٣١ ـ خطابي إليك :

«قرأت مسائلك التي سألتني أجوبتها في رسالتك التي بدأت بها فشكوت فيها الزمان، واستبطأت بها الأخوان ، فوجدتك تشكو الداء القديم، والمرض العقيم، فانظر ـ حفظك الله ـ إلى كثرة الباكين حولك وتأسَّ، وانظر إلى الصابرين معك وتسلّ، فلعمر أبيك إنما تشكو إلى شاك، وتبكي عند باك، ففي كل حلق شجى، وفي كل عين قذى، وكل واحد يلتمس من أخيه مالا يجده أبداً عنده. ولو كان حدّ الصديق ما رسمه الحكماء حين قالوا: صديقك آخر هو أنت إلا أنه غيرك بالشخص ـ فهيهات منه، إني لأظن العنقاء المغرب والكبريت الأحمر أيسر مطلباً وأقرب وجوداً منه.

وبعد، فإني أرى لك إذا أحببت معايشة الناس ومخالطتهم، وآثرت لذة العمر وطيب الحياة، أن تسامح أخاك، وتغالط فيه نفسك، حتى تغضي له عن كل حق لك، وترى له عليك ما لا يراه لنفسه.

ولا تعوّد عشيرك وجليسك استماع شكواك، فيأنس به، ثم لا يشكيك، ولا تكثر عليه العتب، فيألفه، ثم لا يُعتبُك.

ومن عرف طبع الزمان وأهله، وشيمه الدهر وبنيه لم يطمع في المحال، ولم يتعرض للممتنع، ولم ينتظر الصفو من معدن الكدر.

هذا ما قاله صاحب «الشوامل» مسكويه في القرن الخامس جواباً لخطاب صديقه صاحب «الهوامل» أبي حيّان التوحيدي الذي كان ناقماً على عصره، كثير الشكوى من الناس والزمان، فعاقبهم بإحراق كتبه.

فهل ثمة توحيدي آخر بيننا في هذا الزمان البديع؟

نعم . وهذا خطابي (إليك).

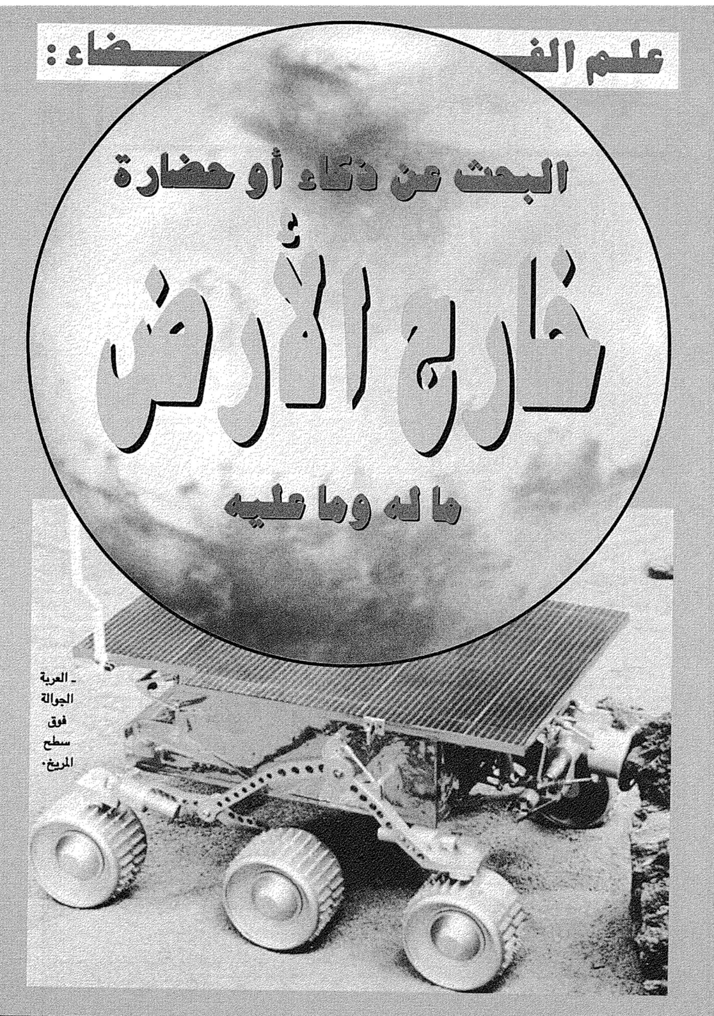
٣٢ ـ قرأت لك :

قال الشاعر:

والناس كالماء إن أرضاك ظاهره
فلا تفتش عن المكنون في الماء

البحث عن ذكاء أو حضارة خارج الأرض

ما له وما عليه



ـ العربة الجوالة فوق سطح المريخ.

جدول مشاريع استكشاف المريخ خلال عام ١٩٩٦م[*]:

اسم السفينة	وزنها	تاريخ الإطلاق	موعد الوصول المتوقع	وكالة الفضاء
Mars Global Surveyor (M G S)	١٠٦٠	١٩٩٦/١١/٦	أيلول (سبتمبر) ١٩٩٧	الأمريكية
Mars 96 (مريخ ٩٦)	٦١٨٠	١٩٩٦/١١/١٦	١٩٩٧/٩/١٢ (فشل المشروع)	الروسية
Pathfinder (باث فايندر)	٨٧٠	١٩٩٦/١٢/٢	١٩٩٧/٧/٤	الأمريكية

(*) فوبوس (يعني الخوف) هو إسم أحد قمري المريخ ويسمى القمر الثاني ديموس (يعني الهلع).

مُني المجتمع العلمي بفاجعة فضائية جديدة، حصلت في السادس عشر من تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٦م الماضي، بفشل سفينة الفضاء الروسية مريخ (٩٦) Mars 96 في آخر مرحلة من مراحل الإطلاق فلم تصل الى المدار المقرر لها وعادت، بعد يوم واحد من إطلاقها، الى الأرض محترقة في جوها، وغرق ما تبقى منها في المحيط الهادي بين ساحل تشيلي وجزيرة إيستر.

لقد استغرق الإعداد لهذه الرحلة عشر سنوات وتأخر سنتين عن موعد الإطلاق المقرر. وكلف هذا المشروع أكثر من ٣٠٠ مليون دولار أمريكي أسهمت وكالة الفضاء الروسية Russian Space Agency بمقدار ١٢٢ مليون دولار أمريكي بالإضافة الى ١٨٠ مليون دولار أمريكي أسهمت بها عشرون دولة أخرى. ولم تكن هذه الحادثة فريدة من نوعها لوكالة الفضاء الروسية فهي الرحلة الحادية عشرة من سلسلة مشاريع استكشاف كوكب المريخ الفاشلة.

وتأتي هذه الخسارة خلال مدة وجيزة بعد خسارة آريان (٥) Ariane 5 في الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٩٦م الماضي الذي فجر في سماء قرية كورو في غيانا الفرنسية بسبب انحرافه عن مساره المقرر بعد ٣٧ ثانية من إطلاقه. واستغرق الإعداد لمشروع آريان (٥) ، من قبل وكالة الفضاء الاوربية ESA ـ European Space Agency ، عشر سنوات أيضاً وكلف حوالي ٢٨٠ مليون جنيه استرليني. مشابها بذلك في مدة الإعداد وبكلفة أعلى من سفينة الفضاء مريخ (٩٦) الذي لحقه بنفس المصير. وكانت فاجعة بعض مراكز بحوث الفضاء مزدوجة بسبب إسهامهم في كلا المشروعين مثل مختبر مولارد لبحوث الفضاء البريطاني Mullard Space Science Laboratory.

بقلم: أ.د.
شذى سلمان الدركزلي
جامعة درم / درم ـ المملكة المتحدة ـ

لقد مُنيت العديد من الرحلات الفضائية الى المريخ بالفشل، مثل مشروع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا)

لرصد المريخ بسفينة فضاء مراقب المريخ Mars Observer والتي فقد الإتصال بها عند اقترابها من المريخ في عام ١٩٩٣، ويُعتقد أنها أنفجرت عند وصولها الى مدارها المقرر حول المريخ. كما فقد الاتحاد السوفيتي (سابقاً) قمرين صناعيين هما فوبوس ١ وفوبوس ٢ أطلقا لدراسة قمر المريخ فوبوس ١ في تموز ١٩٨٨ وكانون ثاني ١٩٨٩ على التوالي، فقد الاتصال بالاول قبل أن يُرسل شيئا وفُقد الاتصال بالثاني بعد إرساله لبعض المعلومات.

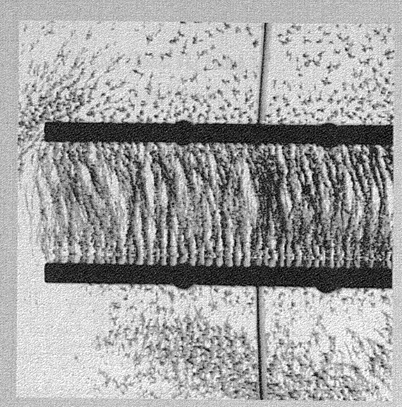
لقد أسهم التعاون العلمي في بحوث الفضاء بين دول العالم كافة الى تخفيف حمى التسابق الدولي القديم الذي كان بين ما يسمى بالمعسكرين الشرقي والغربي. فقد أسهمت عدة دول في مشروع سفينة الفضاء مريخ (٩٦) وهي إحدى ثلاث سفن تقرر إطلاقها في عام ١٩٩٦م لاستكشاف المريخ وكما هو مبين في الجدول التالي.

يُستغل موعد اقتراب الأرض والمريخ من بعضهما والذي يحصل كل ٧٨٠ يوماً (أي كل سنتين وخمسين يوماً) في إطلاق السفن الفضائية الخاصة بالمريخ، وموعد المقابلة بين الأرض والمريخ سيكون في ١٧ آذار (مارس) ١٩٩٧، حيث يصبح بُعده عن الارض ٩٧ مليون كيلومترا، ويليه في ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٩٩، حيث يصبح البعد ٨٥ مليون كيلومترا، ستكون مهمة السفينة الاولى MGS رصد المريخ من مدار حوله لمدة سنة مريخية واحدة (حوالى سنتين أرضية) أما مريخ (٩٦) فكان مقرراً لها رصد المريخ من مدار خارجي لدراسة مغناطيسية الكوكب وإرسال محطتين صغيرتين تستقران على الكوكب لاستكشاف سطحه وكمية المياه فيه. أما باث فايندر (باحث عن طريق) وهي أولى السفن التي ستصل الى المريخ لقصر مسارها، فسترسل عربة (Lander) الى سطح المريخ، ولم يكن من المقرر جلب نماذج عميقة من تربة المريخ وسيكون ذلك مهمة مشاريع مستقبلية في حوالي عام ٢٠٠٦ أو ٢٠٠٨م.

بالرغم من التنبؤات الكثيرة بانهيار معظم بحوث الفضاء الروسية، بسبب المشاكل المالية التي تعاني منها روسيا، إلا أن الأمل كان كبيراً في إنجاز مريخ (٩٦) لمهمتها. إن أهم أسباب فشل مريخ (٩٦)، بالإضافة الي ضخامتها، هو تقليل النفقات، فقد صرّح فازيلي موروز نائب المدير العلمي للمشروع، قبل أسبوعين من الإطلاق، بأنهم ألغوا بعض الفحوصات المهمة على بعض أجزاء السفينة بسبب شحّ المخصصات المالية، كما أن العاملين في المشروع كانوا يعملون على مدار الساعة في الأشهر الأخيرة لكي ينجزوا المشروع في الموعد الملائم للإطلاق بالرغم من عدم استلامهم لأجورهم منذ الصيف. ونفى يوري كوبتيف مدير وكالة الفضاء الروسية إمكانية الوكالة في إرسال أية سفنية أخرى الى المريخ قبل خمس سنوات. حيث تأخذ مشاريع فضائية مشتركة مع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) الموقع الأول من أهتمام الوكالة الروسية. ولكن هناك من يعترض على اعتبار الحالة المالية سبباً للفشل ويقارن فشل مريخ (٩٦) مع فشل آريان (٥) قبل خمسة أشهر

ومراقب المريخ قبل ثلاث سنوات.

إن الإهتمام الكبير الذي حظيت به المشاريع الفضائية لاستكشاف المريخ مؤخراً يعود الى آب (أغسطس) ١٩٩٦م عندما أعلن فريق من الباحثين في مركز جونسون الفضائي في هوستون Johnson Space Center in Houston، التابع لوكالة الفضاء الامريكية (ناسا)، اكتشافهم لآثار مركبات عضوية في نيزك ALH 84001 من كوكب المريخ عاشت منذ بلايين السنين. لقد صاحب الإعلان الكثير من التشكيك والإعتراضات والقليل من التأييد من مجموعات علمية أخرى. وأسعد باحثي مركز جونسون مؤخراً تأييد باحثين بريطانيين لنتائجهم وإن كانت تلك السعادة ممزوجة بنوع من الحذر، فقد اعترض كولن بيللينجر من الجامعة المفتوحة بأن مجموعة بحثه سبقت باحثي ناسا، باكتشافها مركبات كاربونية في النيزك المرقم EETA 79001 من المريخ، بسنين وأعلن ذلك في مؤتمر لعلماء الفلك البريطانيين المختصين في البحث عن الحياة خارج الأرض عقد برعاية وزير العلم البريطاني في بداية شهر تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٦م. وتزامنت رحلات الفضاء الى المريخ مع أكتشاف الفلكيين وجود كواكب تحيط بنجوم تشبه شمسنا في مجرتنا درب التبانة.



آثار القوة الكهرومغناطيسية

إن طموح الانسان في البحث عن حياة خارج الأرض يصاحبه طموح أكبر في العثور على ذكاء أو حضارة خارج الأرض. وعندما نتوقع وجود حياة خارج الأرض فلم لا نتوقع وجود ذكاء وحضارة متطورة أيضا؟ لقد تلت بدء عصر الفضاء بفترة وجيزة فكرة البحث في الفضاء عن مثيل للانسان وحضارته والسعي للاتصال بهذه الحضارة أو الحضارات، بدأ المشروع في أوائل الستينيات واعتمد على إرسال إشارات راديوية الى اتجاهات محددة في الفضاء وتوقع الحصول على استجابة ما! وكان تطور وسائل علم الفلك الراديوي Radio Astronomy ومراصده المحفز الأول للباحثين الذين يأملون تعلم الكثير ممن يعتقدون بوجودهم «على البعد هناك في

الخارج».

علم الفلك الراديوي ومراصده :

يُعد هذا العلم ، وهو أحد فروع علم الفلك، من أحدث العلوم المعاصرة الذي يختص برصد الاشعة الكهرومغناطيسية المحددة بالمنطقة الراديوية، أي الاشعة ذات الطول الموجي الممتد بين سنتمتر واحد الى حوالي ٣٠متر. وهذا المدى من الاشعة يصل الى سطح الارض دون أن يتعرض الى امتصاص أو توهين، كما هو حال اقسام اخرى من الطيف الكهرومغناطيسي، لذلك يمكن رصده على سطح الارض بكل يسر. إلا أن المشكلة الاساسية التي تواجه رصد الاشعة الراديوية هي بخار الماء الموجود في الهواء والذي يؤثر على معامل انكسار الهواء ويؤدي الى تغيير الطول المؤثر لمسار الموجات الراديوية.

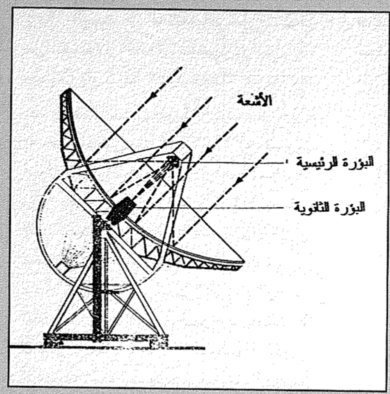
تطور هذا العلم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث تقدمت البحوث في تطوير الرادار الذي استخدم أثناء الحرب كما هو معروف لرصد الطائرات المعادية والاستعداد لها قبل وصولها الى اهدافها. وكان المهندس الامريكي كارل يانسكي (١٩٠٥ - ١٩٥٠) هو أول من اكتشف أشعة الفلك الراديوي في عام ١٩٣٢، عندما كان يعمل لشركة بيل للهاتف. كانت مهمة يانسكي هي إيجاد مصدر التداخل والضوضاء الناتجة في الخطوط الهاتفية لاتصالات عبر المحيط. وجد يانسكي أن الضوضاء الخلفي الذي يصاحب البث الراديوي في الموجات الراديوية القصيرة يتغير خلال اليوم ويصل أقصى مداه عندما تكون مجرة درب التبانة في سمت الرأس مباشرة فاستنتج أن مصدر «الضوضاء» هو من خارج الارض وفتح بذلك بوابة علم الفلك الراديوي.

يتم الرصد الراديوي باستخدام اللاقطات المشابهة للقطات الموجات التي تبثها محطات الاذاعة والتلفزيون المختلفة، أو ما يسمى بالايريل أو الانتينا أو الهوائي. وتكون لاقطات المراصد الراديوية على شكل أطباق مقعرة، (تشبه المرايا المقعرة في التلسكوبات) ويوجد في بؤرتها كاشف ملائم (مستلم راديوي) لتجميع الارصاد، كما في حالة مرآة التلسكوب البصري التي يتجمع الضوء في بؤرتها، ثم تنقل الارصاد الى الحاسوبات المخصصة لتحليل الارصاد، وهذا ما يسمى بالتلسكوب الراديوي كما في الشكل«١»، وكما في أنواع المراصد الفلكية الاخرى فإن زيادة حجم المرصد، بزيادة حجم الطبق للراديوي أو زيادة حجم التلسكوب للبصري، تعني رصداً أفضل. وتتسابق الدول الصناعية كعادتها في الحصول على قصب السبق في كونها تملك الاكبر.

وكانت الاطباق الكبيرة هي وسيلة تجميع الموجات الراديوية ورصدها، فطبق جامعة مانشستر المعدني في جورديل بانك في بريطانيا يصل قطره الى ٧٦ متراً ووزنه ٢٠٠٠ طن ويحرك بيُسر نحو الاتجاهات المختلفة في السماء. وقد أنجز في آب (أغسطس) عام ١٩٥٧ ليكون اعجوبة جديدة للعالم، مكلفاً ٨٥٠ ألف جنيه استرليني وهو مبلغ هائل في ذلك الوقت. واستمر يحمل

لقب «الاول» في العالم لمدة اربعة عشر عاماً حتى أنجز المرصد الراديوي الالماني، في اوائل عام ١٩٧١ في ايفلسبيرغ قرب بون، بقطر يصل الى ١٠٠ متر ويرصد الاطوال الموجبة الراديوية كلها ابتداء من سنتمتر واحد وكلف حينذاك ٣٤ مليون مارك ألماني.

وبنى الاستراليون مرصدهم لنصف الكرة الجنوبي، الذي افتتح في ٣١ اكتوبر ١٩٦١، بقطر ٦٤ متراً في باركز التي تبعد ٣٠٠ كيلومترا غرب مدينة سيدني في مقاطعة نيو ساوث ويلز الاسترالية. لقد ساهمت هيئات علمية استرالية في دعم المرصد فمنحت المرصد مبلغ ٨٠ ألف جنيه استرليني لبدء العمل الذي لم يتكامل الا بدعم مالى من الولايات المتحدة الامريكية وصل الى حوالي ٨٠٠ ألف دولار أمريكي لاكمال المشروع. وفي بورتريكو استُغلت حفرة طبيعية بقطر ٣٠٥ امتار غُلفت بشبكة من المعدن لتعمل كطبق راديوي ثابت. وأصبحت بذلك ومنذ عام ١٩٧٤ أكبر تلسكوب راديوي ثابت في العالم فثبوت موقعه يجعله محدوداً برصد ما هو فوق سمت الرأس فقط.



- مخطط لطبق تلسكوب راديوي حيث تسقط الأشعة على السطح الكروي للطبق وتنعكس متجمعة في البؤرة الرئيسية ثم تنعكس بواسطة مرآة الى البؤرة الثانوية.

البحث الراديوي عن الذكاء أو الحضارة خارج الأرض:

استغل علماء الفلك من الباحثين عن ذكاء خارج الأرض، المراصد الراديوية في محاولة التقاط موجات راديوية لسكان الكون من خارج الأرض. فكما تطورت العلوم على سطح الأرض واستغلت الأمواج الكهرومغناطيسية المختلفة لأغراض متعددة كذلك يعتقد الباحثون أن «سكان خارج الأرض» لابد وأنهم يستخدمون الأمواج الكهرومغناطيسية أيضاً، وعندما نريد إلتقاط الموجات المرسلة من محطة إذاعية معينة، ثبت برامجها بموجة محددة الطول الموجي، نقوم بتنغيم tunning جهاز الراديو (المستلم) ليلتقط الموجة المعنية. كذلك الأمر مع راصدي «الذكاء» أو «الحضارة» خارج الأرض. حيث تُنغم أجهزة الاستلام، في المراصد الراديوية، على موجة معينة ويوجه هوائي المرصد نحو موقع أو مواقع في السماء على أمل التقاط «بث» منتظم يشير الى وجود ما «هناك».

كان فيليب موريس أول من اقترح عام

١٩٥٩ البحث عن الحضارات خارج الأرض من خلال الطول الموجي الراديوي ٢١ سنتمتر (أو بتردد ١٫٤٢ جيغا٢ هيرتز) وهو خط طيف الهيدروجين H الانبعاثي. وبدأ البحث الفعلي منذ عام ١٩٧٢ ثم أضيفت أطوال موجية أخرى مثل ١٫٣ سنتمتر للماء (كان ذلك في عام ١٩٧٤) و ١٢٫٥ سنتمتر و ١٨ سنتمتر (أو بتردد ١٫٦٦٧ جيغا هيرتز) لبيروكسيد الهيدروجين (كان ذلك في عام ١٩٧٥). كما أن مدى الأطوال الموجية الخاصة بالماء والهيدروجين والبيروكسيد تقع ضمن منطقة قعر الضوضاء الكونية الراديوية، مما يسهل عملية كشفها لقلة تداخل أنواع الضوضاء الكونية الأخرى، ضمن الأطوال الموجية الراديوية الأخرى، معها. وسميت هذه المنطقة بفجوة الماء، كما في الشكل «٢». كما أن علماء الفلك الذين يبحثون عن الهيدروجين في مجرتنا نغموا مراصدهم أيضاً على الخط ٢١ سنتمتر. وهناك من بدأ باستخدام تردد ٢٠٣ جيغا هيرتز دون نجاح يذكر. أنظر الشكل «٢».

في عام ١٩٦٠ استخدم عالم الفلك الأمريكي فرانك دريك ، والرائد الأول للبحث عن الذكاء خارج الأرض، المرصد الراديوي القومي في غرب فرجينيا «للتنصت» على نجمتين شبيهتين بشمسنا هما تاوسيتي وأبسيلون أردياني دون نجاح ومنذ ذلك الوقت تمت أكثر من ٤٠ محاولة من قبل مراصد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (سابقاً) دون نجاح. في عام ١٩٧٣ مثلا تم التنصت الى ٦٠٠ نجمة قريبة تشبه الشمس لمدة نصف ساعة لكل منها، ومنذ عام ١٩٨٣ خصص المرصد الراديوي لجامعة هارفرد الأمريكية برامج حاسوبه المتطورة لمسح مدى واسع من الأطوال الموجبة الراديوية ولمساحة واسعة من السماء دون أن ينجح في تسجيل شيء لحد الآن.

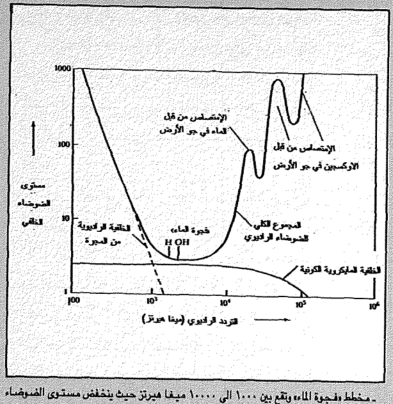
معادلة دريك لعدد الحضارات:

اقترح فرانك دريك، وأسهم معه بعد ذلك كارل ساغان ، معادلة خاصة لتخمين عدد الحضارات N في الكون وسُميت المعادلة بأسميهما واستحوذت على اهتمام الفلكيين منذ اقتراحها في أوائل الستينيات. تعتمد هذه المعادلة على ثمانية متغيرات لمواصفات كونية يمكن معرفة بعضها من الارصاد الفلكية ويمكن تخمين البقية وهي التي لا يتفق الفلكيون عليها بسبب قلة المعلومات المتوفرة عنها. والمعادلة هي: $N = R\, fg\, fp\, ne\, fL\, fi\, fa\, L$.

تمثل رموز المعادلة (من اليسار الى اليمين على التوالي): R_* معدل ولادة نجم في المجرة في السنة، fg نسبة النجوم الشبيهة للشمس، fp نسبة النجوم التي لها منظومة كواكب، ne نسبة الكواكب الشبيهة بالارض في هذه المنظومة، fl نسبة الكواكب التي فيها حياة، fi نسبة الكواكب التي فيها حياة وتطور عليها ذكاء، fa نسبة حضارات الذكاء التي تطورت بتقانة عالية، L المعدل الزمني لعمر الحضارة بتقانة عالية. ويمكن تعيين بعض من هذه العوامل من الرصد الفلكي أما العوامل الأخرى فيمكن فقط تخمينها.

وهناك اقتراحات كثيرة حول قيم عوامل معادلة دريك؛ وساغان، أحدها يعتمد المقدار واحد في السنة (وآخر يعتبره عشرة) للمتغير الأول (R*)، وقيمة ١ر٠ للمتغير الرابع (ne) وقيمة ١٠٠ سنة للمتغير الأخير (L) أما باقي المتغيرات الخمسة فيقدر لكل منها قيمة وحدة واحدة، ويؤدي ناتج الحساب حسب الاقتراح الأول الى الرقم ١٠، أو ١٠٠ حسب التخمين الثاني، بينما يعتقد دريك أن متوسط المقدار يصل الى ١٠٠٠٠ بينما يعتقد آخرون أنه واحد وهو الحضارة الأرضية الحالية والوحيدة في الكون ولا يوجد أي شيء خارج الأرض.

وسواء كان عدد الحضارات عشرة أم عشرة آلاف فلم يصل منها أي رد لحد الآن على الاشارات الراديوية التي ارسلت اليها وبأطول موجية مختلفة، وتختلف ردود الفعل على هذه الأبحاث فقد حذر أحد الفلكيين من إرسال هذه الإشارات خوفاً من الكشف عن «مخبئنا» في الكون على هذه الأرض فيشجع ذلك «الغرباء» على غزو الأرض، كما أن آخرين يقولون ساخرين أن هؤلاء «الغرباء» إن وجدوا، فلابد أنهم بعد مشاهدتهم لبرامج محطات التلفزيون المختلفة فروا مبتعدين عنا في هلع بسبب مشاهدتهم للعنف والحروب والجرائم والكوارث التي تعم الأرض كما يعرضها التلفزيون والتي هي من صنع يد الانسان.



ـ مخطط «فجوة الماء» وتقع بين ١٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ ميغا هيرتز حيث ينخفض مستوى الضوضاء الراديوي الخلفي لذلك يعتبر ملائماً لاستغلاله في الرصد الراديوي للذكاء خارج الأرض.

مشروع البحث عن ذكاء خارج الأرض:

بدأ هذا المشروع الضخم في الثمانينيات باستخدام مرصد جامعة هارفرد الراديوي وسمي المشروع بأسم «البحث عن ذكاء خارج الأرض» (سيتي) واستحوذ المشروع على تفكير العديد من العلماء وأنشيء معهد خاص به في ماونت فيو في كاليفورنيا خصصت له الميزانيات المالية الضخمة من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا).

وبسبب زيادة «تلوث» جو الأرض بالموجات الراديوية التي تبثها الأرض فقد اقترح الباحثون في (ستي) بناء مرصد راديوي على السطح البعيد للقمر! وكما يعد مشروع سايكلوبس٣ Progect Cyclops أحد المشاريع الضخمة المقترحة التي تتكون من أطباق استلام يتراوح عددها

بين ١٠٠٠ الى ٢٥٠٠ وقطر كل طبق منها ١٠٠ قدم (٣٠متر) تنتشر على مساحة دائرية قطرها ١٦ كيلومتر. ويمكن مسح السماء بكاملها بهذه المنظومة ولكن كلفتها العالية تمنع تحقيق هذا الحلم العلمي الباهظ الثمن.

وفي الثاني عشر من شهر تشرين أول (اكتوبر) عام ١٩٩٢ بدأت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) بأضخم برنامج علمي منتظم للبحث عن الذكاء خارج الأرض، يغطي جزءاً كبيراً من الطول الموجي الراديوي الملائم للاتصالات بين النجوم. ولكن بعد مرور سنة واحدة من ذلك قطع الكونغرس الأمريكي شريان المال عن المشروع ووأده في مهده، إلا أن حماس كبار الباحثين فيه، برئاسة فرانك دريك، لم يضعف وتمكن من الحصول على دعم مالي من القطاع الخاص بمقدار مليون دولار وتغير اسمه الى فينيكس (العنقاء)، ليرمز الى إحيائه بعد موته كما يحدث في اسطورة العنقاء، وانتقل من استخدام مرصد جامعة هارفارد الراديوي الى استخدام مرصد باركز الاسترالي. ففي شباط (فبراير) ١٩٩٥ بدأ رصد ٢٠٠ نجمة مشابهة للشمس وستكون بحوثه المستقبلية في ماونتين فيو في كاليفورنيا حيث معهد «البحث عن الذكاء خارج الأرض». إن آمال الباحثين التي تنتظر استجابة ما من خارج الأرض تعتمد على فكرة تشابه الحضارات الخارجية مع حضارة الأرض، ويؤمل أن يتم تبادل العلم والمعرفة بين الحضارات هذه.

الى أين ؟

إن كلا من فرعي البحث عن الحياة والذكاء (أو الحضارة) خارج الأرض، أو البحث الحياتي (البايولوجي) والبحث الراديوي، يتطلبان المخصصات المالية الكبيرة التي لا تتحمل ميزانيتها إلا الدول الغنية، أو باشتراك دول على تحمل الكلف العالية المطلوبة للتقانة العالية. ويعد أهم محفز على الاستمرار بالبحث عن الحياة أو الذكاء خارج الأرض، وصرف بلايين الدولارات عليه، هو التغير الكبير الذي يأمل العلماء أنه سيطرا على حياة الأنسان على سطح الأرض عند اكتشاف ذلك وما سيؤديه من طفرة كبيرة نحو تقانة راقية عند تبادلها مع هؤلاء «الغرباء».

أن صرف مئات البلايين سنوياً على تطوير الأسلحة الفتاكة بأنواعها العديدة يُعد مبرراً كافياً لصرف واحد بالألف منها على بحوث الفضاء هذه. وفي هذا يشير فرانك دريك في رسالة الى مجلة ساينس (علم) الأمريكية، التي نشرت نقاشات حول جدوى الصرف على مثل هذه البحوث، الى أن كلفة المشروع هي عشرة ملايين دولار في السنة أي ما يعادل خمسة سنتات للشخص الواحد في أمريكا (عدد سكانها حوالي ٢٠٠مليون). ويشير دانيل غولدن مدير وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) كذلك الى مصاريف الأمريكيين على الكحول والمخدرات والفساد التي تقدر بالبلايين سنوياً ويقارنها بميزانية ناسا والتي تقل عن ٢٥ر٠٪ من مجموع الدخل الأمريكي العام. وهناك من يستند الى الفوائد الجانبية التي تنتج من

أبحاث الفضاء، حيث تطورت الكثير من الأجهزة الدقيقة والصغيرة الحجم للإستخدام في رحلات الفضاء والتي تم استغلالها بنجاح في الطب للتشخيص والعلاج بصورة فاعلة بالإضافة الى الإستخدامات التطبيقية والصناعية الأخرى.

وكان اكتشاف وجود مواد حيوية في نيزك مريخي في شهر آب (أغسطس) عام ١٩٩٦م سبباً لتغير سياسة الانفاق على الرحلات الفضائية الى المريخ لتسريع إجراء المزيد من البحوث عن حياة خارج الأرض، وهو أمر غير اعتيادي لبحوث لا يوجد لها تطبيق عملي مباشر أما البحث عن ذكاء خارج الأرض فلايزال يعاني من شح الدعم المالي اللازم بسبب عدم الحصول لحد الآن على أية استجابة «منهم هناك». وليس غريباً أن طالبي المنح المالية من الحكومات لإجراء البحوث، في كافة فروع المعرفة، يجدون المبرر المثالي لقضيتهم، فالباحثون في أسباب الامراض الخبيثة والمزمنة يعتبرون بحوثهم التي تهدف الى تحسين صحة البشر وحياتهم وإيجاد حلول لأمراض البشر على سطح هذه الأرض أفضل وأهم من محاولة البحث عن حياة في عوالم أخرى أو إثبات أن المريخ ليس «عظمة يابسة» وأنه يحتوى على الماء تحت ٥٠٠ متر من سطحه. كما لا مفر من التساؤل: هل يهم العاملين في وكالة الفضاء الروسية، والذين لم يستلموا رواتبهم لعدة شهور، ويعد خسارة مشروع (مريخ ٩٦) بملايينه الثلاثمائة إن كانت هناك حياة أم لا؟.

إن مؤيدي فكرة وجود حياة وذكاء خارج الأرض يعتمدون تاريخ العلوم لدعم رأيهم. فقد كان كوبرنيكوس (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣م) قبل أربعة قرون ونصف أول من قال بأن الأرض ليست مركز المنظومة الشمسية وأنها تدور حول الشمس مخالفاً بذلك الرأى المعاكس السائد في عصره والذي كانت تعتقده الكنيسة وتُحرم تغييره، ثم عرفنا بأن شمسنا ليست نجمة فريدة في الكون وإنما نجمة اعتيادية من نجوم المجرة، ومجرتنا ليست سوى واحدة من بلايين المجرات التي تزخر بأنواع النجوم والمنظومات الشمسية. وهكذا فان المستقبل سيثبت أن وجود حياة وذكاء ليس مقتصراً على الأرض فقط.

ولكن السؤال المحير هو ان إنسان الأرض نجح نجاحاً باهراً في تدمير بيئة أرضه فاستنزف مصادر الطاقة وملأ فضاءها وجوها وأرضها وبحرها بالملوثات والنفايات والأمراض والأوبئة وبلايين الأطنان من المواد النووية الحربية، كما نجح في استغلال التقانة المتطورة التي وصل إليها في اضطهاد وقتل وتشريد الملايين من البشر ولأسباب عديدة، بدلا من استغلال التقانة المتطورة لمنفعة البشرية وحل مشاكلها الصحية والمعيشية. فهل سينجو هؤلاء «الغرباء» المساكين من عدوانية إنسان الأرض وظلمه إن وقعوا بيده؟ أم هل سيفلح «الغرباء» في تخفيف غلواء العدوانية البشرية؟ أم أنهم لا يقلون شراً أو عدوانية عن إنسان الأرض؟ إن الخوف من المجهول أصعب بكثير من الخوف من المعلوم.



بين شمولية الشعار وقوة الاستمرار

كانت مجلة «المنهل» من أوائل المجلات العربية التي تَفَتَّحَ وعيي الأدبي عليها، حتى غدت بحق منهلا أتزود منه بخير زاد، وأعتز بإضافتها كل شهر إلى مكتبتي وعاء علمياً وثقافيا متجدداً. والحديث عن أصالة مجلة ما وقوتها لابد له من ركائز يتأسس عليها الرأي، وإلا فإنه لن يتجاوز حدود المجاملة العابرة، والإجابة غير المدروسة على استفتاءات مكررة، إذ لابد لتلك الركائز أن تتولد في نفس القارىء عبر الزمن، حتى تشكل دافعاً للكتابة، ومن هنا تجيء كتابتي اليوم عن عنوية «المنهل» هذا، وتدفقه السلس إلى عقول القراء في مختلف الأقطار العربية، فبعد عقود طويلة من صداقة «المنهل» قارئة أولا وكاتبة ثانيا ودارسة ثالثا، أجدني مأخوذة بمتابعة هذه المجلة انطلاقا من المرتكزات الآتية:

أولا:

إن الشعار الذي انطلقت منه «المنهل» أنها: مجلة تخدم الأدب والثقافة والعلم» أو مجلة للآداب والعلوم والثقافة، ثم مجلة العرب الأدبية وهو شعار شامل لمختلف المناحي الفكرية، ويبين النهج الجاد الذي ترمي إليه منذ البدء، لكن الشعارات في العادة مهما بلغت من الشمول فإنها لا تشيد بناء متينا، ومهما بلغت من القوة فإنها لن تخترق جدران النفس والعقل ما لم يكن المضمون ناطقا بفحوى الشعار، وما لم يثبت الزمن توافق الشعار مع الموضوعات المطروحة عبر المجلة في مختلف مراحل مسيرتها، فكم من مجلة طلعت علينا ببريق الشعارات والورق المصقول والألوان الزاهية والأسماء الكبيرة.. لكنها ما تلبث أن تنطفىء جذوتها ويخبو بريقها، بمجرد أن يكتشف وعي القارىء وحصافة الناقد تلك الوجبات الغثة التي تمرر عبر زخرفة المائدة، ويقف على ما فيها من أفكار دخيلة وانحراف عن جادة الحق، حتى لتتحول إلى ساحة لطرح الغريب باسم الأصالة والترهات باسم الحداثة. أقول هذا وبين يدي «المنهل» كواحدة من قليل من المجلات التي بقيت محافظة على أصالة الطرح وتنوعه وشموليته عبر مسيرتها، فكانت بحق مجلة ثقافة وأدب، بعيدة عن الإسفاف والمواربة.

ثانيا:

إن الناظر في مضامين أعداد المجلة عبر مسيرتها، يجدها مجلة جامعة تكاد تكون مدرسة في كل المجالات التي تطرحها: التراث والأدب الحديث (بشعره ونثره) والتاريخ واللغة والاجتماع، إلى جانب العدد السنوي الخاص والسنوي المتخصص منها، دون أن تنسى هويتها وهوية مؤسسها الأديب الرائد (عبد القدوس الأنصاري) الأديب العالم الموسوعي المعرفة، فحفلت بما يكشف عن الوجه الحضاري والنهضوي للمملكة العربية السعودية، في مختلف مناحي الحياة.

ثالثا:

تشكل المنهل في ما بين دفتي غلافها، عدداً من المجلات نخص بالذكر منها: العلوم ، والسائح ، وهن ، وأتوقف هنا قليلا عند «هن»، هذه الصفحات التي خصصت للمرأة تنفث من قلمها ما تشاء في مختلف الموضوعات الأدبية والثقافية، خلافاً لما نجده في كثير من المجلات التي تقصر «هن» على شئون المنزل والأزياء وكثير من الأمور المتغيرة والطارئة، وحينما كتبت «للمنهل» منذ حوالي اثني عشر عاماً ، منذ ذلك الوقت كنت قد سعدت بمجلة تنظر إلى المرأة من خلال وعيها وفكرها وثقافتها وعلمها، لا من خلال وجودها الأنثوي فقط.

رابعا:

إن من يتابع المجلات الثقافية ويتواصل معها عن طريق الكتابة يلفته ما يتمتع به القائمون على «المنهل» خصوصاً (والمجلات الثقافية في المملكة العربية السعودية عموماً) من ذوق رفيع وحرص على التواصل مع كتابهم علاقة قائمة على احترام الكاتب وتقديره ، لا لشخصه بل للمادة التي تحفل بها المجلة، فإن رفضتها رفضتها برفق وإن قبلتها قبلتها بترحيب، دون أن تقصر جل همها على الأسماء الكبيرة المعروفة، ولذلك تجد في العدد الواحد من المجلة تنوعاً في مستويات الكتاب ومن مختلف أقطار الوطن العربي، إلى جانب تنوع الموضوعات وجودتها وحسن تنظيمها.

لكل ذلك أجدني اليوم أحفل (دون دعوة أو تذكير) بذكرى تأسيس «المنهل» وعلى شفتي كلمة حق وددت أن لا أبخل بها نحو مجلة لم تبخل عليّ يوماً.

بقلم: مريم جبر
كلية البنات بنجران

شمولية النفس المؤمنة

جميل أن يكون كل منا قادراً على أن يسطر بقلمه ما يجول في خاطره من أفكار عن الحياة والكون، أو يتخذ من الكتابة وسيلة تفريغ لما يعتلج داخله من صراعات وتخبطات فرضتها عليه الظروف في بيئته .. فيصيغ تلك الاحساسات في أي أساليب التعبير شاء شعرا ، نثرا، أو قصة أو حتى نادرة يتندر بها فتمتلىء المجالس سرورا بها أو تستكشف الحكمة بين طياتها.

ولكن الأجمل أن تتسع هذه النفس الواحدة لتشمل كل خلق يدور فلكه بدوران الكون الفسيح، فلا ينظم الانسان مع نفسه فحسب بل انه يتخذ منها مجهرا يرى خلاله خفايا ما يحيط به ليبعث تعابيره بعد ذلك رسل محبة ورحمة لتصل الى كل الكون فما كتب ليخاطب العام فانه لابد وسيصل الى قلوب ذلك العام. قد يبدو هذا الأمر عسيرا باديء ذي بدء على من لا يزال طفلا في إمساك القلم ولكن ما نلفت اليه النظر ليتملاه كل ذي روح طموحة وعقل نيّر، أن احدى اعجازات النفس البشرية قدرتها على التفوق في النمو على الجسد اذ قد تبلغ من العظم والكبر ما يعجز الجسد معه عن اللحاق بها، فكم رأينا أناسا في سير الحياة كانت لهم نفوس عظيمة تركوا للبشرية ميراثا متناقلا في الوقت الذي لم يعد لأجسادهم ذكر حسي في الوجود الا ما كان من ذرات تحملها الرّياح المرسلة لتثيرها غبارا عبر طول الكون الفسيح. ولا شك أن النفس لا تكبر وتتعظم الا يوم يوجد المنهاج التربوي والتخطيط الممتاز الذي يرعاها ويكبح جماحها ويستعلي بها عن الدنايا من الأمور والأهواء ويصقلها لتطلع على الكون بعين بلورية ترى خلالها مالا يراه غيرها فتستسهل ما استوعر منه الجاهلون وتستلين ما استصعبه المترفون فتكون كما جاء في الأثر (صحبوا الدنيا بأجساد معلقة أرواحها بالملأ الأعلى).. ولكن كيف السبيل الى نفس سامية؟؟.

هنا تكمن إحدى قبسات الروعة في أسلوب القرآن الكريم فلقد استطاع القرآن أن يخاطب البشر جميعا ويحاكي كلا وفق ميوله النفسية وتكوين مجتمعه فلان تتفكر أن كتابا واحدا استغرقت قراءته أربعة عشر قرنا من الزمان ومازالت مستمرة بأسلوب واحد وجهه الى العقول في جاهليتها الطفولية بكل بساطة العقلية البشرية وسخافة أسلوب معيشتها ثم على نفس الدرجة من القوة يخاطب عقولا جالت في السماوات والأرض وسابقت الزمن تطورا واختراعا وتعقيدا في طرائق الحياة؟!! إن تدبراً بسيطاً لذلك ليشعرنا بعظمة القرآن وكفالته بأن يكون الأسلوب الوحيد الناجع في التربية العقلية والنفسية فمن يعيش في ظلال القرآن يتنفس عبير آياته ليحس بأنه مسؤول عن الدنيا كلها لا عن نفسه فحسب، بل إن أسلوبه لينبهنا الى أمر آخر وهو أنه مهما تطور بنو الانسان وبلغوا من تقدم فان ثمة غريزة مشتركة داخلهم تساوى في الاستجابة إليها العربيُ والعجميُ، العالم والأمي ، الصغير والكبير وهذا بلا شك يدفعنا الى البحث عن هذه الغريزة وإيقاعاتها من نظم القرآن وكيف جمع البشر عليها ليمكننا أولا من تكوين أدب عالمي راق لا يتحرج منه ذو العفاف ولا يستغلق فهمه على عقول العامة، وثانيا أن نتمكن من زرع السلام الحقيقي بين الأمم والدول والشعوب إذا أردنا حقاً أن نحيا في دنيا من الطهارة والسمو العدالة.

قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم).

غادة عبد الله العمودي
- جدة -

وفاء جابر عبد الحليم
ـ الاسكندرية ـ

زفاف

حـــــبـــــيـب روحـي ..
صـــادروا اشــتــيــاقي اليك ..
وبـاقـــة ورد اعـــددتهـــا من رياض قلبي ..
ودهـشـــتي المنتـــقـــاه..
صـــادروا فـــرحـــتى البكر بك ..
وضـــحكة نفـــسي الغـــريبـــة ..
وهذا المكان الجريء المريح الذى اختـرته لنا باقصى المدينة..
وفنجـان شـاى تعـودت أن احـتـسـيـه بقـربك ..
صـــادروا كل شيء حين همـــمت بتـــرحـــالى اليك ..
وفـكـوا الحـــــقـــــائـب ..
نثـــروا بوجـــه الريح شـــرائط حـــبك ..
صـــوتك ذاك الجـــريح المراوغ في عـــمق روحي ..
ومـــســـحـــوا جـــواز الســـفـــر ..
حـــــددوا امـنــيـــاتي ..
تراك رأيت تنـاثر لحـــمى الذى وزعـــوه على القـــوم ..
فـــصـــاروا شـــحـــومـــا ترهـل فـــيـــهـــا الوهن ..
تراك انتـــقـــيت مكانا قـــصـــيـا لتـــعـــبـــد روحي ..
تراك همـــست باســـمى مـــا بين السكون وبين العـــدم ..
وهلا اعـــتـــرفت بجـــرمك حين عـــشـــقت امـــام الجنود..
فـــــضـــــت من الـقـــلـب اه ..
انا يا حـــبـــيـــبى الذى قـــيـــدوه على متن سـيـف..
رفـــضت مـــصـــادرة اشـــتـــيـــاقى ..
وبـــحت بـســــــري الـــدفـين..
وقلت احـــبـــك للعـــالمين..
نـزفـت الدمـــــاء على كل رأس ..
واخـتـرت أن ازف الى أحلى
ســـيـف.

قصة قصيرة:

تأملات صامتة

امتدت السماء أمامه زرقاء، وكان السحاب يمتد خلال زرقتها أصابع بيضاء نحيلة كأنما تشير إلى شيء ما، وهناك بعيداً مقابل هذه الأصابع كانت أولى نجيمات المساء تبرق بضوء ضعيف منهك.

ندت عنه تنهيدة، ثم استدار إلى داخل الغرفة ونظر فيها يتأمل مكوناتها.. ووقع نظره على المكتبة الكبيرة غير المنسقه التي تغطي الجدران الأربعة للغرفة. ولمعت في ذهنه فكرة قديمة لطالما خالجت نفسه واختلطت بدمه والتصقت بنفسه.. كان دائما يحلم بأن يكون كاتباً عظيماً مشهوراً ، وقد كانت له موهبة لا بأس بها، عمل في شبابه على «صقلها» - كما يقولون - بالقراءة والإطلاع. ولكن الحياة أبت أن تضيف إلى صفوف الأدباء أديباً آخر، وكشفت ابتسامته التي نمت على شفتين مغضبتين عن فم كاد يخلو من الأسنان.

جال بناظريه في أثاث غرفته القديم وجلس على كرسي كان كلما تحرك أصدر موسيقى نشازا من عظامه المفككة. أخذ يحدث نفسه «لكم جمع هذا الأثاث مشاهد من حياتي.. لقد جلس عليه ابنائي واحداً تلو الآخر.. رآهم أطفالا يصبغونه بأيديهم الملونة بكل ما تصل اليه ايديهم ورآهم طلابا في المدارس والجامعات ثم اساتذة ومهندسين وأزواجاً وزوجات.. وها هو قد حرم الآن رؤيتهم الا بين كل فترة واخرى».

أصوات الضجيج القادمة من الطريق اليه عبر نافذته ذكرته بضجيج اسرته واطفاله عندما كان يعود اليهم من سفر.. وكل منهم يرحب بمقدمه وتتسابق الأيدي الصغيرة لتلمسه وتقبله ويسمعهم يصرخون دفعة واحدة والفرحة ترقص في أعينهم «حمداً لله على السلامة يا أبي.. ماذا أحضرت لنا هذه المرة يا أبي».

وتدور عيناه في أرجاء الغرفة المبعثرة تبحث عن صور أبنائه وبناته ويبتسم بحنان، ولكن ما تلبث أن تختفى هذه الابتسامة عندما يرى صورة لابنائه يحيطون بوالدتهم رفيقة دربه الطويل، لقد تركته ورحلت منذ سنين «ترى أهي سعيدة الآن؟.. ليتها تعود لتأخذني معها إلى عالمها».

لقد مرت عليه في هذه الأرض سنون طويلة كأنها دهور، سنون علمته أن يتنازل عن أحلامه، حلماً وراء الآخر ويرضى بما يقدمه له الواقع. علمته الا يفكر الا فيما يصلح لابنائه ويساعده على تحسين وضعه ليؤمِّن لهم حياة كريمة شريفة.

قام وعاد إلى نافذته الصغيرة، المنفذ الوحيد لعالمه الصغير الخاص على العالم الخارجي الكبير. أخذ يتأمل الطريق امامه.. كان في الطريق أصناف كثيرة من الناس يسيرون بسرعة وفي كل اتجاه دون أن ينظروا إلى ما حولهم، يسيرون وكأنهم آلات وضعت في كامل قوتها وتعبئتها.

ولفت نظره شاب صغير كان يرتكز إلى الحائط المهدم ويتأمل السائرين في الطريق «ترى فيما كان يفكر؟ ليس في عمره الربيعي الصغير أي خبرة لديه تساعده على قراءة الوجوه ولكنه يبدو وكأنه يبحث عن شيء ما فيها».

وطالت وقفة الشاب فلما لم يجد ما يبحث عنه أخذ يسير على مهل وقد ركز عينيه على الرصيف الذي يسير عليه، وكان بين الفينة والأخرى يرفع رأسه لينظر في وجوه الناس لدقائق ثم يعود ليركز عينيه على الرصيف.

قال لنفسه وهو يودع الشاب بنظراته.. «ما اكثر ما سيصاب به هذا الشاب من خيبة الأمل في هذه الدنيا. وربما يكون ممن لا يحتملون رؤية احلامهم تضيع امام اعينهم فيموتون صغاراً إما بأيديهم أو بالقهر والكمد.

وأزاح عينيه عن الطريق الذي بدأ يخيم عليه السكون ورفع رأسه إلى السماء التي سكنها الليل بنجومه وهلاله الصغير الدقيق المعلق فوق الجبال البعيدة التي يسكنها غموض الليل وظلمته.

وقال محدثاً نفسه: «لقد حان الوقت.. عليَّ أن أذهب» أسدل الستار على النافذة وانحنى ببطء فتناول معطفه القديم الذي يحمل على كتفيه ذكرى سنوات العمر الطويلة كصاحبه. وسار الى الباب.. فتحه وخطى إلى الخارج.. ثم اغلقه خلفه. كان يتصرف بآلية دقيقة، إعتاد عليها طوال حياته، ووقف على أول الطريق الذي كان يمتد امامه كأنما يستحثه على السير وهو يمسح الدموع التي اغرورقت بها عيناه ولا يدري لها سبباً، ولن يتعب نفسه في تفسيرها.

مها فوزي الشعراوي
- مكة المكرمة -

أوراق زوجية

أبو عواد / أم عمرو

٨٩٠- أبو عواد:

لن اسمح لك بمنعي من ممارسة أحلامي باغتيالك لها على المدرج.. حتى لو كان أبوك القمر وأمك الشمس وأهلك كل المجرّه.

٨٩٠- أم عمرو:

لا يستطيع أحد أن يمنع احداً من ممارسة احلامه. الأحلام ملك خالص لصاحبها لا يشاركه فيها احد ولا يأخذها منه احد إلا اذا سمح له بذلك.

٨٩١- أبو عواد:

هكذا أنا بالفطرة .. أقدس الروابط العائلية قبل الحياة الزوجية.. فهل أنا زوج فاشل؟!

٨٩١- أم عمرو:

الذين يقدسون الروابط العائلية يكونون غالباً ازواجاً ناجحين لأنهم تدربوا جيداً على احترام المرأة وتقديرها مع امهاتهم واخواتهم.

٨٩٢- أبو عواد:

ان الزوجة التى تحاصر زوجها بالمشاكل والقلق وتثير من حوله المتاعب لا تستأهل منه مجرد ابتسامة صارخة النفاق.

٨٩٢- أم عمرو:

الزوجة التى تحاصر زوجها بالمشاكل والقلق غالباً ما تكون انسانة خائفة وغير مطمئنه وهي كثيراً ما تسعى لكسر حاجز الصمت أو البعد بهذه الطريقة الخاطئة.

٨٩٣- أبو عواد:

ان أفضل الأدوار التي يتقبل فيها الرجل المرأة هي المرحلة التي تكون فيها أظافرها قصيرة وتكون في مرحلة التخطيط للوصول للغاية الخبيثة .. وبوصولها للهدف أو اعتقادها بأنها وصلت إليه تكشف أمام الزوج عن وقاحة سنوات طويلة من العشرة المخدوعة.

٨٩٣- أم عمرو:

لا اعتقد اننا نعيش في غابة حتى نصف المرأة بأن اظافرها قصيرة أو طويلة أو نصف اهدافها بالخبث وسلوكها بالوقاحة. الكلمة نور وبعض الكلمات قبور وعندما نصل لاستخدام مثل هذه القبور نكون قد دفنا الزواج منذ زمن بعيد.

٨٩٤- أبو عواد:

سأغدق عليك في كل شيء ما استطعت إلى ذلك سبيلا.. إلا في دفء عواطفي وصدق مشاعري فتلك لا أظنك تستحقينها.

٨٩٤- أم عمرو:

الذين يحتفظون بدفء عواطفهم وصدق مشاعرهم بالداخل تتكون عليهم طبقات من الجليد سرعان ما تتراكم .. فلا يصبحون قادرين على الإحساس بأى مشاعر دفء تأتيهم من الخارج.

٨٩٥- أبو عواد:

دخلت حياتي غريبة .. وستخرجين منها غريبة .. هكذا أنت أيتها العبيطة.

٨٩٥- أم عمرو:

غالبا يدور في ذهن هذه الغريبة عبارة الغربة خير من رفيق السوء، فقط زوجها الذكى لا يدرك ما يدور في عقلها العبيط!.

٨٩٦- أبو عواد:

لا يهمني الكلام المعسول .. ولا انحناءات النجل .. ولا ولولات المرجفين.. انني أعرفك جيدا .. فأنت حيّة تبن .. نعم حيّة تبن .. ولكني سأعرف كيف أجعلك تموتين بنفس الترياق الذي أزهقت به أرواح الأبرياء.

٨٩٦- أم عمرو:

حتى حيّات التبن لا تستحق الموت فالحية لا تهاجم إلا دفاعاً عن نفسها حتى انهم ينصحون السائرين في الغابات بإحداث

صوت اثناء السير حتى تفسح الحيات الطريق لطرزان.

٨٩٧ـ أبو عواد:

القيمة في المبادىء .. في التربية .. في الفهم في الأصول يا بنت الأصول .. جميع مجوهراتك أناقتك مكياجك كلها في نظري عملة ساقطة لا قيمة لها في نظري.

٨٩٧ـ أم عمرو:

لم ترتد المرأة المجوهرات ولم تهتم بالمكياج كمكمل لشخصيتها إلا في الزمن الذى حرمت فيه نعمة التعليم ومنعت من النمو الحقيقي ولكل من لا زال يرى المرأة دمية جميلة اقول بالنيابة عن بنات جنسي من النساء:

عداي لهم فضل عليَّ ومنة
فلا قطع الرحمن عنّى الأعاديا
هموا بحثوا عن زلتى فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

٨٩٨ـ أبو عواد:

تكتسب المرأة قوة جاذبيتها بقدرتها على التأثير الفاعل على الرجل بهذه الجاذبية.. وتلك مقوماتها تبدو صعبة على كثير من النساء .. وإلا فبماذا تفسرين المشاكل الزوجية وهروب الأزواج وحوادث الطلاق؟!

٨٩٨ـ أم عمرو:

المشاكل الزوجية وحوادث الطلاق لها اسباب عديدة من اهمها سوء اختيار الزوج وانعدام ثقته بنفسه حتى انه يتصور نفسه محوراً تدور في فلكه الأسرة وليس عموداً قويا تستند عليه وتحتمي به انه يريد أن يصنع من نفسه مركزاً للجاذبية فتتحدد جاذبية من حوله بقدرته على التأثير عليه! ماذا اقول؟ كل فقاعه تنتفخ اكثر من طاقتها لابد لها أن تتلاشى.

٨٩٩ـ أبو عواد:

«كوني له أمة يكن لك خادماً» .. لو تحقق الأول لتحقق الثاني .. ولكن المرأة تريد جواب الشرط ونتيجته دون فعله وأسبابه..!!

٨٩٩ـ أم عمرو:

انتهى عصر العبيد والساده لم يعد هناك اماء ولا خدم. لكن بعض الرجال مازال يعيش كالسلحفاة التى تخاف اخراج رأسها من صدفتها لذا تظل واقفة مكانها لا تتقدم. ربما يكون على النساء ان يتوقفوا ويحملوا هذه السلاحف وينقلوها إلى الجهة المقابلة ثم يتركوها هناك لعلها تشعر بالأمان وتخرج رأسها وتسير مع الزمن.

٩٠٠ـ أبو عواد:

كانت المرأة فيما مضى تسهم قولا وعملا بشراكة حقيقية في الحياة الزوجية تعمل سويا مع زوجها في الحقل وكسب الرزق أما اليوم فعملها وصيفة للتسريحه وحبيسة المطبخ والمسكن.. أعني الزوج.. أشفق عليها وأحضر لها خدامة.. وسائقاً .. أنها سيدة بكل المعاني!!

٩٠٠ـ أم عمرو:

مازالت النساء في كل مكان تشارك في الحقل والمدرسة والمستشفى وحتى التى كرست حياتها لأولادها تشارك مشاركة بالغة في حياة اسرتها ومجتمعها وكثيرات لم يعدن قادرات على تحمل كل ما يناط بهن من اعباء حتى احتجن للمساعده.

٩٠١ـ أبو عواد:

انا لا أريد منك يا زوجتي العزيزة لبن العصافير ولا بناء أهرامات الجيزة.. فقط أريد طاعتك لي في غير معصية كما أمرت بذلك أن كنت حقا مسلمة!!

٩٠١ـ أم عمرو:

الطاعة شيء والإنصياع شيء آخر. الطاعة يلزمها الإقناع وهو يأتى نتيجة للتفاهم بين طرفين يتبادلان الثقة والإحترام.

رسالة إلى السيدة الجميلة

من ابن خفاجة الأندلسى

محمد عبد الواحد حجازى
مصر

* هو أبو إسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة.
* شاعر شرقى الأندلس ..
* أشهر وصافي الطبيعة بالأندلس.
* كان قليل التكسب بشعره.
* توفى سنة ٥٣٣هـ.

حبيبتي هنيد :

كتبت وقلبي في يديك أسير
يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفي كل حين من هواك وأدمعى
بكل مكان روضة وغدير

رسالتى إليك مع أحد أصدقائي من العاملين بمملكة سرقسطه بالأندلس.. أنت يا أمنيتى ورجائي .. أنت، يا من أحببتك وأصفيتك أنضر الود، وذوبت من صفو روحي ما أسقيتك به على الوصال يدوم فلا تقطعه أسباب البعاد وأراجيف الحساد .. الذين لم يفتروا يوماً واحداً، بل ساعة واحدة، بل لحظة واحدة عن حبنا. فافتروا الأقاصيص للإيقاع بينى وبينك لأنهم يكرهون أن تسعدى بحبك وأسعد بحبى

.. ويالها من حرب ظلت مستعرة متقدة حتى فوجئت بنبأ رحيلك إلى سرقسطة.

أجل، كانت مفاجأة لى، أذهلتني وأفقدتني رشدى لبضع سويعات أظلمت خلالها الدنيا في ناظرى واحتوانى سأم ضار كرهت فيه الكون، وكرهت فيه الناس والحياة. وأكثر من هذا كرهت أن أقرأ عن عاشقين، كرهت أن اسمع عن محبين .. كرهت أن أقرأ شيئًا في الحب أو أن أسمع شيئا عن الحب.

ورويداً رويدا ثبت إلى رشدى وعدت إلى وعيى، أدرك وأعقل وأتعقل. ولكن في انفعال نفسى كاد يصدع قلبي، إنه انفعال الحنين إلى التى وهبتنى أحلى أيام شبابى.. وإنه الحنين إلى أجمل بقاع الدنيا طرا، إلى الأندلس.. فما أجمل هذا التلاقى وما أغربه: الجمال يهاجر إلى الجمال

كانت سفرتك المفاجئة الى سرقسطة باعثا لحنينى إلى الأندلس. وليس في الدنيا أحب إليّ منها.. هى الدنيا بل هى

جنة الخلد، فهلا نقلت إلى أهلها تحياتى؟ هلا نقلت إليهم أشواقى واعترافاتى:

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد إلا في دياركم
ولو تخيرت هذا كنت أختار

الأندلس عندي - وأنت تعرفين - هي الحسن الذى يشرح الصدور، والموسيقى التى تبعث أحلى الأشواق في نفس المحزون فإذا هو متفائل بهج.. وهى الروح الذى يحيى الحياة خضرة وظلا وريفا ونسماً شفيفا .. يشوقنى، يشوقنى يا حبيبة روحى أن أنعم بربى الأندلس.

إن للجنة في الأندلس
مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب
ودجى ظلمتها من لعس
فإذا ما هبت الريح صبا
صحت وأشواقى إلى الأندلس

حبيبتي هند:

إن غرامك القديم زاد من شوقى إلى وطنى، زاد من حبى إلى وطنى.. أغاريد الطير في الأيك تهيج أشجاني، وأصداء الريح بين الأشجار والأغصان تستدر مدامعى، وخرير المياه في الجداول يستجيش خيالى .. لشد ما أتمنى أن أعود إلى الأندلس كى نجدد العهد؛ عهد الوصال:

أجبت وقد نادى الغرام فأسمعا
عشية غنانى الحمام فرجعا
فقلت ولى دمع ترقرق فانهمي
يسيل وصبر قد وهى وتضعضعا
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبة
فأسكن أنفاساً وأهدأ مضجعا
وأغدو بواديها وقد نضح الندى
معاطف هاتيك الربا ثم أقشعا

فلا تسلى إذن يا حبيبة روحي، وشوق أحلامى، وعطر أيامى كيف أقضى ليلى .. إنه ليس كليل الناس، وكيف أمضى نهارى .. إنه ليس كنهار الناس.. ليلى هم مقيم ، ونهارى عذاب أليم.

يارب ليل بته
وكأنه من وحف شعرك
تنهل مزنة دمعتي
فيه ويندى نور ذكرك
أتبعت فيه وقد بكيـ
ـت عقيق خدك در ثغرك

حبيبتي هند، يا منية الروح:

هلا تعطفت عليَّ فأذنت لخيالك أن يزورنى في إحدى لياليَّ التى آوى فيها إلى مضجعى ريث يبزغ نور الفجر؟

هلا تعطفت عليَّ فـأذنت لخـيـالك أن يزورنى فـأسـأله عن أحـوالك ومـاذا فـعلت الأيام معك؟ هل تأذنين، أم أن البعاد قد جعلك ضنينة حتى بطيف خيالك؟

مــاذا عليك وقـد نأيت ديارا
لو طاف بى ذاك الخـيـال فـزارا؟
ونظمت من قـبل بصـفـحـة جيـده
عـقـدا وقـد لبس العناق شـعـارا
فـيم التـعلل في هواك وقـد طوى
منـى الضنـى وبك النوى أسـرارا
ولربما مَنَّ النسـيـم بنفـحــة
تندى على كـبـد تنوب أوارا
وسـألت فـيك الليل عن سنة الكرى
حـتى أجـابنى الصـبـاح سـرارا
وسحبت أردان الظلام على السرى
طولا ومـزقت النيول عـثـارا

... من أطرف ما سمعت بعد رحيلك إلى سرقسطة أن قالت لي إحدى صديقاتك - وكنت تثقين في رجاحة عقلها وصواب حكمها - أنك كنت تشكين منى كـثـيـرا لأننى كنتُ أختلق الذرائع لمجافاتك ومخاصمتك. وما ذاك إلا لشغفى بحسناء أخفيت اسمها.. أدهشتنى تلك القصة ولم أصدقها وقلت لنفسى: أحقاً كانت هنيد تشكونى لسبب لم أقترفه وذنب لم آته أو أفكر فيه:

يامنية النفس حسبى من تشكيك
أنى أصـاب وكف الدهر ترمـيك
وكـيف أغفى بليل تسـهـرين به
أو أسـتـسـيغ شـرابا ليس يرويك
هنيد أوجعت قلبا قـد أقمت به
مـا بال طرفى ومـا يدريك يبكيك

حبيبتى هنيد يا منية الروح:

إياك إياك يا حبيبتى أن تفتحى قلبك الغض الرهيف لعواصف القلق والشك .. وإياك، إياك أن تأذنى لخيالك أن يتسمع لتخرصات أولئك الذين لا يهمهم سوى أن يروا نار الإفك تحرق أواصر الحب بين الناس، ولا يهمهم سوى أن يروا شظايا الاحتراب والشقاق متبادلة بين المخلصين الأوداء .. كيف أخاتلك؟ وكيف أضمر لك الغدر والهجران؟

يا بانة تهـتـز فـينانة
وروضــة تنفح مـعطارا
لله أعطافك مـن خـوطة
وحـبـذا نورك نـوارا
علقت طرفـا فـاتنا فـاترا
منك وغـرًا منك غـرارا
وجـه به من بدع الحـسن مـا
يقـيم للعـشـاق أعـذارا
تخـفق أحـشـائى به لوحـة
وتـنـثـر الأعـين نـوارا

وهل تصدقين مـا تقـوّله عليّ بعض المزيفين من أننى كنت أفضل عليك الشابة عُفيراء؟ وأننى طالما سهرت عندها بين

فيوض القمر المتوائبة بين مغانى الرياض القريبة من بيتها نتحاكى ونتسامر ونتبادل عبارات الشوق والتهيام؟ هل تصدقين ذلك يا حبيبتى؟.

أجل، قلت فيها غزلا، ولكنه كان مجرد إعجاب بشيء جميل كأى شيء جميل .. ألا يهيم المرء بجمال الزهور؟ ألا يهيم المرء بجمال الطيور وهي تنطلق في الرياض مشقشقة في نزوة طروبة.. لهذا فإننى اعترف بأننى تغنيت بجمال عفيراء .. وأعترف بأنها سبتنى وأرقت جفنى وأضنت فؤادى .. ولكنه كان مجرد امتداح للجمال فحسب. ولهذا فإننى أسوق إليك ما قلته فيها حتى يكون اعترافا كاملا. ولك أن تحكى على حبى لك بما تشائين.. قلت فيها:

أرقت لذكـرى منزل شط نازح
كلفت بأنفاس الشمال له شما
فقلت لبرق يصدع الليل لامح
ألا حى عنا ذلك الربع والرسما
وأبلغ قطين الدار أنى أحبه
على النأى حبا لو جزانى به جما
وأقرىء عفيراء السلام وقل لها
ألا هل أرى ذاك السها قمرا تما

حبيبتى هند يامنية الروح: خير ما أختم به رسالتي أننى أهديك صورتين، صورة شبابك بل صورة شباب حبنا، والأخرى صورة التقائنا يوما على غير موعد. وما أحلاهما معا.. فالأولى كانت قولى لك:

يا مترفا يمشى الهوينا غرة
ويهز أعطاف القضيب المورق
جمعت ذوائبته ونور جبينه
بين الدجنة والصباح المشرق
هل كان عندك أن عندى لوعة
ينبو له طرف السنان الأزرق
طالت مراقبة الخيال ودونه
رعى الدجى فمتى أنام فنلتقى
ما بين نحر بالدموع مقلد
فرحا وجيد بالعناق مطوق

أما الأخرى فإنها تتمثل في قولي - ولعلك لا تنكرينها:

لقد زار من أهوى على غير موعد
فعاينت بدر التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه
وقد بلغت روحى لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحى به
من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

تلك هي رسالتي إليك يا حبيبتي أرجو أن تبلغك وأن تكتبى إليّ بما يطمئننى عليك.



٢١٩ إمارة شوقي:

كان الذائع أن الذين عارضوا إمارة شوقى لشعراء العالم العربى هم المجددون فقط وفي طليعتهم عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازني، ولكن المحافظين ممن ينهجون نهج شوقي، وكلهم ينتمى إلى ما يسمى بمدرسة البعث التى تزعمها البارودي، هؤلاء المحافظون كانوا يرفضون هذه الإمارة كغيرهم وقد تحدث عنهم صديقهم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فقال: «إن الشاعر المعروف الأستاذ محمد الهراوى كان يرى أن لقب إمارة الشعر بدعة، وأن لكل شاعر مكانته ووضعه وامتيازه في عالم الشعر، فلما توجهت الدعوة لإقامة ذلك المهرجان لشوقي، أخذ الهراوى يحرض أصدقاءه من الشعراء على مقاطعة المهرجان، وعلى عدم مبايعة شوقي بلقب الإمارة، وكان يعمل مع حافظ ابراهيم في دار الكتب فتحدث معه في هذا الشأن، كما تحدث مع الشيخ محمد عبد المطلب، وفي ليلة اجتمعوا مع لفيف كبير من أصدقاء الهراوي وحافظ، ودار حديث صاخب عن هذه المبايعة، واستخفهم التهكم على شوقى فأخذ حافظ ابراهيم ينشد قوله:

شال وانخبط ٠٠ وادعى العبط

معارضا قول شوقي:

مال واحتجب ٠٠٠ وادعى الغضب

وفي اجتماع قال: أنشد الهراوي أصحابه هذا القول وهو من وزن جديد في الشعر (فاعلن مستفعلن)

إن شوقى شاعر ٠٠٠ كلنا أجلَّه

غير أنَّا معشر ٠٠٠ ليس يرضى ذلَّه

وهي جمهورية ٠٠٠ لا ترى محلَّه

ولكن حافظاً قال إنه سيشترك فى حفلة المبايعة، فغضب الهراوى وسأله: أين ما اتفقنا عليه؟ قال فى ابتسام: أنا رجل جبان، لا أستطيع أن أتخلف،

د. أبو حسام ـ المنصورة ـ

وفي المهرجان قام حافظ فأنشد قصيدة رنانة قال فيها:

أمير القوافي قد أتيتُ مبايعا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي!

وظل موضع عتاب زملائه المعترضين

(إمارة أخرى)

وحين انضم الدكتور طه حسين إلى الوفد المصرى كان حذراً هياباً من مناقشة كاتب الوفد الأول الأستاذ عباس محمود العقاد، فجعل يسترضيه بكل ما يمكن التوسل به، وقد أتيحت له الفرصة حين أصدر العقاد ديوان (وحي الأربعين) وواجه عاصفة نقدية تزعمها الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، حين ذلك هتف طه حسين بمبايعة العقاد أميرا للشعر، في حفلة تكريمة للعقاد، وفي مقال تال بمجلة الرسالة وكان مما قاله طه حسين: إنى لا أومن في هذا العصر الحديث بشاعر كما أؤمن بالعقاد، اؤمن به وحده، لأنى أجد عند العقاد مالا أجد عند غيره من الشعراء، فضعوا لواء الشعر في يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء اسرعوا واستظلوا بهذا اللواء، فقد رفعه لكم صاحبه».

وما كاد رأى طه يذيع، حتى تناوله المعارضون تهكما وسخرية، وكان من أوجع ما قيل، ما نظمه الشاعر الأستاذ محمد حسن النجمي حيث قال من قصيدة هازئة:

خدع الأعمى البصيرْ
إنه لهوَ كبيرْ
أضحك الأطفال منه
إذ دعاه بالأمير
أصبح الشعر شعيرا
فاطرحوه للحمير

٢٢٠ (جماعة الهراوي):

وإذا كانت جماعة الهراوي لم تصبر على إمارة شوقي، وهو من أبرز شعراء عصره، وأسيرهم شعراً، وأبعدهم صيتاً فإنها بالطبع تستنكر أشد الاستنكار مبايعة العقاد، وتورط طه حسين فيما لجأ اليه، ورأت أن ترد على هذه الإمارة بمبايعة أمير نساخ في دار الكتب، ينظم الشعر ولا يقرض بيتا صحيحا، بلى ولا يستطيع قراءته، ولكنه يشغل نفسه بما يضحك، ودار الكتب حينئذ تحفل بالشعراء الهازئين بإمارة العقاد، وبادعاء هذا النساخ مالا يحسن، ومنهم الهراوي وأحمد الزين وأحمد رامي وأحمد محفوظ، وكلهم موظفون بدار الكتب، فرأوا أن يقيموا حفلة مبايعة لحسين البرنس النساخ، وحددوا لها الموعد، وأعلنوا عن مهرجان يقام للبيعة يتحدث فيه أكثر من عشرة شعراء، كلهم شاعر نابه مجيد! وترامى الأصدقاء والأدباء على مشاهدة المحفل، حيث أجلسوا أمير الشعر

حسين البرنس في الصدر، وتقدم كل شاعر بقصيدته يلقيها بين يدى المحتفل به، ثم نشرت القصائد جميعها في الصحف اليومية، فكانت ردا لا يحتاج إلى إيضاح، ورأى الاستاذ محمد الأسمر أن يجمع هذه القصائد في ديوانه، بعد أن ذكر المناسبة الفكاهية، فأمتع القراء بما لم يستطيعوا الرجوع اليه في الصحف اليومية لبعد العهد، وسننقل بعضا مما قيل:

أ ـ من قصيدة حسين شفيق المصري:

يا حماة القريض حول البرنس
أصبح الشعر دولة ذات كرسي
وهل الحكم والإدارة إلا
لبرنس يضحي برأي ويمسى
يقرض الشعر مثلما يقرض الفأ
رحبالا قد فُتلت من دمقس
أيها الشاعر الكبير رضينا
ك أميرا ، فكنه ، تفديك نفسي

ب ـ من قصيدة عبد الجواد رمضان:

دعتك وقد توافر طالبوها
وهل يحوى العلا إلا بنوها
أمير الشعر أنت وإن تغالى
وأسرف في الدعاية مدعوها
جياع تاجروا باسم القوافي
وقد ربحوا الحياة وأخسروها
سأحمى عرشها وأذود عنها
زعانف للرذيلة سخروها
وهل خُلقت جلالتها لغيرى
وشعرى أمها وأنا أبوها

جـ من قصيدة سيد ابراهيم:

إذا تفضلت يا أميرى
فاقبل إذن هذه الإماره
وانهض بأعبائها فخورا
وامنع عن الفن كل غاره
فالشعر في مصر يا أميرى
مستفعلن فاعل فعول
فكن أميرا على القوافي
فالناس ليست لهم عقول

د ـ من قصيدة محمد الهراوي:

الى العرش فاصعد وامض بالأمر واقطع
وَمُرْ وانْهَ وامْنحْ ما بدا لك وامنع
وصرِّفْ أمور الشعر في الأمة التي
تميت رجال الشعر فيها ولا تعى
فأنت أمير الشعر غير منازع
وكل أمير غير شخصك مدّعى

هـ ـ من قصيدة أحمد الكاشف:

يا من يدبر سلطانا ومملكة
وليس فيها له بيت ولا نشب
من لي بسدتك العليا أقبلها
ودون سدّتك الأستار والحجب
لم يجدنى الجد في قول وفي عمل
وقد لعبت عسى يجديني اللعب
إمارة الشعر خذها يا حسين فقد
أتى يبايعك الإخوان والصحب

و - من قصيدة محمد الأسمر:

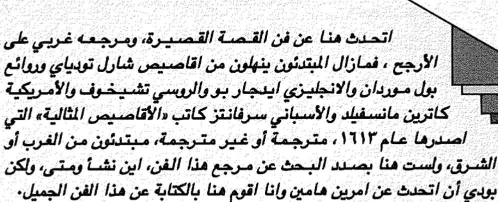
يا أمـــيـــر الشـــعــــراء
أنـــت أولـــى بـــالـــلـــواء
ســـيـــدى فلتـــهـنـأ اليـــو
م بمـــلـــك الأدبـــاء
امـــرؤ القـــيس على با
بـــك بـــعـــض الأمـــنـــاء
وأبـــو الـطـيـــب فـــي الـدو
لـــة بـــعـــض الـــوزراء
والمعـــري لدى السـد
ة يحـــبـــو للعـــلاء
دولـة لـيـس بـهـا الا
كـــبـــار الكبـــراء

ولغـيـر هؤلاء شعـر من هذا الطراز، نتجاوزه اكتفاء بما تقدم، وكله مدون في ديوان محمد الأسمر.

٢٢١ (تعليق حسن القاياتي):

السيد حسن القاياتي شاعر موهوب، ذو جزالة وأسر وابتكار، وقد اشترك في مبايعة البرنس ببيتين معبرين عن تهكمه المرير، وأذكر أننا كنا في مجلسه بالسكريه، وجاءت ذكرى هذه المبايعة فقلت للسيد: إن إقامة الحفل التهكمى سلب لا إيجاب، فهو مواجهة لم تسفر عن نقد يحدد أسباب المعارضة، وأولى بالموقف مقالات هادفة تتعرض لشعر العقاد بالنقد، إذا كنتم تستطيعون نقده الموضوعي! فضحك السيد، وقال أصارحك يا أخى أننا لم نكن نستطيع، لأن العقاد يحتل جريدة يومية كبيرة، وله فيها أكثر من عشرة تلاميذ يسلطهم على معارضيه بالحق والباطل، وطه حسين يحتل جريدة يومية مماثلة، وله فيها أكثر من عشرة تلاميذ يسلطهم على معارضيه بالحق والباطل! لقد كان في استطاعتنا أن نواجه العقاد وحده أو نواجه طه وحده مع العسر الشديد في هذه المواجهة، أما أن نواجههما معاً ووراءهما الحشد الجرار من المرتزقة فسنخسر، لقد اقتحم مصطفى صادق الرافعى الميدان، وهاجم الإمارة المدعاة بأسلوبه التهكمي، ولكن الرافعى هو الرافعى، وله أيضا تلاميذه الذين يؤمنون بزعامته ويردون كيد خصومه؟! ثم سكت القاياتى وهو يقول: ذلك اعتذار فحسب، وأنا ألمس ما به من تقصير، فهل ننتقل الى موضوع جديد؟ على أنى أعلم أن العقاد يبادلنى المودة، وقد تحدث عنى بالخير، فكيف أشن حربا لا نهاية لها! أما البيتان اللذان أنشدهما السيد حسن القاياتى في حفلة المبايعة التى ذكرنا طرفا مما قيل فيها فهما:

يا حـــسين ياعـــزيزى يا أمـــيـــرى
يا أمـــيـــر الشـــعـــر في اللب الغـرير
ســد كـمـا ســاد صـرير شـدماً
أمّر الأقـــلام في وادى الزئيـــر



مسك الختام

من الاسطورة الى التصوير



بقلم:
محمد حمد الصويغ

اتحدث هنا عن فن القصة القصيرة، ومرجعه غربي على الأرجح ، فمازال المبتدئون ينهلون من اقاصيص شارل تودياي وروائع بول موردان والانجليزي ايجار بو والروسي تشيخوف والأمريكية كاترين مانسفيلد والأسباني سرفانتز كاتب «الأقاصيص المثالية» التي اصدرها عام ١٦١٣، مترجمة أو غير مترجمة، مبتدئون من الغرب أو الشرق، ولست هنا بصدد البحث عن مرجع هذا الفن، اين نشأ ومتى، ولكن بودي أن اتحدث عن امرين هامين وانا اقوم هنا بالكتابة عن هذا الفن الجميل.

اما الأول فهو اهتمام القصة القصيرة «منذ نشأتها الاولى» بالحكايات الشعبية والخرافات، ويبدو ذلك واضحا من خلال كثير من الاعمال الشهيرة في الغرب والشرق على حد سواء، فقد عرفنا نحن شخصية «شهرزاد» من خلال حكايات الف ليلة وليلة، وعرف المغرب العربي شخصية «الفراوى» التي عرفت اولا من خلال التقاليد الشعبية في تونس وعرف اهل مصر «الحكواتي» ومن خلاله شاعت الاقاصيص والاساطير الخرافية.

وتعتمد هذه الحكايات اعتمادا كليا على «السرد» المرتجل، وهو سرد يرتبط بالتلقائية السانجة اثناء رسم احداث الحكاية، ويبدو واضحا ان هذه «التلقائية السانجة» التي ارتبطت بها الخرافة متوفرة بشكل «اغزر» في الرواية، وانها لم تتوفر في القصة القصيرة الا بقدر محدود، اي انها لم تكن متفشية في «الاحداث» القصيرة مثلما تفشت في اي حدث مطول، ودلائل ذلك كثيرة في اعمال غربية وشرقية، فالفصول الاخيرة من رواية تولستوي «الحرب والسلام» عجّت بكثير من الزيادات التي ربما هي الى «الثرثرة» اقرب منها الى تجسيد احداث الرواية، بمعنى آخر فانها تكاد تكون «ثرثرة خرافية، ابعدتها عن عضويتها من بقية فصول الرواية، وهنا تصح المقولة الفرنسية النقدية التي تؤكد «أن الرواية بالنسبة الى القصة القصيرة كالعالم بالنسبة الى ما في العالم».

وهي مقولة صائبة دون شك يوضحها الشاعر الفرنسي الكبير في كتابه الشهير (الفن الرومانطيقي) فيقول: «ان الرواية لا يهددها اي خطر ولا يلحق بها اي مكروه سوى حريتها التي لا حدود لها ولا نهاية، اما القصة التي هي اكثر

كثافة وايجازا من الرواية فانها تتمتع بالمكاسب السردية التي لا توفرها سوى الضغوطات والقيود».

هذا يعني ان الاساطير والخرافات متوفرة بشكل اعمق في الرواية التي تعتمد على «تطويل» الحدث ولا تعتمد على اختصاره، وهذه نظرية عقلانية كما ارى، فحرية «السرد» تتوفر في الرواية بشكل اغزر، بينما كاتب القصة القصيرة لا يهمه ذلك، وانما يهمه الدخول مباشرة في الحدث دون مقدمات أن دون «لف او دوران» اي دون التوقف طويلا امام تفاصيل الاحداث التي يرى انها «غير ضرورية» للوصول الى نهاية القصة، بمعنى ان كاتب القصة القصيرة لابد أن يكون «متزنا» في عرضه للحدث.

أما القصة القصيرة فقد «انتقلت» في عصرنا الحاضر الى مرحلة «تصوير» الاحداث بشكل تلقائي وسريع، أي انها انتقلت الى مرحلة عدم اهتمامها بالحدث من خلال تأزماته الدرامية التقليدية الى مرحلة اهتمامها «بتصوير» الحدث من خلال الحياة اليومية المشهودة الملموسة، ولعل اقاصيص الامريكية كاترين مانسفيلد أو تشيخوف تكون برهانا على هذه النقلة.

في اقاصيص مانسفيلد نكاد نشعر ببراعتها المتفوقة في رسم دقائق الاشياء، وهي تسير على نفس الخطى التى سار عليها تشيخوف حينما عمد الى تبيان ما تعانيه شخصياته من عذابات حياتية «باختصار شديد» دون أن يسدل على هذا «التبيان» كثيرا من الالفاظ المطولة التي قد تزج باعماله في احضان «المبالغة» ومن ثم في احضان «الاسطورة» كما كان الوضع قائما قبل هذه المرحلة الانتقالية.

ولذلك فان اصحاب هذه «النقلة» عمدوا الى تصوير «الواقع» كما هو دون تلفيق، اي بالاعتماد على «تبسيط» الامور لا الاعتماد على تعقيدها، بل أن كاترين مانسفيلد التي تأثرت بشكل مباشر باعمال تشيخوف ترى أن كاتب الرواية قد يكون «كاذبا» حينما يزج بعمله في «المبالغة» والابتعاد عن الحياة، ولهذا توخت البساطة فيما كتبته من اقاصيص وابتعدت عن التزويق والمبالغة والاطناب في سرد احداثها.

واحسب ان هذه الطريقة «الانتقالية» تعتمد اعتمادا كبيرا على تصوير الحدث كما شاهده الكاتب بام عينه «المجردة» لا بحسه الخيالي، اضافة الى ان اصحاب هذه الطريقة لا يلجأون عادة الى «المحاسن الاسلوبية» ان جاز القول لسرد افكارهم وانما يلجأون الى الاساليب «الشائعة» في مجتمعاتهم، فالفكرة والاسلوب يستمدان عناصرهما من الواقع المعاش.

واختصار الحدث في القصة القصيرة قد لا يدع مجالا كما ارى لمزيد من المبالغة او التخيل، فيصح القول اذن بان «الرواة» اكثر تخيلا وافراطا في المبالغة من كتاب القصة القصيرة، ورغم ذلك فاننا لا نستطيع ان نجرد كثيرا من الاعمال الروائية الناجحة من «النقلة» النوعية التي حدثت في الاساليب القصصية، فرغم انها تعتمد على الاطناب في «السرد» واطالة الوقفة امام الحدث، الا اننا لا نستطيع القول في الوقت ذاته انها غير مستمدة من الواقع.

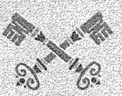
ويبرز امامي هذا السؤال الهام وانا اقوم بمعالجة هذه المسألة:

- هل بامكاننا مزج الاسطورة بالتصوير في اعمالنا الروائية الحديثة؟ ورغم انني طرحت السؤال بهذه الصيغة التقريرية العفوية الا انني لا املك اجابة شافية عليه.


أنا العب في الحديقة



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



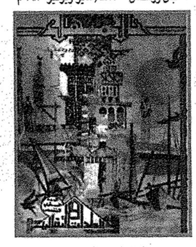
الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



الأثر والآثار
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والمبدعون
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م



النقد والنقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

في العدد القادم:

* الحديث وتدوين السنة

ـ د٠ عبد الحميد التمسماني٠

* عمادة التنوير ٠٠ وطه حسين

ـ الأستاذ أنور الجندي٠

* الانترنيت ٠٠ صديق أم عدو

ـ أ٠د٠ شذى الدركزلي٠

* في الانتماء الثقافي

ـ أ٠د٠ محمد عمارة٠

* (فضلا عن) بين (أبو عبد الرحمن الظاهري ٠٠ وابو عبد الرحمن السالمي)٠

* رحلة في الذاكرة

ـ أ٠د٠ محمد رجب البيومي٠

* الأنصاري في ذكراه٠٠

* الإعلام في المنظومة الإسلامية

ـ د٠ عبد السلام بنهروال٠

* أعلام وأعمال

ـ د٠ عمر بن قينة٠

** مجلتك المنهل ترحب بك قارئا ٠٠ وكاتباً ٠


قبل أن نبدأ بادارة أموالك
يهمّنا جداً أن نبدأ بمعرفة تطلعاتك.